

لطائف المنن

فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى

وشيخه الشاذلى أبى الحسن

﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

(يونس : ٦٢)

تأليف

العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله السكندرى رحمته الله

المتوفى سنة ٧٠٩ هـ

الطبعة الثالثة

١٤٢٥ هـ — ٢٠٠٤ م



بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة المحقق

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلى عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

إن التصوف الإسلامى السنى الخالص إيجابى لا سلبى فيأخذ طالبه والسالك فيه بأسباب الدنيا وأسباب الآخرة ويجعل ممارسته بالعلم والعمل والحال عاملاً نافعاً بجسده فى الدنيا وبنيته مستقبلاً للآخرة، وأما قلبه فيكون دائماً مع الله إبتغاء لمرضاته، وطلباً لرضوانه ؛ وبهذا وذاك يكون التصوف الحق زاد لقلوب الصديقين وشعاراً لعباد الله الصالحين .

وذلك لأن الصوفى الحق إذا رأيته أو عاشرته أو عاملته أو جاورته أو صاحبته علمت أنه رجل دائب الفكر كثير الذكر دائم العبرة غزير الحكمة محب للعلم، كاره للجدل، وهو قليل المنازعة فى الأمور سهل المراجعة للصواب، وهمته دائماً محصورة فى البحث عن الحق ولو ظهر على لسان غيره من الخلق، وأنه وراء ذلك أوسع الناس صدراً أو أقبلهم له عذراً وألينهم للحق قياداً وأصعبهم على الباطل مراساً، وأعزهم نفساً، وأعفهم شخصاً، وأكثرهم وداً، وأعمقهم حباً، وأدومهم مثابرة وصبراً وأوفاهم عهداً وأكثرهم أدباً، إن ضحك تبسم، وإذا غضب لا يتجهم؛ وإن تجهم فهو رؤوف بمن يعاديه ووصول لمن يواليه، لا يخوض فى أمر لا يعنيه، ولا يدعى أبداً ما ليس فيه. وهو ورع عن الشبهات، ومبغض للمحرمات، وصائن للحرمات، وحافظ للأوقات، ولا سيما مواقيت العبادات وأخصها الصلوات .

وتلك الأخلاق كلها فى حقيقتها اقتباس من أخلاق رسول الله ﷺ الذى وصفه الله تعالى فى كتابه الكريم بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وبعد الرسول ﷺ كانت أخلاق الصحابة والتابعين وتابعى التابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

وإلى هنا نكون قد عرضنا على القارئ الكريم صفات التصوف والصوفي بما لا يخرج عن حدود الشريعة الإسلامية في كمالها مبنى ومعنى ولكن ... مع الأسف الشديد أنه ابتلى التصوف الإسلامى وهو فرع عن الإسلام بما ابتلى به الإسلام نفسه من أصدقاء جهلاء أو أعداء ألداء .

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا - الآن - فهو شريف القدر، عظيم القيمة وذلك لما يحوى بين دفيئه من علم نافع وأدب جم، وفكر صوفي متفرد، نسأل الله الكريم أن ينفع به كل من يقرأه أو يدرسه .

عملنا فى هذا الكتاب:

- ١ - عزونا الآيات القرآنية إلى سورها .
- ٢ - خرجنا الأحاديث النبوية .
- ٣ - ترجمنا ترجمة حقيقية لما ورد من الأعلام .
- ٤ - شرحنا الكلمات الصعبة .

والله نسأل أن يجعله فى ميزان حسناتنا إنه مجيب الدعاء

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى فتح لأولياؤه باب محبته، وأنشط نفوسهم من عقال القطيعة، فقاموا له بوجود خدمته، وأمد عقولهم بنوره، فعاينت عجائب قدرته، وحرس قلوبهم من الأغيار، ومحا منها صور الآثار حتى ظفرت بمعرفته، كشف لأرواحهم عن قدس كماله ونعوت وجود جلاله، فهم سبايا حضرته، متع أسرارهم بقربه بخطافات جذبه، فتحققوا بشهود أحديته، أخذهم منهم وأفناهم عنهم، غرقوا فى بحور هويته، فرق جيوش التفرقة بكتائب الجمع لأهل خصوصيته، وحسى حصى الأسرار بمدد الأنوار أن يكون مظهرا لغير فريته. أطلع كواكب العلوم فى سماء الفهوم تهدى السائرين لحضرة ربوبيته، وأضاء قمر التوحيد فى قيد التفريد فانطوت الكائنات فى وجود أزليته، وما كانت معه فى أزله حتى تكون معه فى أبديته، بل هو الأول الآخر، لا بالإضافة لبريته، والظاهر الباطن كذلك، وما الكون حتى يقاس بقدوسيته.

أحمدته والحمد واجب لصفات جلاله وعظمته، وأشكره والشكر مستحق له لسبوغ نعمته، وأرجوه .. وكيف لا أرجوه وهو الذى وسع كل شئ برحمته، وغمر العباد فى الغيب والشهادة بطول منته، وأعترف له بالتقصير عن القيام بحقوق أحديته، وأعلم أنه لا يحاط بذاته وصفته، ليس للعبد منه إلا ما منَّ به عليه، ولا يضاف له من المحاسن إلا ما أضافه إليه، ولا ينتصر فى المصادر والموارد إلا بالتوكل عليه، العزيز، القادر، الحكيم، القاهر، الرقيب على فعل كل فاعل، ونظر كل ناظر، لا يخفى عليه ما فى الضمائر، ولا يغاب عن علمه مستكنات السرائر، أظهر فى ملكه حكمته وفى ملكوته قدرته، وتعرف لكل شئ، ولا شئ يجحد ربوبيته ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكل شئ يشهد بأحديته فى ألوهيته وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المصطفى من خليقته، المشهود له فى الغيب، والشهادة بكمال خصوصيته القائم لمولاه بكمال الوفاء فى عبوديته صلى الله عليه وعلى آله وصحابه صلاة تدوم بدوام أبديته وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد: فإنى قصدت فى هذا الكتاب أن أذكر فيه جملاً من فضائل سيدنا ومولانا الإمام قطب العارفين، علم المهتدين، حجة الصوفية، مرشد السالكين، منقذ الهالكين،

(١) (الأعراف: ٥٤)

الجامع من علم الأسماء والحروف والدوائر، المتكلم بنور بصيرته الكامل في السرائر، كيف الموقنين، ونخبة الواصلين، مظهر شمس المعارف بعد غروبها، ومبدي أسرار اللطائف بعد غروبها. الواصل إلى الله والموصل إليه (أبي العباس المرسى) أسكنه الله تعالى حضيرة قدسه، ومتعه على ممر الساعات بموارد أنسه.

وأذكر شيخه الذى أخذ عنه ومنازلاته التى نقلت عنه وسمعتها منه، وكراماته، وعلومه، وأسراره، ومعاملاته مع الله ﷻ، وما قاله فى تفسير آية من كلام الله ﷻ، وإظهار لمعنى خبر نقل عن رسول الله ﷺ، وكلام على حقيقة نقلت عن أحد من أهل الطريق، وأشكل معناها ولم يفهم مغزاها وما نقله عن شيخه الشيخ:

(أبى الحسن الشاذلى) رضى الله تعالى عنه، وما قاله هو من الشعر أو قيل بحضرته: أو قيل فيه مما يتضمن ذكر الطريق وأهلها، وأنقل ما يمكن إثباته من أخباره كثيرها وقليلها.

وكان أصحاب الشيخ الإمام القطب (أبى الحسن) قدس الله روحه قد أثبتوا جملاً من كلامه، وإن كان هو ﷺ لم يضع كتاب. وقد بلغنى عنه أنه قيل له: يا سيدى لم لا تضع الكتب فى الدلالة على الله تعالى، وعلوم القوم؟ فقال ﷺ: كتبى أصحابى وكذلك شيخنا (أبو العباس) ﷺ لم يضع فى هذا الشأن شيئاً، والسبب فى ذلك أن علوم هذه الطائفة علوم التحقيق وهى لا يحتملها عقول عموم الخلق.

ولقد سمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول: جميع ما فى كتب القوم. عبرات من سواحل بحر التحقيق، ولا أعلم أن أحداً من أصحاب شيخنا (أبى العباس) ﷺ تصدى إلى جميع كلامه، وذكر ما فيه، وأسرار علومه، وخرائبه، فجذبنى ذلك إلى وضع هذا الكتاب، بعد أن استخرت الله تعالى، وطلبت منه المعونة. وهو خير معين، وسألته أن يهدينى إلى الطريق المستبين.

وقسمته إلى مقدمة، وعشرة أبواب، وخاتمة:

أما المقدمة فتشمل: إقامة الدليل على أن نبينا محمداً ﷺ أفضل بنى، آدم بل أفضل البشر وأفضل الخلق كافة. وأفردت كل مقام بإقامة الدلالة عليه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ. وبينت أن عدد الأولياء من الحقيقة المحمدية، وأن الأولياء إنما هم مظاهر أنوار النبوة، وبطالع شوارقها. وأعلمت أن أنوار الولاية قائمة بالثبوت، للزوم دوام أنوار النبوة

وذكرت الفرق بين الرسالة والنبوة والولاية، وبينت من هو أولى بالميراث في قوله ﷺ { العلماء ورثة الأنبياء }^(١) وبينت ما هو العلم الذى أثنى الله تعالى عليه، ومن هم العلماء الذين هم أولى بالزلفى لديه، وبينت أن الأولياء الظاهرين فى أوقات الظلمة أولى بأن يكثر الله أنوارهم، ويجزل لهم من وجوه اليقين ما يوجب انتصارهم، ليدافعوا ظلمة الأوقات، وليهزموا بعساكر أنوارهم جيوش الغفلات .

وذكرت أقسام الولاية، وغزارة قدر الوالى، وفخامة رتبته وتفوق منزلته مما تضمنه الكتاب العزيز والأحاديث النبوية؛ ليكون ذلك توطئة لك بتصديق ما يرد عليك من أخبار أوليائه وكرامات أصفياه .

وأما الأبواب:

فالباب الأول: فى التعريف بشيخه الذى أخذ عنه هذا الشأن، وشهادة من عاصره من العلماء الأعيان أنه قطب الزمان والحامل فى وقته لواء أهل الأعيان .

الباب الثانى: فى شهادة الشيخ له أنه الوارث للمقام، والحائز قصب السبق بالتمام، وإخباره هو عن نفسه بما من به عليه من النعم الجسام، وشهادة الأولياء له أنه بلغ من الوصول إلى الله لأفضل مرام .

الباب الثالث: فى مجرباته ومنازلاته، وما اتفق لأصحابه معه، ومكاشفاته .

الباب الرابع: فى علمه، وزمده، وورعه، ورفع همته، وحلمه، وصبره، وسداد طريقته .

الباب الخامس: فى آيات من كتاب الله نتكلم على تبیین معناها وإظهار فحواها .

الباب السادس: فيما فسره من الأحاديث النبوية، وإبداء أسرار فيها على مذاهب أهل الخصوصية .

الباب السابع: فى تفسيره لما أشكل من كلام أهل الحقائق، وحمله لذلك على أجمل الطرائق .

^(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (٢٩٠/١) والقرطبى فى تفسيره (١٦٤/١٣) والترمذى فى سننه (٤٨/٥) والبيهقى فى مجمع الزوائد (١٢٦/١) وأبو داود (٣١٧/٣) وابن ماجه (٨١/١) ومسند الشاميين (٢٢٤/٢) ومسند الشهاب (١٠٣/٢) وأمانى المحاملى (٣٣٠/١) وشعب الإيمان (٢٦٢/٢) والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى (٥١/١) وفتح البارى (٢١٧/١)

الباب الثامن: فى كلامه فى الحقائق، والمقامات، وكشف فيها الأمور المضلات

الباب التاسع: فيما قاله من الشعر أو قيل بحضرته، أو قيل فيه مما يتضمن ذكر

خصوصيته .

الباب العاشر: فى ذكره ودعائه عقب كلامه، وحزبه الذى رتبته للآخذين من

علومه، وأفهامه، ولوازم ذلك من ذكر شيخه أبى الحسن وحزبيه، ليتم العقد بنظامه .

أما الخاتمة: ففى اتصال نسبتنا إليه ووصايا نثرا ونظما تنهض إلى الله، وتجمع

عليه، وهى آخر الكتاب ؛ وليس كل شىء سمعته من الشيخ عليه السلام استحضرته وقت وضعى

لهذا الكتاب؛ ولا كل شىء استحضرته يمكن إثباته . وقصدت بذلك أن تنتفع به هذه

الطائفة خصوصا، وغيرهم عموما، ليؤمن بأحوال هذه الطائفة من قسم الله له نصيبا من

المنة، وجعل فى قلبه نورا من الهدى، وليرجع المكذب إلى الاعتراف، والمكابر إلى وجود

الإنصاف، وليستبين لمن أراد الله تعالى به الهدى المحجة، وتقوم على من لم تنصره عناية

الله تعالى المحجة فيكون للمصدق بتصديقه بهذه الطائفة نصيب من الولاية وذنوب من

العناية .

وقد قال الجنيد عليه السلام: التصديق بعلمنا هذا ولاية، وإذا فاتتك المنة فى نفسك، فلا

يفتك أن تصدق بها فى غيرك، قال تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِْبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ^(١) ﴾

وقد قال بعض العارفين: (التصديق بفتح لا يكون إلا بفتح) ومصدق ما قال هذا

العارف قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ^(٢) ﴾ وقال عليه السلام ﴿ وَذَكَرَ

فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ^(٣) ﴾ وقال ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى

السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ^(٤) ﴾ وقال عليه السلام ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ^(٥) ﴾ .

وإذا أراد الله بعبد خيرا جعله من المصدقين لأولياء الله تعالى، فيما جاءوا به وإن

قصر عقله عن إدراك ذلك فمن أين . يجب أن لا يهيب لله تعالى لأوليائه ما تسعه عقول

العباد؟ وقد قالوا: يخشى على المكذب لهم سوء الخاتمة .

وقد قال أبو تراب النخشبى: من لم يصدق بهذه الكرامات فقد كفر . أى غطى

(٢) (النور: ٤٠)

(٤) (ق: ٣٧)

(١) (البقرة: ٢٦٥)

(٣) (الذاريات: ٥٥)

(٥) (الرعد: ١٩، الزمر: ٩)

عليه الأمر وستر عنه . شهود قدرة الله تعالى ، جعلنا الله وإياك من المعترفين بفضلته في عباده . ومن المصدقين بآثار عنايته في أهل وداده . إنه ولي ذلك ، والقادر عليه ، ولم أحل الكتاب من الكلام على الشيء المشكل ، وحل الأمر المعضل ، والتنبيه على أمور جليلة ، وإظهار أسرار أبصار من لم يؤمن بهذه الطائفة عنها كليله ، فالله سبحانه وتعالى يجعل ذلك لوجهه خالصاً ، ومن أحوال القطيعه مخلصاً ، وأن يمن علينا بالصدق في الأقوال والأفعال والأحوال ، وأن يجعلنا من العارفين به في الحال ، والمآل ، وأن يتفضل علينا بالفهم عنه وحسن الاستماع منه ، إنه الإله القدير وبالإجابة جدير .

وسميته (لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن)

وهذا أوان ابتدائي بما قصدت ، وإظهار ما أردت ، وبالله استعين ، وعليه أتوكل وبجاه سيد المرسلين أتوسل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

* * * * *

مُقَدِّمَةٌ

اعلم أن الله تعالى لما أراد إتمام عموم نعمته، وإفاضة فيض رحمته ؛ واقتضى فضله العظيم أن يمن على العباد بوجود معرفته، وعلم ﷺ عجز عقول عموم العباد عن التلقى من ربوبيته، جعل الأنبياء والرسل لهم الاستعداد العام لقبول ما يرد من ألبيته، يتلقون منه بما أودع فيهم من سر خصوصيته ويلقون عنه جمعاً للعباد على أحديته، فهم برازخ الأنوار ومعادن الأسرار رحمة مهداة، وبنة مصفاة، حرر أسرارهم في أزل من رق الأغيار، وصانهم بوجود عنايته من الركون إلى الآثار، لا يحبون إلا إياه، ولا يعبدون ربا سواه ؛ يلقي الروح من أمره عليهم، ويواصل الإمداد بالتأييد إليهم، وما زال فلك النبوة والرسالة دائرا إلى أن عاد الأمر من حيث الابتداء، وختم بمن له كمال الاصطفاء، وهو نبينا محمد ﷺ هو السيد الكامل، القائم الفاتح، الخاتم نور الأنوار وسر الأسرار، والمبجل في هذه الدار، وفي تلك الدار على المخلوقات. أعلى المخلوقات منارا ؛ وأتممهم فخارا، دل على ذلك الكتاب المبين قال الله ﷻ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) ومن رحم به غيرد فهو أفضل من غيره، والعالم كل موجود سوى الله تعالى .

وأما تفضيله على بنى آدم خصوصا فمن قوله ﷺ { إني سيد بنى آدم ولا فخر }^(٢)
وأما تفضيله على آدم ﷺ فمن قوله ﷺ { كنت نبيا وآدم بين الماء والطين }^(٣)
ومن قوله : { آدم فمن دونه من الأنبياء يوم القيامة تحت لوائى }^(٤) .
وقوله : { إني أول شافع وإنى أول مشفع وأنا أول من تنشق الأرض عنه }^(٥)

(١) (الأنبياء: ١٠٧)

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٥٤٦، ٢٦٩٢) من حديث ابن عباس في حديث الشفاعة، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح؛ ولفظه { أنا سيد ولد آدم ولا فخر }

(٣) أخرجه السيوطي في الدرر المنتثرة (١٢٦) والمجلوني في كشف الخفاء (١٩١/٢)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٣٤١/٢)

(٤) عن أبي سعيد الخدري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ { أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، بيدي لواء الحمد ولا فخر، ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر } أخرجه أحمد في المسند (٤٨٦/١)، والترمذي في السنن (٢٨٨/٥) وحسنه. والإحسانى تقريب صحيح ابن حبان (٦٤٧٨/١٤) وروى الدارسى والترمذى وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقى عن أنس رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ { أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا. وأنا خطيبهم إذا انصتوا، أنا شافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، لواء الكرم بيدي، ومفاتيح الجنة بيدي. ولواء الحمد بيدي. وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر، يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون } رواد أبو يعلى (٣٩٧٣/٧، ٣٩٦٧) والإحسانى فلا تقريب صحيح ابن حبان (٦٤٧٥/١٤) و (٦٨٩٩/١٥) والخصائص (٢٢/٣) .

(٥) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٣٠٥/١٢) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ { أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع } .

وحديث الشفاعة المشهور الذى أخبرنا به الشيخ الإمام الحافظ، بقية المحدثين (شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن الدمياطى) بقراءتى عليه أو قرئ عليه وأنا أسمع قال: أخبرنا الشيخان الإمام فخر الدين، وفخر القضاة أبو الفضل أحمد بن عبد العزيز الجباب التميمي، أبو التقى صالح بن شجاع بن سيدهم المدلجى الكنائى، قالوا: أخبرنا الشريف أبو المفاخر سعيد بن الحسين بن محمد بن سعيد العباس المأمونى قال: أخبرنا أبو عبد الله الفراوى قال: أخبرنا عبد الغافر الفارسى قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمروية الجلودى، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بل محمد بن سفيان الفقيه: قال حدثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى، قال: حدثنا أبو الربيع العتكى، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال حدثنا معبد بن هلال الغنوى، قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك، وتشفعنا بثابت، فانتبهنا إليه وهو يصلى الضحى، فاستأذن لنا ثابت، فدخلنا عليه وأجلس ثابتا معه على سريره . فقال له: يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة؟

قال: حدثنا محمد ﷺ قال { إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم عليه السلام فيقولون اشفع لذريتك .. فيقول: لست لها ؛ ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقول: لست لها ؛ ولكن عليكم بنوسى عليه السلام فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول: لست لها ؛ ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وحكمته، فيأتون عيسى عليه السلام فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتونى فأقول: أنا لها فانطلق فاستأذن على ربى فيؤذن لى فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله ﷻ ثم أخر له ساجداً فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه: واشفع تُشفع، فأقول أمتى . أمتى .. فيقال: انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها .. فانطلق فأفعل، ثم أرجعُ إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً، فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه، واشفع تُشفع، فأقول: أمتى . أمتى، فيقال: انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها .. فانطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخذُ له ساجداً، فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه: واشفع تُشفع، فأقول يا رب: أمتى . أمتى، فيقال: انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من

الإيمان فأخرجه من النار .. فأنطلق فأفعل^(١) }

هذا حديث أنس الذي أنبأنا به فخرجنا من عنده، فلما كنا بظهر الجبابة قلنا: لو دخلنا إلى الحسن نسلم عليه وهو مستخف في دار أبي خليفة، فدخلنا وسلمنا عليه وقلنا له: يا أبا سعيد خرجنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثنا به في الشفاعة، قال: هيه ؛ فحدثناه الحديث، فقال: هيه ؛ قلنا: ما زادتنا، قال: قد حدثنا به من منذ عشرين سنة وهو يؤمئذ جمع، ولقد ترك شيئاً ما أدري أنس الشيخ أم كره أن يحدثكم به؟ قلنا له: حدثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان من عجل، ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه، ثم قال: قال ﷺ { أرجع إلى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد فأخر له ساجداً فيقول لى مثل ما قال فى الأول، فأقول يا رب ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله، قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله }^(٢) فاشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك قرأه قبل عشرين سنة وهو يؤمئذ جمع .. فانظر رحمك الله ما تضمنه هذا الحديث من فخامة قدره ﷺ وجلالة أمره، وأن أكابر الرسل والأنبياء لم ينازعوه فى هذه الرتبة التى هى الشفاعة العامة فى كل من تضمنه المحشر .

فإن قلت: فما بال آدم أحال على نوح فى حديث، وعلى إبراهيم فى هذا، ودل نوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى، وموسى على عيسى، وعيسى على محمد ﷺ ولم تكن الدلالة على محمد ﷺ من الأول .

فاعلم: أنه لو وقعت الدلالة على رسول الله ﷺ من الأول لم يتبين من هذا الحديث أن غيره لا يكون له هذه الرتبة فأراد الله ﷻ أن يدل كل واحد على من بعده، كل واحد يقول: لست لها، مسلماً للرتبة غير مدع لها حتى أتوا عيسى ﷺ فدل على رسول الله ﷺ فقال: أنا لها .

وفى الحديث من الفوائد: أن الإيمان يزيد وينقص ؛ وفيه من الفوائد: أن المعارف لا

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (١٧٩/١)، ومسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده (٢/٣) وابن شعبة فى الإيمان (٣٢٦) والترمذى (٣٦١٨) وحسنه وأخرج أبو يعلى فى الشفاعة حديث آخر (٣٩٦٧، ٣٩٧٣/٧) والإحسان فى تقريب صحيح بن حبان (٦٤٧٥/١٤) و (٦٨٩٩/١٥) والخصائص (٢٢/٣) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٠ / ١) رقم (١٩٣)، الجامع الصغير المختصر (٤ / ١٦٢٤) رقم (٤٢٠٦) من حديث أنس ؓ، والحاكم فى المستدرک (١ / ١٣٥) رقم (٢٢٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد غير أن الشيخين لم يحتجا بمحمد بن ثابت البناني وهو قليل الحديث يجمع حديثه والحديث غريب فى أخبار الشفاعة ولم يخرجاه، وانظر حديث الشفاعة فى حسن الظن بالله ص ٧٠ رقم (٦١)، ومسند ابن يعلى (٥ / ١٧٢) رقم (٢٧٨٦) بتمام لفظه (

تتناهى لقوله ﷺ { لا أقدر عليه إلا أن يلهمني الله ﷻ } ^(١) ويشهد له قوله ﷺ { لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك } ^(٢) ويشهد له قوله ﷺ { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } ^(٣) إلى غير ذلك من الفوائد التي لو تكلمنا عنها خرجنا عن غرض الكتاب .

ولقد سمعت شيخنا العباس رحمه يقول: جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة، ونبينا ﷺ هو عين الرحمة، قال الله ﷻ { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ^(٤) فدعا ﷺ إلى الله تعالى بالبصيرة الواضحة، والبينة الفاتكة، وقرب المدارك، وبين المسالك، وحث على سلوك سبيل الهدى، واجتناب سبيل الردى، فما ترك شيئاً يقرب إلى الله تعالى إلا ودعى إليه، ولا أدباً يصلح أن يكون العبد به مع الله تعالى إلا حث عليه، ولا شيئاً يشغل عن الله تعالى إلا وحذر العباد منه، ولا عملاً يقطعهم عن الله تعالى إلا وأخرجهم عنه، لا يألو نصحاً في تخليص العباد من أحوال القطيعة ومواطن المهلك إلى أن ترحل ليل الشرك وانفضت أغياره وأضاء نهار الإيمان وأشرقت أنواره فرفع ﷺ من الدين لواءه وتم نظامه وقرر فرائضه، وأحكامه وبين حاله وحرامه، وكما بين للعباد الأحكام كذلك فتح لهم باب الإفهام، حتى قال الراوى: لقد تركنا رسول الله ﷺ وأن الطير ليتحرك في السماء فنستفيد منه علماً بحق، قال الله تعالى { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } ^(٥) وقال ﷺ { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } ^(٦)

وقال ﷺ { تركتها بيضاء نقية } ^(٧) فجازه الله خير ما يجزى نبياً عن أمته: ولما أكمل ﷺ البيان لسبيل الرشاد وأظهر المسالك الموصلة إلى الله تعالى للعباد، توفاه الله تعالى إلى الدار التي هي خير له وأولى بعد أن خير فاختار الرفيق الأعلى، ثم جعل الله تعالى الدعاة في أمته أبداً ودائماً سرمداً بما ورثوا منه وأخذوا عنه وقد شهد لهم الحق بذلك وجعلهم أهلاً لما هنالك قال الله ﷻ { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } [يوسف: ١٠٨]

قال الشيخ أبو العباس رحمه: أى معاينة تعيين سبيل كل واحد من الأتباع فتحمل

(١) أخرجه الدارقطنى فى كتاب السنن (٢١٠/٢)

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٥٨/٦)، والزيدي فى إتحاف السادة المتقين (٧١/٢)

(٣) (طه: ١١٠) (٤) (الأنبياء: ١٠٧)

(٥) (البقرة: ٢٥٦) (٦) (المائدة: ٣)

(٧) صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه (٤٢٨/١) رقم (٦١٣) والديباج على صحيح مسلم (٢٧٢/٢) رقم (٦٢١) وتهذيب الكمال (١٨٨/٣٢) رقم (٧٠٢١) وانظر الملل الواردة فى الأحاديث النبوية (٩٨/٢) رقم (١٤٠) والنهاية فى غريب الأثر (٢٨٢/٥) وضعفاء العقيلي (٢١/٢) رقم (٤٣٧) من حديث مبشر بن موسى، ولسان الميزان (٤٠٨/٢) رقم (١٦٧٧)

عليها ودليل ما قال الشيخ رحمه الله اختلاف وصاياه رحمه الله لأصحابه على حسب اختلاف سبيلهم فقال رحمه الله لبلال رحمه الله { انفق بلالا ولا تخشى من ذي العرش إقللاً }^(١) وقال لآخر أراد أن ينخلع عن ماله كله { أسك عليك مالك فانك إن تدع ورثتك أغنياً خيراً لك من أن تدعهم عالة يتكفون الناس }^(٢) وقال رجل: أوصني؟ فقال رحمه الله { استح من الله كما تستحي من رجل صالح من قومك }^(٣) وقال له آخر: أوصني؟ فقال له رحمه الله { لا تغضب }^(٤)

وسمعت شيخنا أبا العباس يقول: فتح الحق رحمه الله بقوله ومن اتبعني باب البصائر للاتباع. يريد الشيخ أن قول الله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^(٥) أى: ومن اتبعني يدعوا إلى الله على بصيرة على ما تقتضيه اللسان لأنك إذا قلت: زيد يدعوا إلى السلطان على نصيحة هو وأتباعه، أى: وأتباعه يدعون إلى نصيحة، إذا ثبت هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم يدعوا على بصيرة الرسالة الكاملة والأولياء يدعون على حسب بصائرهم قطبانية وصديقية وولاية، وقد قال رحمه الله { العلماء ورثة الأنبياء }^(٦).

وقال رحمه الله { فإن الأنبياء لا يورثون ديناراً ولا درهماً وإنما يورثون العلم } وقال رحمه الله { علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل }^(٧) وها هنا نكتة وهو أنه رحمه الله لم يقل: علماء أمتي كرسل بنى إسرائيل، فمن الناس من ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى نبى فى نفسه والرسول هو الذى أرسل لغيره؛ وليس الأمر كما ظن هذا القائل وإن كان كذلك فلم خص الأنبياء دون الرسل بالذكر فى قوله { علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل } ومما يدل على بطلان هذا المذهب، قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾^(٨) فدل على أن حكم الإرسال يعممهما وإنما الفرق ما قال بعض أهل العلم أن النبى لا يأتى بشريعة جديدة وإنما يجرى مقررًا لشريعة من كان قبله، كيوشع بن نون فإنه أتى مقررًا لشريعة موسى عليه السلام وأمرًا

(١) أخرجه: السيوطى فى جمع الجوامع (٤٥٨٤)، والطبرانى فى المعجم الكبير (١٩٢/١٠)، وابن كثير فى تفسيره (٤٣٩/٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٢٨٠/٢) (٢٧٤/٦)

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٤٥٤/٣)

(٣) انظر: تاريخ واسط (٢٠٩ / ١) من حديث سعيد بن زيد عن ابن عم له .

(٤) صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٥/٨)، وأحمد فى مسنده (١٧٥/٢)، (٣٦٢)، والحاكم فى المستدرک (٣/ ٦١٥) وابن عبد البر فى التمهيد (٤٠٣)، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٦٩/٨)، والطبرانى فى المعجم الكبير (٢/ ٢٩٣) .

(٥) والزبيدي فى اتحاف السادة (٤/٨)، وابن سعد فى الطبقات الكبرى (٣٨/٧) .

(٦) (سورة يوسف: ١٠٨) .

(٧) أخرجه ابن ماجه (٢٢٣) والزبيدي فى اتحاف السادة المتقين (٧١/١) والمتقى الهندى فى كنز العمال (٢٨٦٧٩) والقرطبى فى تفسيره (٤١/٤) والبخارى فى تاريخه الكبير (٣٣٧/٨) والمجلوانى فى كشف الخفاء (٢٢/٢) .

(٨) أخرجه المجلوانى فى كشف الخفاء (٤١/٢) والشوكانى فى الفوائد المجموعة (٨٨٦) والسيوطى فى الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة (١١٣) وعلى القارئى فى الأسرار المرفوعة (٢٤٧) والألبانى فى الضعيفة (٦٦) .

بالعمل بما فى التوراة ولم يأت بشرع جديد، والرسول كموسى عليه السلام إنما أتى بشرع جديد وهو ما تضمنته التوراة ؛ فقال ﷺ { علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل } أى: يؤتون مقررين ومؤكدين وآمرين بما جئت به لا أنهم يأتون بشرع جديد .

أعلام وبيان: اعلم أن قوله ﷺ { العلماء ورثة الأنبياء، علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم إلا أن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم } وقوله ﷺ { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ } ^(١) وقال الذين أوتوا العلم { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } ^(٢) وحيثما وقع العلم فى كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فإنما المراد به العلم النافع المحمد للهوى القامع الذى تكتنفه الخشية، وتكون معه الإنابة، قال الله ﷻ { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } ^(٣) فلم يجعل علم من لم يخش الله العلماء علماء، وقال داود عليه السلام (يا رب ما علم من لم يخشك ما خشيك من لم يطع أمرك) فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية لله، وشاهد الخشية موافقة الأمر، ما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملك لأربابها وصرف الهمة إلى اكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء، وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التى كان بها عند الموروث عنه . ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثال الشمعة تضىء على غيرها وهى تحرق نفسها . جعل الله العلم علمه من هذا وصفة حجة عليه وسبباً فى تكثير العقوبة لديه، لا يغرنك أن يكون به انتفاع البادى والحاضر، فقد قال ﷺ { إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر } ^(٤) ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثال من رفع العذرة بملعقة من ياقوت فما أشرف الوسيلة وما أحسن المتوسل إليه، ومثل من قطع الأوقات فى طلب العلم فمكث أربعين سنة أو خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثال من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة، إذ مقصود العلم العمل كما أن المقصود بالطهارة وجود الصلاة، ولقد سأل رجل الحسن البصرى عن مسألة فأفتاه فيها، فقال الرجل للحسن: قد خالفك الفقهاء، فزجره

(٢) (المنكبيوت: ٤٩)

(١) (آل عمران: ١٨)

(٣) (فاطر: ٢٨)

(٤) صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٩/٥) والبيهقى فى السنن الكبرى (١٩٧/٨) والمجلوانى فى كشف الخفاء (٦٥/٢)

الحسن وقال: ويحك وهل رأيت فقيهاً؟ إنما الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه .

وسمعت شيخنا العباس عليه السلام يقول: الفقيه من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه، وإذا عرفت أن الدعاء إلى الله لا يزال أبداً فاعلم أن الأنوار الظاهرة في أولياء الله إنما هي من إشراق أنوار النبوة عليهم، فمثل الحقيقة المحمدية كالشمس وأنوار قلوب الأولياء كالأقمار، وإنما أضاء القمر لظهور نور الشمس فيه ومقابلته إياها فإذا الشمس منيرة نهاراً ومضيئة ليلاً لظهور نورها في القمر الممدود منها، فإذا هي لا غروب لها فقد فهمت من هذا أنه يجب دوام أنوار الأولياء لدوام ظهور نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم .

فالأولياء آيات الله يتلوها على عباده بإظهار إياهم واحداً بعد واحد ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾^(١)

وقد سمعت شيخنا أبا العباس عليه السلام يقول: في قوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ مَا نُنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسخُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾^(٢) أي: ما من ولي الله إلا وتأتي بخير منه أو مثله .

وقد سئل بعض العارفين عن أولياء الله أينقصون في زمن، فقال: لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها، وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم ولا بنقص إمدادهم، ولكن إذا فسد الوقت كان الله تعالى وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم، فإذا كان أهل الزمن معرضين عن الله تعالى مؤثرين لما سوى الله تعالى لا تنجح فيهم الموعظة ولا تمليهم إلى الله التذكرة لم يكونوا أهلاً لظهور أولياء الله فيهم، ولذا قالوا: أولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس المجرمون، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم { لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم }^(٣) .

فإذا كان الله تعالى وصانا على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لا تؤتي الحكمة غير أهلها، فهو أولى بهذا الخلق العظيم منا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم { إذا رأيت هوى متبعاً وشحاً مطاعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك }^(٤) فسمعوا وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآثروا الخلفاء بل آثر الله لهم ذلك، مع أنه لا بد أن يكون منهم في الوقت أئمة ظاهرون قائمون بالحجة سالكون للمحجة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم { لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق

(١) (الجاثية: ٦)

(٢) (البقرة: ١٠٦)

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (٥ / ٥١) رقم (٢٦٨٧) من حديث أبي هريرة -، وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني الخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه، انظر تهذيب التهذيب (١ / ١٣١) رقم (٢٧٠) .

(٤) انظر: خلق أفعال العباد (١/٦٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بزيادة في لفظه { وذر عنك أمر الحاجة } .

لا يضرهم من ناوأهم إلى يوم قيام الساعة {^(١)}

وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من مخاطبته لحميد بن زياد (اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجتك، أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا، قلوبهم معلقة بالمحل، الأعلى أولئك خلفاء الله في عبادته وبلاده واشوقاه إلى رؤيتهم) .

وروى الإمام الرباني محمد بن علي الترمذى رحمه الله في كتاب الختم ^(٢) له يرفعه إلى ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { أمتي كالمر لا يدرى أوله خير أم آخره } ^(٣) .

وروى أيضا يرفعه إلى أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ { خير أمتي أولها وآخرها وفي أوسطها الكدر } .

وروى أيضا يرفعه إلى عبد الرحمن بن سبرة قال: جئت مبشراً من غزوة مؤتة فلما ذكرت قتل جعفر، وزيد وابن رواحة ومن معهم، بكى أصحاب رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام { ما يبكيكم } فقالوا: وما لنا لا نبكي وقد قتل خيارنا وأشرفنا وأهل الفضل منا . فقال ﷺ { لا تبكوا إنما أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتلب رواكيتها وهياً سالكها وحلق سفعها فأطعمت عاما فوجا ثم عاما فوجا فلعل آخرها طعنا يكون أجودها فتوانا وأطولها شمراخاً والذي بعثني بالحق ليتخذن ابن مريم من أمتي حنفاء من حواريه } ^(٤) .

وروى أيضا يرفعه إلى سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ { إن في أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ^(٥) } .

وروى أيضا يرفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال { في كل قرن من أمتي سابقون } .

واعلم: جعلك الله من خاصة عبادته وعرفك لطائف وداده أنه سواء منهم الظاهر

(١) عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: أتيت ابن مسعود رضي الله عنه فذكر هذا أو اعتبر بقول النبي ﷺ { اغفر لعومي فإنهم لا يعلمون . وإذا رأيت حوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك ونر عنك أمر العامة } انظر خلق أفعال العباد ص ٦٣ .

(٢) ختم الأولياء) من أهم كتب الترمذى وهو مخطوط ولم يطبع
(٣) وررى البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن النبي ﷺ قال { خير القرون القرن الذى بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم } وأخرج الإمام أحمد فى مسنده والترمذى عن رسول الله ﷺ أنه قال { أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفسوا الكذب حتى يحلفوا حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد } أخرجه المتقى الهندي فى كنز العمال .

(٤) سورة الجمعة (٣)

والخفى والصديق والولى، فساد الوقت لا يكدر أنوارهم، ولا يحط مقدارهم، لأنهم مع المؤقت لا مع الأوقات، فمن كان مع المؤقت لا يتغير بتغيير الوقت شيئاً، ومن كان مع الوقت تغير بتغييره وتكدر بتكدره .

وقد قال الإمام أبو عبد الله الترمذى رحمه الله (الناس صنفان: صنف منهم عمال الله تعالى يعبدونه على البر والتقوى فهم يحتاجون إلى خير الزمان وإقبال دولة الحق لأن تأيدهم من ذلك، وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على صفاء ووفاء التوحيد عن كشف الغطاء وقطع الأسباب فهم غير ملتفتين إلى إقبال الزمان وإدباره ولا يضرهم إدباره) وهو قول رسول الله ﷺ { إن لله عبداً يغزوهم برحمته يحييهم فى عافيته ثم تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرمهم }^(١).

وقوله ﷺ { يكون فى أمتى فتنة لا ينجو منها إلا من أحياه الله بالعلم }^(٢) قال الترمذى: يعنى بالعلم بالله فيما يرى .

ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول: رجال الليل هم الرجال وإن أولياء هذا الوقت ليؤيدون بشيء من الغنى واليقين، فالغنى لكثرة ما عند الناس من الإفلاس . واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك .

وقال بعض العارفين: إن لله عباد كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم، فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قوى إشراقها، وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه، أنوار الكواكب تنكدر، وأنوار قلوب أوليائه لا إنكدار لها، وأنوار الكواكب تهدى إلى الدنيا، وأنوار قلوب أوليائه تهدى إلى الله . ولنا فى هذا المعنى شعر:

أمرتقب النجوم من السماء نجوم الأرض أبهى فى الضياء
فتلك تبين وقتاً ثم يهذى وهذى لا تكدر بالخفاء
هداية تلك فى ظلم الليالى هداية هذه كشف الغطاء

وقال صوفى يوماً بحضرة فقيه: إن لله عبداً هم فى أوقات المحن والمحن لا تضرم فقال ذلك الفقيه: هذا ما لا أفهمه . فقال الصوفى: أنا أريك مثال ذلك، الملائكة الموكلون بالنار هم فى النار . والنار لا تضرمهم .

(١) أخرجه ابن حجر فى لسان الميزن (١١١/٦)

(٢) أخرج ابن ماجه (٢ / ١٣٠٥) رقم (٢٩٥٤) من حديث أبى إمامة قال: قال رسول الله ﷺ { وستكون فتنة يصبح فيها الرجل مؤمناً ويمسى كافراً إلا من أحياه الله بالعلم } والدارمى فى السنن (١ / ١٠٩) رقم (٣٣٨) .

وسمعت شيخنا أبا العباس عليه السلام يقول: الدنيا كالنار وهي قائلة للؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نور قناعتك لهبى . وأعلم أن شأن الولاية والولى عظيم، والخطب فيهما جسيم ويكفيك فى ذلك ما حدثنا به الشيخ السيد الجليل شهاب الدين أبو المعالى أحمد بن اسحق ابن محمد بن المؤيد الأبرقوهي رحمه الله تعالى قال: أنبأنا أبو بكر عبد الله بن سabor القلانيس الشيرازى بها سنة تسعة عشر وستمائة، قال: أخبرنا الإمام أبو المبارك عبد العزيز ابن محمد بن منصور الشيرازى الآدى قراءة عليه، وأنا أسمع فى سنة ثلاث وخمسين وخمسائة، قال: حدثنا الشيخ الإمام أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز ابن الحارث بن التميمي الحنبلى، أنلاه فى يوم السبت السادس عشر من صفر سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة بأصبهان قال: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن عبد الله بن مهدي الفارسى قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن المخلد بن حفص العطار الخطيب الدورى . حدثنا: محمد بن عثمان بن كرامة بن خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبى نمر عن عطاء عن أبى حريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { إِنْ اللَّهَ ﻋَظَمْتَ قَالَ: مَنْ عَادَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا، وَلِثْنٍ سَأَلَنِي لِأَعِيزَنِي، وَلِثْنٍ اسْتَعَاذَ بِي لِأَعِيزَنِي، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدْتُ عَنْ نَفْسِي عَبْدِي، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بَدَّ لَهُ مِنْهُ }^(١) .

وهذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه . وقد روى هذا الحديث من طريق آخر { فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَلِسَانًا وَقَلْبًا وَعَقْلًا وَيَدًا وَمُؤَيِّدًا } فأصغ رحمتك الله تعالى إلى ما تضمنه هذا الحديث من غزارة قدر الولى وفخامة رتبته حتى ينزله الخالق ﷻ هذه المنزلة ويحلها هذه الرتبة، فقلوه ﷺ عن الله ﷻ { مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَنِي بِالْحَرْبِ } لأن الولى قد خرج عن تدبيره إلى تدبير الله ﷻ وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله ﷻ وعن حوله وقوته بصدق التوكل على الله تعالى . وقد قال الله ﷻ { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }^(٢) وقال ﷻ { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }^(٣) وكان ذلك لهم لأنهم

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٣٨٤/٥) وابن حبان فى صحيحه (٥٨/٢) والبيهقى فى الكبرى (٣٤٦/٣) والقرطبى فى تفسيره (١٣٥/٦) وابن كثير فى تفسيره (٥٨٠/٢) ونوادر الأصول (٢٦٥/١) وفتح البارى (٣٤٤/١١) و (٣٤٧/١١) وابن رجب فى جامع العلوم والحكمة (٣٥٧/١) .

(٢) (سورة الروم: ٤٧)

(٣) (سورة الطلاق: ٣)

جعلوه مكان همومهم فدفع عنهم الأغيار وقام لهم بوجود الانتصار .

وأخبرني الشيخ شهاب الدين الأبرقوهي قال: دخلت على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمته الله فسمعتة يقول: يقول الله ﷻ ﴿عبدى اجعلنى مكان همك أكفيك همك . عبدى ما كنت بك فأنت فى محل البعد . وما كنت بى فأنت فى محل القرب ﴾ .

وقد جاء فى الحديث ﴿ من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ﴾ ^(٢) فإذا كان الحق ﷻ قد رضى لهم أن يشغلهم ذكره عن مسئلته ، فكيف لا يرضى لهم أن يشغلهم ذكره والثناء عليه عن الانتصار لنفوسهم ، ومن عرف الله تعالى أفسد عليه باب الانتصار لنفسه إذ العارف قد اقتضت له معرفته أن لا يشهد فعلاً لغير معروفه ، فكيف ينتصر من الخلق من يرى الله تعالى فعلاً فيهم ، فكيف يدع أوليائه من نصرته وهم قد ألقوا نفوسهم بين يديه سلباً واستسلموا لما يرد عنه حكماً ، فهم فى معاقل عزه تحت سرادقات مجده يصونهم من كل شيء ، إلا من ذكره ويقطعهم عن كل شيء إلا عن حبه ، ويختارهم من كل شيء إلا من وجود قربه ، ألسنتهم بذكره لهجة وقلوبهم بأنواره بهجة ، وطن لهم وطناً بين يديه فقلوبهم حائمة فى حضرته وأسرارهم محققة لشهود أحديته .

ولقد سمعت شيخنا العباس رحمته الله يقول: ولى الله تعالى مع الله كولد اللبوة فى حجرها أترها تاركة ولدها لم أراد اغتياله .

وقد جاء فى الحديث أنه ﷻ كان فى بعض غزواته امرأة تطوف على ولدها رضيع فلما وجدته جثت عليه وألقمته الثدي فنظر الصحابة إليها متعجبين ، فقال ﷻ { الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها } ^(٣) ومن هذه الرحمة برز انتصار الحق لهم ومحاربتهم لأعدائهم إذ هم حمال أسرارهم ومعادن أنواره ، وقد قال ﷻ ﴿ الله وَلِىُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(٤) وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(٥) .

غير أن مقابلة الحق ﷻ لمن آذى ولياً ليس يلزم أن تكون معجلة لقصر مدة الدنيا عند الله تعالى ، ولأن الله ﷻ لم يرض الدنيا أهلاً لعقوبة أعدائه ، كما لم يرضها أهلاً لإثابة أحبائه ، وإن كانت معجلة فقد تكون قساوة فى القلب أو جمود فى العين أو تنويقاً عن

^(٢) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير (١٢١/١) والنووى فى شرحه على صحيح مسلم (٤٨/١٧) .

^(١) متفق عليه : أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٢٣٥/٥) ومسلم (٢١٠٩/٤) وابن كثير فى تفسيره (١٩٣/١) والبيهقى فى مجمع الزوائد (٢١٣/١٠) ومسند عبد بن حميد (١٨٧/١) والبيان والتعريف (١٣٥/١) وكشف الخفاء (٥٤٩/٢) .

^(٣) (الحج ٣٨)

^(٤) (البقرة: ٢٥٧)

طاعة أو وقوعاً في ذنب أو فترة في الهمة لو سلب لذاته خدمته .

وقد كان رجلاً من بنى إسرائيل أقبل على الله تعالى ثم أعرض عنه ، فقال : يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني ، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان : أن قل لفلان كم عاقبتك ولم تشعر ، ألم أسلبك حلاوة ذكرى ولذاته مناجاتي . وفائدة هذا البيان أن لا يحكم لإنسان آذى ولياً من أولياء الله تعالى بالسلامة إذا لم ترى عليه محنة في نفسه وماله وولده فقد تكون محنة أكبر من أن يطلع العباد عليها ، وقوله ﷺ حاكياً عن الله ﷻ ﴿ وما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ﴾^(١) فاعلم أن الفرائض التي اقتضاها الحق ﷻ من عباده على قسمين : ظاهرة .. وباطنة :

فالظاهرة: الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين ، وإلى غير ذلك .

والباطنة: العلم بالله والحب له والتوكل عليه والثقة بوعده والخوف منه والرجاء منه ، إلى غير ذلك ، وهي أيضاً تنقسم على قسمين: فعل وترك ، شيء يقتضى الحق منك أن تفعله ، وشيء يقتضى الحق منك أن لا تفعله ، وقد جمع ذلك في آية واحدة فقال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾^(٢) فهذا أمر طلب منك أن تفعله ثم قال الله تعالى ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾^(٣) فهذا أمر يقتضى منك أن تتركه

ثم اعلم - رحمك الله تعالى - أن الله تعالى لم أمر العباد بشيء وجوباً أو يقتضيه منهم ندباً إلا والمصلحة لهم في فعل ذلك الأمر ولم يقتضى منهم ترك شيء تحريماً أو كراهة إلا والمصلحة لهم في تركه ، أمرهم بتركه وجوباً أو ندباً ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى أنه يجب عليه رعاية مصالح عباده ، بل إنما نقول ذلك عادة الحق وشريعته المستمرة فعلها مع عباده على سبيل التفضل ، فليت شعري إذا قالوا : يجب على الله رعاية مصالح عباده ، فمن هو الموجب عليه؟ ثم إذا نظرنا فرأينا كل مأمورية أو مندوب إليه يستلزم الجمع على الله وكل منهى عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه ، فإذا مطلوب الله تعالى من عباده وجود الجمع عليه .

ولكن الطاعات هي أسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها ، والمعصية هي أسباب

(١) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (٤٧٧/٨)

(٢) (النحل : ٩٠)

(٣) (الإسراء : ٧٩)

الترفة ووسائلها، فلذلك نهى عنها، وأما الفرائض الظاهرة فلا تنفك عن فروض باطنة وفرائض الباطنة شروطها وعمدة لها، وبين الفروض الظاهرة والباطنة ما بين الظاهر والباطن وافهم هاهنا قوله ﷺ {نية المؤمن خير من عمله} ^(١) وكذلك الذنوب الباطنة كبائرهما وصغائرهما أشد من الذنوب الظاهرة كبريها وصغيرها، ولما كانت الفرائض اقتضاها الحق من عبده اقتضاها إلزام حتمه عليه لم يدخل العبد فيها إلا باختيار الله تعالى له، فاندفع هوى العبد فيها لأن الله ﷻ وقت إعدادها وإمدادها وأسبابها، فلما كان ذلك كان قيام العبد فيها منقطعاً عن اختياره لنفسه راجعاً إلى اختيار الله تعالى له، فأوجب القرب من الله تعالى ما لم يوجبه غيرها، فلذلك قال ﷺ {ما تقرب المتقربون} بمثل أداء ما افترضت عليهم، قال ﷺ {وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه} واعلم أن النوافل هي الزيادة، ولذلك يسمى النفل نفلاً وهو ما ينقله الإمام لمن يراه زائداً على نصيبه من الغنيمة، قال الله ﷻ {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ} ^(٢) أى: زيادة لك من فضلنا على ما اقتضته الفرائض لك.

واعلم أنه ﷺ لم يوجب شيئاً من الواجبات غالباً إلا وجعل من جنسه نافلة حتى إذا قام العبد بذلك الواجب وفيه خلل جبر بالنافلة التي هي من جنسه، ولذلك جاء في الحديث {أنه ينظر في صلاة العبد فإن قام بها كما أمره الله تعالى جوزى عليها وأثبتت له، وإن كان بها خلل كملت من نافلته} ^(٣) حتى قال بعض أهل العلم إنما تثبت لكم نافلة إذا سلمت لك الفريضة، ويعلم الله تعالى أن في عباده المؤمنين أقوياء وضعفاء كما جاء في الحديث {المؤمن القوى خيراً وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف} ^(٤) وفي كل خير، ففسح على الضعفاء بالاكتماء بالواجبات وفتح للأقوياء باب النوافل الخيرات، فعباد أنهمضهم إلى القيام بالواجبات، خوف عقوبته فقاموا لها تخليصاً لأنفسهم من وجود الهلكة وملاقاة العقوبة، فما قاموا لله شوقاً وطلباً للوفاء مع ربوبيته، فلو قبلوا بالمحافضة لم يقبل منهم قيامهم هذا لأنهم لم ينهضوا إلا لأجل نفوسهم ولم يطلبوا إلا حظوظهم، فقاموا لواجبات

(١) عن سهل بن سعيد قال: قال رسول الله ﷺ {نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته فإذا عمل المؤمن عملاً فار في قلبه نور} انظر المعجم الكبير (١٨٥/٦) رقم (٥٦٤٢)، وتاريخ بغداد (٢٣٧/٩) رقم (٤٨/١) بلفظ {وعمل الكافر}، وانظر ابن حجر في الفتح (١٨/١) في شرحه للنية رقم (١)، وانظر مسند الشهاب (١١٩/١) رقم (١٤٨) من حديث التماس بن سيمان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ {نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله}.

(٢) انظر: فيض القير (٩٥ / ٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣١/١) رقم (٧٩) بزيادة لفظه {ومن ل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء، فلا تقل لو إني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان}.

الله تعالى مجرورين بسلاسل الإيجاب كذلك جاء في الحديث { عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل }^(١) .

وأما العباد الآخرون فعندهم من غليان الشغف وجود الحب ما ليس تكفيهم الواجبات بل قلوبهم منغلقة إلى الله تعالى من عوائق هذه الدار، فلو لم يحجز عليهم التنقل بالصلوات في أوقات النهي لسردوا الأوقات بها، ولحملوا أنفسهم فوق ما يطيقون، وسما يدلك على أن الناس انقسوا على حزين القسعين، أن رسول الله ﷺ قال في حديث { بادروا بالأعمال سعياً حل ينظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مقعداً، أو حرباً مقيداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر }^(٢) فهذا الحديث يقتضى إنياض النسم إلى معاملة الله تعالى، والحث على المبادرة إلى طاعة الله تعالى، ومسابقة العوارض والقواطع قبل ورودها، فهذا خطاب للفريق الأول، فطالبهم الرسول ﷺ بالمبادرة بالأعمال وجاءت أحاديث أخرى آمرة العباد بالاعتقاد في الطاعة لئلا يطيعوا باعث الشغف فيحملوا أنفسهم فوق ما يطيقون فيؤدى ذلك إلى عجزهم عن طاعة الله تعالى أو قيامهم فيها بوجوب التكلف .

وقال ﷺ { أكفلوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا }^(٣) وقال { القصد، القصد تبغوا }^(٤) وقوله { أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق }^(٥) وقوله { ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله تعالى }^(٦) ومثل القائم بالواجبات المكتفى بها والقائم بها وبالنوافل كمثل عبيدين خارجين المالك على أربعة دراهم كل يوم فأما إحداها فقام بها ولم يزد، وأما الآخر فقام بها وعمد إلى ظروف الفواكه وغرائب التحف فاشتراها وأحداها إلى السيد، فهو لا شك أولى بود السيد من العبد الآخر .

وقوله تعالى ﴿ فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ﴾ الحديث معناه وجود البقاء بعد الفناء فتمحى أوصافك .

وسنعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول: إن لله تعالى عبادا محق أفعالهم بأفعاله،

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١ / ٢٥١) .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٢٦٠) والحافظ المنذرى في الترغيب والترهيب (٤ / ٢٥٠) والسيوطى فى الدرر المنتثر (٦ / ١٣٧)، وابن عدى فى الكامل فى الضعفاء (٦ / ٢٤٣٤)، والمتقى الهندى فى كنز العمال (٤٣٥٦٧) .

(٣) أخرجه أبو داود (١٣٦٨)، والنسائى (٢ / ٦٨) .

(٤) صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه (٨ / ١٢٢) وأحمد فى مسنده (٢ / ٥١٤) .

(٥) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٣ / ١٨) وابن المبارك فى الزهد، وابن عبد البر فى التمهيد (١ / ١٩٥) .

(٦) أخرجه ابن ماجه (٢ / ٢٧) والزيبى فى اتحاف السادة (٥ / ١٦١) .

وأوصافهم بأوصافه ، وذاتهم بذاته ، و حملهم من أسرازه ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه وهم الذين غرقوا في بحر الذات وتيار الصفات ، ففي إذن فئات ثلاث :

أن يفنك عن أفعالك بأفعاله ، وعن أوصافك بأوصافه ، وعن ذاتك بذاته ، ولذلك قال قائلهم :

وقوم تاه في أرض بقفز وقوم تاه في ميدان حبه
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا وأبقوا بالبقاء من قرب قربه

فإذا أفنك عنك أبقاك به ، فالفناء دهليز البقاء ومنه يدخل إليه . فمن صدق فناؤه صدق بقاؤه . ومن كان عما سوى الله تعالى فناؤه كان بالله تعالى بقاؤه . ولذلك قالوا :

من كان في الله تعالى تلفه كان على الله تعالى خلفه . فالفناء يوجب عذرهم والبقاء يوجب نصرهم . الفناء يوجب غيبتهم عن كل شيء والبقاء يحضرهم مع الله في كل شيء فلا يقطعون عنه في شيء . الفناء يميتهم ، البقاء يحييهم ، ومن دكت جبال وجوده استمع داعي شهوده ، قال الله ﷻ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ^(١٠٠) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ^(١٠١) لَا تَبْقَى فِيهَا جِوَارًا وَلَا أَمْتًا ^(١٠٢) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ^(١٠٣) ﴾ ^(١) وصاحب البقاء يقوم عن الله تعالى ، وصاحب الفناء يقوم الله تعالى عنه .

وقوله تعالى ﴿ وما ترددت في شيء أنا فاعله تردد عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت ، وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾

واعلم رحمك الله تعالى أن التردد يجب تأويله ولا يحمل على ظاهره وإنما التردد في المخلوقين إما لتقابل الحوادث ، وإما لأنها من العواقب ، وذلك محال في حق الحق ﷻ .

وإنما المراد بالتردد هاهنا أن سابق علم الله يقتضي وفاة العبد بالوقت الذي سبق العلم بتعيينه . وصفة الرأفة تقتضي دفع ذلك لولا ما سبق العلم ، وقد أشار ﷻ إلى صفة الرأفة بقوله ﴿ يكره الموت وأكره مساءته ﴾ وأشار إلى صفة العلم بقوله ﴿ ولا بد له منه انعطاف ﴾ . اعلم رحمك الله تعالى بإقباله عليك وجعل أنواره وأصله إليك ، أنهما ولايتان ، ولي يتولى الله وولي يتولاه الله تعالى . قال الله ﷻ في الولاية الأولى ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

(١) (طه : ١٠٥ إلى ١٠٨)

وقال في الولاية الثانية ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ قال الشيخ أبو الحسن رحمته: من أجل مواهب الله تعالى الرضا بمواقع القضاء، والصبر عند نزول البلاء، والتوكل على الله تعالى عند الشدائد، والرجوع إليه عند النوائب، فمن خرجت له هذه الأربع من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة، ومتابعة السنة، والافتداء بالأئمة، فقد صحت ولايته لله ولرسوله والمؤمنين . ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ^(١)

ومن خرجت له من خزائن المنن على بساط المحبة، فقد تمت ولاية الله تعالى له بقوله ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ ففرق بين الولايتين، فعبد يتولى الله، وعبد يتولاه الله تعالى، فينا ولايتان صغرى وكبرى، فولايته لله تعالى خرجت من المجاهدة، وولايتك لرسوله خرجت من متابعة سنته، وولايتك للمؤمنين خرجت من الافتداء بالأئمة، فافهم ذلك من قوله ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية، وإعلم رحمك الله تعالى بورود عواطفه وفهمك لطائف عوارفه إن الصلاح فى قوله وَالَّذِينَ آمَنُوا وهو يتولى الصالحين ﴿ ليس مراداً به الصلاح الذى يقصده أهل الطريق عند تفصيل المراتب، فيقولون صالح وشهيد، وولى، بل الصلاح هنا المراد به، الذين صلحوا لحضرته، بتحقيق الفناء عن خليقته .

ألم تسمع قول الله وَالَّذِينَ آمَنُوا حاكياً عن يوسف عليه السلام ﴿ توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ﴾ أراد بالصالحين هذا المرسلين من آباءه لأن الله تعالى أهلهم لنبوته ورسالته، فكانوا لها أهلاً، وإن شئت قلت: هما ولايتان ولاية الإيمان وولاية الإيقان، فولاية الإيمان قال الله وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴿ الله ولى الذين آمنوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ^(٢) وفى هذه الولاية فوائد:

الفائدة الأولى: اختصاص اسم الله تعالى بالذكر فى هذا الموطن دون ما سواه من الأسماء فقال الله وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴿ الله ولى الذين آمنوا ﴾ ولم يقل الرحمن ولا القهار، ولا غير ذلك من الأسماء التى تتضمن الأوصاف، لأنه أراد أن يعرفك بشمول ولايته لسائر المؤمنين من الاسم الجامع لجميع الأسماء، فلو ذكر اسماً من أسماء الأوصاف لكانت الولاية من حيثية ذلك الاسم .

الفائدة الثانية: ربط الولاية بالإيمان ليعرفك غزارة قدر الإيمان وعلو منصبه، حيث كان سبباً لثبوت ولاية الله تعالى للعبد، ولا يفهم من هذه الآية اختصاص الولاية بمن وقى

منه الإيمان قبل نزول هذا الخطاب لإتيانه بصيغة الماضي، بل المراد من قام به الإيمان وجبت ولاية الله تعالى له، أى وقت كان ذلك الإيمان، وقد تساق الأفعال على صيغة خاصة وليس المراد خصوص تلك الصيغة كما تقول: قد أفلح من آمن وخاب من كفر... ألا ترى أن المراد بالأول: قد أفلح من كان منه إيمان، وقد خاب من كان منه كفر، من غير تعرض لزمان معين.

الفائدة الثالثة: قال ﷺ ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١) على وسع رحيمته وسبوغ نعمته إذ لما قال ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢) علم أنهم قد يدخلون فى الظلمات ولكن الله تعالى لولايته إياهم يتولى إخراجهم كما قال فى الآية الأخرى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾^(٣) الآية تساق المدح للمؤمنين كما ساق قوله ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ فساق البشارة لهم ولم يقل (والذين يفعلون الفاحشة) إذا لو قال ذلك لم يدخل فيها إلا أهل الاعتناء الأكبر، وكذلك قوله تعالى ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ﴾^(٤) وكذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَا غَضَبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾^(٥) فمدحهم بالمغفرة بعد الغضب ولم يقل (والذين لا يغضبون) فيصفهم بفقدان الغضب أصلاً، إذا الصفة التى هم متصفون بها لا تقتضى ذلك.

الفائدة الرابعة: إعلام الحق ﷺ فى هذه الآية للمؤمنين بشارة عظيمة تتضمنها ولايته لأنها تضمنت كل خير من خير الدنيا والآخرة من نور وعلم وفتح وشهود ومعرفة ويقين وتأيد ووجود ومزيد وحرور وقصور وأنهار وثمار، ورؤية الله تعالى ورضاء عن الله تعالى، وما بين ذلك من الحشر مع المتقين وأخذ الكتاب باليمين وثقل الميزان بالحسنات والثبات على الصراط، وما سوى ذلك من المنح والمواهب تتضمنه ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين فهى البشارة التى تضمنت كل بشارة.

واعلم أن ولاية الله تعالى تتضمن النفع والدفع، أما النفع فمن قوله ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً آمَنَتْ لَفَتَّعَهَا إِيْمَانُهَا﴾^(٦) ومن قوله ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا﴾^(٧) وهذا فى صفة الكافرين، فنفهمه أن الإيمان ينفع المؤمنون ولو عند رؤية الناس، وكذلك قوله ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسِبَتْ

(٢) (آل عمران: ١٣٥)

(٤) (الشورى: ٢٧)

(٦) (غافر: ٨٥)

(١) (البقرة: ٢٥٧)

(٢) (آل عمران: ١٣٤)

(٣) (يونس: ١٠)

فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا^(١) فنفهمه إذا كانت مؤمنة من قبل ينفعها إيمانها: وأما الدفع فمن قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) وتتضمن النصرة لقوله تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) تتضمن النجاة لقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

الفائدة الخامسة: قوله تعالى ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٤) أى: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات البدعة إلى نور السنة، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة، ومن ظلمات الحفظ إلى نور الحقوق، ومن ظلمات طلب الدنيا إلى نور طلب الآخرة، ومن ظلمات المعصية إلى نور الطاعات، ومن ظلمات الكثائف إلى نور اللطائف، ومن ظلمات الهوى إلى نور التقوى، ومن ظلمات الدعوى إلى إشراق نور التبرى من الحول والقوى، ومن ظلمات الكون إلى شهود المكون، ومن ظلمات التدبير إلى إشراق نور التفويض، إلى غير ذلك مما لا يحصره العدد مما يخرجهم عنه ويخرجهم إليه .

وأما الولاية الثانية: ولاية الإيقان، وهى تتضمن الإيمان والتوكل، وقد قال الله ﷻ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٥) ولا يكون التوكل إلا مع اليقين، ولا يكون توكل ويقين إلا مع الإيمان لأن اليقين عبارة عن استقرار العلم بالله تعالى فى القلب مأخوذ من يقن الماء فى الجبل إذا استقر وسكن فيه، فكل يقين إيمان وليس كل إيمان يقيناً، والفرق بينهما أن الإيمان قد يكون مع الغفلة، واليقين لا تجامعه الغفلة، وإن شئت قلت هما ولايتان: ولاية الصادقين، وولاية الصديقين .

فولاية الصادقين: بإخلاص العمل لله تعالى والقيام بالوفاء مع الله تعالى طلباً للجزاء من الله تعالى .

وولاية الصديقين: بالفناء عما سوى الله تعالى والبقاء فى كل شيء بالله تعالى .

وقد قال الشيخ أبو الحسن ﷺ فى بعض كتب الله تعالى المنزلة على بعض أنبيائه: { من أطاعنى فى كل شيء أطعته فى كل شيء }

فقال الشيخ أبو الحسن { من أطاعنى فى كل شيء بهجرانه لكل شيء أطعته فى كل شيء، بأن أتجلى له دون كل شيء حتى يرانى أقرب إليه من كل شيء } هذه طريقة أولى وهى طريقة السالكين .

(٢) (الحج: ٢٢)

(٤) (البقرة: ٢٥٧)

(١) (الأنعام: ١٥٨)

(٢) (الروم: ٤٧)

(٣) (الطلاوة: ٣)

وطريق كبرى .. من أطاعنى فى كل شىء بإقباله على كل شىء يحسن إرادة مولاه فى كل شىء أطعته فى كل شىء . بأن أتجلى له فى كل شىء حتى يرانى كائى فى كل شىء . وإذا عرفت هذا فاعلم أنهما ولايتان: ولى يغنى عن كل شىء فلا يشهد مع الله تعالى شيئاً . وولى يبقى فى كل شىء فيشهد الله تعالى فى كل شىء . وهذا أتم، لأن الله تعالى لم يظهر الملكة حتى يشهد فيها .

فالكائنات مرآيا الصفات فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه فما نصبت الكائنات لتراها، ولكن لترى فيها مولاها، فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها ولنا فى هذا المعنى شعر:

ما أبنيت لك العوالم إلا لترأها بعين من لا يراها
فارق عنها رقى من ليس يرضى حالة دون أن يراها مولاها

فالنظر للكائنات غير شاهد للحق فيها غافل، والغافى عنها عبد بسطوات الشهود ذاهل، والشاهد للحق فيها عبد مخصص كامل، وإنما ترفع الهمّة عن الكون من حيث كونيته . لا من حيث ظهور الحق فيه، فأعضاء الزهاد والعباد وأهل الإرادة عن الكون لأنهم لم يسبق ظهور الحق فيه، وذلك لعدم نفوذهم إليه فى كل شىء . لا لعدم ظهوره فى كل شىء، فإنه ظاهر فى كل شىء حتى أنه ظاهر فيما به احتجب فلا حجاب، ولنا فى هذا المعنى شعر:

كل مُحْتَاج وأنت لك الفتى	يمثلنى من يُخْطئ ومثلك من يعفو
وأنت الذى أبدى الوداد تَكْرُماً	ومثلك من يَرْعَى ومثلنى من يجفو
وما طابَ عيش لم تكن فيه وإصلاً	ولم يصف لا والله أنى له يصفو
عزمت على أن أترك الكون كله	وأقْفُو سبل الحب والمجتبى يقفو
شهودكم يَجْلُو الحجاب لأنه	إذا حقق التحقيق صار هو الكشف
وما أحسن الأحباب فى كل حاله	فالله ما يبدو والله ما يخفو
وإن الأولى لم يشهدوك بمشهد	قلوبهم عن نيل سر الهوى غُلْفُ
وأنت الذى أظهرت ثم ظهرت فى	جميع المبادئ مثل ما شهد العرفُ
ظهرت لكل الكون فالكون مظهر	ونى له أيضاً كما جاءت الصحف
فأى فؤاد عن ودادك ينثنى	وأية عين بعد قربك لن تغفو

وأية نفس لم يملها هواكم على حبكم طرا نفوس الورى وقف

وان شئت قلت هما ولايتان . ولاية دليل وبرهان .. وولاية شهود وعيان: فولاية
الدليل والبرهان: لأهل الاعتبار . وولاية الشهود والعيان: لأهل الاستبصار .

فلأهل الولاية الأولى قوله ﷺ ﴿ سُرِّيَهُمْ آيَتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^(١) .

ولأهل الولاية الثانية قوله ﷺ ﴿ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾^(٢) .

وأرباب الدليل والبرهان عند أهل الشهود والعيان، لأن أهل الشهود والعيان قدسوا
الحق في ظهوره إن يحتاج دليل يدل عليه، وكيف يحتاج إلى دليل من نصيب الدليل؟
وكيف يكون معروفاً به؟ وهو المعروف له، قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: كيف يعرف بالمعارف
من به عرفت المعارف، أو كيف يعرف بشيء من سبق وجوده، وجود كل شيء؟

وقال مرید لشيخه: يا أستاذ أين الله تعالى؟ فقال له: أسحقتك الله أتطلب من العين
الآين، وأنشد بعض العارفين:

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمر
ثم استترت عن الأبصار يا أحد فكيف يعرف من بالعزة استتر

فما احتجب الحق عن العباد إلا بعظم ظهوره، ولا منع الأبصار أن تشهده إلا
قهارية نوره فعظم القرب هو الذى غيب عنك شهود القرب، قال الشيخ أبو الحسن: حقيقة
القرب أن تغيب فى القرب عن القرب لعظم القرب لمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنوا
منها كلما دنا تزايد ريحها فإذا دخل البيت الذى هو فيه انقطعت رائحته عنه، وأنشد
بعض العارفين:

كم ذاتموه بالشعبين والعلم والأمر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها وعن تهامة هذا فعل منهم
ووجدت بخط شيخنا أبى العباس ﷺ شعراً:

أعندك من ليلى حديث محرر بإيراد يحيا الرميم وينشر
فعهدى بالعهد بها القديم وأنسى على كل حال فى هواها مقصر

وقد كان عنها الطيف قدماً يزورن
فهل يحلف حتى بطيف خيالها
ومن وجه ليلى طلعت الشمس تستغني
وما احتجت إلا برفع حجابها
ولم يزر ما باله يستعذر
أم أعتل حتى لا يصح التصور
وفى الشمس أبصار الورى تتحير
ومن عجب أن الظهور تمتد

واعلم: أن الأوله إنما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده، فإن المشاهد غنى بوضوح الشهود عن أن يحتاج إلى دليل، فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل إليها كسبية، ثم تعود فيها نهايتها ضرورية، وإذا كان من الكائنات ما هو غنى بوصفه عن إقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها .

وقد قال الشيخ أبو الحسن عليه السلام: وأنا لننظر إلى الله ببصر والإيقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان، وأنا لنرى أحداً من الخلق هل في الوجود أحداً سوى الملك الحق، وإن كان ولا بد فقابلها في الهوى، إذا فتشتها لم تجد شيئاً، ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة إليه، فليت شعري هل لها وجود معه حتى وصل إليه؟ أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له؟ وإن كانت الكائنات موصلة إليه فليس ذلك لها من حيث ذاتها، لكن هو الذى ولاهم رتبة التوصيل فوصلت، فما وصل إليه غير ألوهيته . ولكن الحكيم من وضع الأسباب وهي لمن وقف عندها ولم ينفذ إلى قدرته عين الحجاب .

ولقد قال الراوى: أصبح رسول الله ﷺ فى أثر ما كان فى الليل، فقال { أتدرون ماذا قال ربكم؟ } قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال { قال ربكم: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى } ^(١) { فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا أو نبوء كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب } ^(٢) فلا بد من الأسباب وجوداً ولا بد من الغيبة عنها شهوداً، وكيف تكون الكائنات مظهرة له وهو الذى أظهرها، أو معرفة له وهو الذى عرفها .

فإن قامت فقد جاء فى الحديث { من عرف نفسه فقد عرف ربه } ^(٣) فهذا دليل

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٠٥/٢) رقم (٢٩٥٤) بلفظ { ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً إلا من أحياه الله بالعلم ، والدارمى (١٠٩/١) رقم (٣٣٨) .

(٢) رواد مالك فى الموطأ . ذكره القرطبى فى تفسيره (١٧ / ٢٣٠)

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٠٨/١٠) وانظر: فيض القدير (٥٠/٥) .

على أن معرفة النفس موصولة إلى معرفة الله تعالى، وهى كون من الأكوان، ففيه إثبات توصيل الكائنات إليه .

فاعلم: أنى سمعت شيخنا أبا العباس عليه السلام يقول: فى هذا الحديث تأويلان:

إحداهما: من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزته وقدرته وغناه، فتكون معرفة النفس أولاً ثم معرفة الله تعالى من بعد .

والثانى: من عرف نفسه عرف ربه، أى: من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على أنه عرف الله من قبل . فالأول حال السالكين والثانى حال المجذوبين .

واعلم: بسط الله لك بساط بنته وجعلك من أهل حضرته أن الله سبحانه إذا تولى ولياً صان قلبه من الأغيار، وحرسه بدوام الأنوار، حتى لقد قال بعض العارفين: إذا كان الحق سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهب كيلا يسترق السمع منها فقلب المؤمن أولى بذلك، لقوله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله ﷺ ﴿لَمْ يَسْعِنِ أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَوَسَعِنِي قَلْبَ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ﴾^(١) فانظر رحمك الله تعالى، هذا الأمر الأكبر الذى أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلاً .

ولقد قال الشيخ أبو الحسن: لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والأرض، فما ظنك بنور المؤمن المطيع، ولقد سمعت شيخنا أبا العباس يقول: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته .

ولقد أخبرنى بعض المريدين قال: صليت خلف شيخى صلاة فشهدت ما أبهر عقلى، وذلك أنى شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت الأنوار من وجوده حتى أنى لم أستطع النظر إليه فلو كشف الحق عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر فى مشرقات أنوار قلوبهم، وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب، وأنوار قلوب أوليائه لا كسوف لها ولا غروب، ولذلك قال قائلهم:

إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب

ونور الشمس تشهد به الآثار ونور اليقين يشهد به المؤثر

ولنا فى هذا المعنى شعراً:

هذه الشمس قابلتنا بنور وشمس اليقين أبهر نوراً

(١) أخرجه الزبيدي فى اتحاف السادة المتقين (٧ / ٢٤٣)، انظر أحاديث القصاص لابن تيمية (١ / ١)

فراينا بهذا النور لكن بهاتيك قد رأينا المنيرا

لكن الحق ﷺ يوفى أعيان الممكنات حقها ويعطيها قسطها فيقرر لكل كون رتبته ويوفيه دولته، فلذلك ستر من الخصوصية في وجود البشرية، ولا بد للشمس من سحاب وللحسن من نقاب، وهل يكون الكنز إلا مدفوناً والسر إلا مصوناً، وصنع ذلك سبحانه ليكون سر الولاية غيبياً فيكون المؤمن به مؤمناً بالغيب، وأيضاً أجل سر ولايته أن يظهره في دار لا بقاء لها، فأرخص عليه ذيل الستر حتى إذا كانت الدار الآخرة التي رضيها أهلاً لظهوره واقترباه ووجوده كشف حجاب، كذلك يكشف الحجاب هنالك عن سر الولاية، ويجل مقداره ويرفع مناره .

واعلم: رحمك الله أن من أراد الله به أن يكون داعياً إليه من أوليائه فلا بد من إظهاره إلى العباد إذ لا يكون الدعاء إلى الله إلا كذلك، ثم لا بد أن يكسوه الحق كسوتين الجلالة والبهاء، الجلالة: لتعظمه العباد ويقفوا على حدود الأدب معه، ويضع له في قلوب العباد هيبة وينصره بها ليكون إذا أمر ونهى مسموعاً أمره ونهيه، وجعل هذه الهيبة في قلوب العباد تمكين الحق له ليعينه على القيام له بالنصرة، قال الله ﷻ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (١) وهي إظهار الحق لعباده المؤمنين، قال سبحانه ﴿وَاللَّهُ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ولهذه الهيبة التي جعلها الحق في قلوب العباد لأوليائه سرت إليهم لانبساط جاه المتبوع عليهم .

ألم تسمع قوله ﷺ { ونصرت بالرعب مسيرة شهر } (٣) ألبسهم الحق ملابس هيبة، وأظهر عليهم إجلال عظمتهم، كلما نزلوا أرض العبودية رفعهم إلى سماء الخصوصية، فهم الملوك إن لم تخفق عليهم البنود والأعزاء، وإن لم تسر أمامهم الجنود، والله در القائل في مالك بن أنس رحمه الله شعراً:

يأتى الجواب فما يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

(١) (الحج ٤١)

(٢) (المتافون ٨)

(٣) انظر المعجم الكبير (٢٥٧/٨) رقم (٨٠٠١) من أحاديث أبي إمامة قال: قال رسول الله ﷺ { إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ فَعَلْنِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ - أَوْ قَالَ أَمْتِي عَلَى الْأُمَمِ - بِأَرْبَعٍ أَرْسَلَنِي إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَجَعَلَ الْأَرْضَ كُلَّهَا لِي وَلَأَمْتِي طَهُورًا وَمَسْجِدًا فَأَيْنَمَا أَدْرَكَ رَجُلٌ مِنْ أَمْتِي الصَّلَاةَ فَمَنْدَدَ مَسْجِدٍ وَعِنْدَهُ طَهُورٌ، وَنَصَرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَأَحْلَلْتُ الْغَنَائِمَ } وانظر تهذيب الكمال (٣١٧/١٢) رقم (٢٦٧٢) وقال: حسن صحيح، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢٨/٦)

ومن ملكه الله أمر نفسه وهواه فقد أتاه الله الملك، قال تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾^(١).

وسمعت شيخنا أبا العباس عليه السلام يقول: قال ملك من الملوك لبعض العارفين: تمن على، فقال له ذاك العارف: إلى تعول ولى عبدان قد ملكتهما وملكاك، وقهرتهما وقهراك وهما الشهوة والحرص، فأنت عبد عبدى فكيف أتمنى على عبد عبدى.

الكسوة الثانية التى يكسوها الحق لأوليائه إذا أظهر لهم كسوة البهاء، وذلك ليحليهم فى قلوب عباده فينظرون إليهم بعين المنّة والمحبة فيكون ذلك باعترالهم على الانقياد إليهم، أفلا ترى كيف قال الله تعالى فى شأن موسى عليه السلام ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾^(٢) وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٣) فحلاهم تحلية التبعية ليحبهم العباد فيجرهم حبهم إلى حب الله، والحب فى الله يوجب المحبة من الله، لقوله عليه السلام حاكياً عن الله {وجبت محبتى للمتحابين فى}^(٤) وهى أربع مراتب: الحب لله .. والحب فى الله .. والحب بالله .. والحب من الله، فالحب لله ابتداء، والحب من الله انتهاء، والحب فى الله وبالله واسطة بينهما الحب لله هو أن تؤثره ولا تؤثر عليه، سواء والحب فى الله أن تحب فيه من والاه، والحب بالله أن يحب العبد من أحبه، وما أحبه مقتطعاً عن نفسه وهواه، والحب من الله هو أن يأخذ من كل شىء، فلا تحب إلا إياه، وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور، وعلامة الحب بالله أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهور، وعلامة الحب من الله أن يجذبك إليه فيجمل ما سواه عنك مستور.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى: من أحب الله وأحب الله فقط تمت ولايته، والمحبة على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة له غير مشيئته، فإذا من ثبتت ولايته من الله لا يكره الموت، ويعلم ذلك من قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٥)

فإذا الولى على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه، وقد أحب الله من لا محبوب له سواه، وأحب له من لا يحب شيئاً لهواه، وأحب لقاءه من ذاق أنس مولاه، ويتمحض لك

(١) (آل عمران: ٢٦)

(٢) (مريم: ٩٦)

(٣) (طه: ٣٩)

(٤) أخرجه الزبيدى فى اتحاف السادة المتقين (٥ / ٢٤٥)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٧ / ٢٨).

(٥) (الجمعة: ٦)

الحب له في عشرة فاعتبرها فيما وراءها، في الرسول ﷺ، وفي الصديق والفاروق
والصحابه التابعين والأولياء والعلماء الهداة إلى الله والشهداء والصالحين والمؤمنين، فإذا
افترق الأمر بعد الإيمان إلى عشرة أشياء إلى السنة والبدعة والهداية والضلالة والطاعة
والمعصية والعدل والجور والحق والباطل .

وميزت وأحببت وأبغضت له وأبغض له ولست تبالي بأيهما كنت، وقد يجمع لك
الوصفان في شخص واحد، ويجب عليك القيام بحقهما جميعاً فإذا بان لك الحب في
العشرة الأولى فانظر هل ترى للهوى هناك أثراً، فكذاك فاعتبر حب من حضر من إخوانك
الصادقين والمشايخ الصالحين والعلماء المهديين وسائر من أحضر ومن حضر بمن غاب عنك أو
مات، فإن وجدت قلبك لا متعلق له بمن حضر كما لا متعلق له بمن غاب أو مات فقد
خلص الحب من الهوى وثبت الحب لله تعالى .

وإن وجدت شيئاً يتعلق به فيمن يحب أو فيما تحب فارجع إلى العلم واتقن النظر
في الأقسام الخمسة من الواجب والمندوب إليه والمكروه والمحظور والمباح، واعلم أن قول
الشيخ: من ثبتت ولايته لا يكره الموت، هذا ميزان أعطاه الله للمريدين ليزنوا به على
نفوسهم إذا ادعى فيهم أو ادعوا ولاية الله، فإن من شأن النفوس وجود الدعوى والتوثب إلى
المراتب العالية من غير أن يسلك السبيل الموصلة إليها، ولهذا قال سبحانه ﴿ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١) وقال الرسول ﷺ لحارثة { لكل حق حقيقة فما حقيقة
إيمانك }^(٢) لما قال له: كيف أصبحت فقال: أصبحت مؤمناً حقاً ولا يحب الموت من فيه
البقاياء ولا من هو مصر على شيء من الخطايا، وجعل الله تمنى الموت شاهد للولى بولايته
وعدم تمنيه شاهداً للغوى بغوايته .. قال الله ﷻ ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾^(٣)

والموت ميزان على الأفعال والأحوال كما هو ميزان في دائرة الرتب، أما الرتب فكما
تقدم وأما الأفعال والأحوال، فإذا التبس عليك أمر، وأنت فيه لا تدري رضى الله بتركه أو
فعله أو حال أنت بها لا تدري هل قمت فيها بحق أو قمت فيها بهوى، فأورد الموت على
ما أنت فيه من أفعال وأحوال فكل حالى وعمل يثبت مع تقدير ورود الموت حق والحق

(١) (البقرة: ١١١)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (١١٥)، والمجلواني في كشف الخفاء (٢ / ٢٠٨)، وابن الأثير في أسد الغار
في معرفة الصحابة (١ / ٤٢٥ - ٤٢٦) وقال رسول الله ﷺ لأمه يوم استشهاده { يا أم حارثة إنها ليست بجدة
واحدة، ولكنها جنات، وحارثة في الفردوس الأعلى } وهذا الحديث يشرح الحديث الذى أورده ابن حجر فى فتح
بارى بقوله: بقرة تتكلم آمنت بها وآمن بها أبو بكر وعمر .

(٣) (الرحمن: ٩)

يهزم الباطل، ويدمغه لقوله ﷺ ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾^(١)
 وقال ﷺ ﴿قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب﴾^(٢) وقال ﷺ ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾^(٣)

وما كنت فيه قائما بحق لم يهزمه الموت، إذا هو حق والموت حق، والحق لا يهزم الحق. وقد تجاربت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي إخلاص النية فيه وأن لا يشتغل به إلا لله، فقلت له: الذي يقرأ العلم لله هو الذي إذا قلت له: غداً تموت لم يضع الكتاب من يده، وربما غر الغافل من طلبه العلم قول من قال: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، وليس قى قول القائل ما يستروح به من طلب العلم للرياسة والتفاضة وإنما أخبر هذا القائل عن أمر من الله به عليه، وقتنة سلمه الله منها لا يلزم أن يقاس عليه فيها غيره، ذلك بطلانية من به مرض مزمن في المعايير علاجها وضاق منه خلقه فأخذ خنجراً وضرب به مرقاً^(٤) بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك في المعايير فقطعه فخر الداء منه، فهذا لا يستصوب العقل، فعله، وإن نجحت عاقبته، وليست سلامة العواقب رافعة للمعيب عن الملقين أنفسهم إلى التهلكة، ليس المغر بمحمود وإن سلما. وقول الشيخ: وقد أحب الله من لا محبوب له سواه، فهو كلام يستدعي معرفة المحبة وما هي.

اعلم أن المحبة هي من أجل مقامات اليقين حتى اختلف أهل الله أيها أتم، مقام المحبة^(٥)، أم مقام الرضا، وإن كان الذي نقول به أن مقام الرضا أتم لأن المحبة ربما حكم سلطانها على الحب وقوى عليه وجود الشغف فأداه ذلك إلى طلب ما يليق بمقامه، إلا ليرى أن المحب يريد دوام شهود الحبيب، والراضي عن الله راض عنه أشهده أم حبيب، بحب دوام الوصلة، والراضي عن الله راض عنه وصله أو قطعه، إذ ليس هو مع ما يريد لنفسه، بل إنما هو مع ما يريد الله له، والمحب طالب لدوام مراسلة الحبيب، والراضي لا

(٢) (ص: ٤٨)

(١) (الأنبياء: ٨٨)

(٢) (الإسراء: ٨١)

(٣) مرقا البطين يفتح الميم وتشديد القاف فارق منه ولا واحد له، والرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق وثله قوله تعالى ﴿في رق منشور﴾ والريق ضد الفليظ والثخين: وقد رق الشيء يرق بالكسر رقة، انظر مختار الصحاح ص ١٠٦
 (٤) والمحبة عند أغلب الصوفية أعلى مقاماً من غيرها وخاصة عند زاوية المدوية، المحبة عند أربعة تمثل مقامها الأربع، وسراجها المنير، وتاج نهجها الروحي الجميل، قيل لها: ما تقولين في الجنة، قالت: الجار ثم الدار، وقالت أربعة أيضاً: المحب لله لا يسكن أتينة وحنيئة حتى يسكن مع محبوبه. وقال أبو الحسن الوراق: السرور بالله منى شدة المحبة له، والمحبة هي القلب نار تحرق كل دنس، وسئل الجنيد البغدادي عن المحبة فقال: دخول صفات المحبوب على البذل، وهذا على معنى قوله تعالى في الحديث القدسي ﴿إذا أحببتني كنت له سمعاً وبصراً﴾ وذلك لأن المحبة إذا صفت وكلت لا تزال تجذب بوصفها إلى محبتها، فإذا انتهت إلى غاية جهدها وقعت الرابطة متصلة متأكدة ثابتة.

طلب له . ولنا في هذا المعنى شعر :

وكننت قديماً أطلب الوصل منهم فلما أتاني العلم وارتفع الجهل
تيقننت أن العبد لا طلب له فإن قربوا أفضل وإن بعدوا عدل
وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو

قال الشيخ أبو الحسن : المحبة آخذة من الله لقلب عبده عن كل شيء سواه ، فترى النفس مائلة لطاعته ، والعقل متحصناً بمعرفته ، والروح مأخوذة في حضرته ، والسر مغموراً في مشاهدته ، والعبد يستزيد فيزاد ، ويفتح بما هو أعذب من لذيق مناجاته فيكسى حلال التقريب على بساط القربة ، ويمس أباك الحقائق وثيبات العلوم فمن أجل ذلك قالوا : أولياء الله عرائس . ولا يرى العرائس المجرمون . قال له قائل : قد علمت الحب فيما شراب الحب ؟ وما كأس الحب ؟ ومن الساقى ؟ وما الذوق ؟ وما الشراب ؟ وما الرى ؟ وما السكر ؟ وما الصحو ؟ فقال : الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب ؛ والكأس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب ؛ والساقى المتولى للمخصوص الأكبر والصالحين من عبادته ؛ وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبائه ، فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى منه بشيء نفساً أو نفسين ، ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقاً ، ومن توالى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة ، فذاك هو الرى وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدري ما يقال ولا ما يقول فذاك هو السكر وقد تدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات ويردون إلى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تراحم المقدورات ، فذاك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في لييلهم وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم . قال **عنه** : ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١)

قال الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبي الحسن الشاذلي : الزم الطهارة من الشرك ، كلما أحدثت تطهرت ؛ ومن دنس حب الدنيا كلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ، ما أفسدت بالهوى أو كدت ، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة ، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو كلما أفقدت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك و صحوك به ، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب .

والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدر كمال جلاله . ولعلنى أحدث من

لا يعرف المحبة ولا الشراب، ولا من الشراب ولا الكأس ولا السكر ولا الصحو قال له القائل: أجل وكم غريق فى الشيء لا يعرف بغرقه ! فعرفنى ونبهنى عما أجهل ! أو لا من به على وأنا عنه غافل !

قلت لك: نعم المحبة آخذة من الله قلب من أحب بما يكشف له عن نور جماله، وقدس كمال جلاله . وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعمت بالنعمت، والأفعال بالأفعال، ويتسع فيه النظر لمن شاء الله، والشراب سقيا القلوب والأوصال، والعروق من هذا الشراب حتى يسكر ويكون الشراب بالتدريب بعد التدويب، والتهذيب، فيسقى كل على قدره، فمنهم من يسقى بغير واسطة الله سبحانه يتولى ذلك منه له، ومنهم من يسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين ومنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعده شيئا، فما ظنك بعد بالذوق، وبعد بالشرب، وبعد بالرى، وبعد بالسكر، بالمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما أن السكر أيضا كذلك، والكأس معرفة الحق يغرف بها من ذلك الشراب الطهور والمحض الصافى لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه، فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة، وتارة يشهدا معنوية، وتارة يشهدا علمية .

فالصورة حظ الأبدان والأنفس، والمعنوية حظ القلوب والعقول، والعلمية حظ الأرواح والأسرار، فياله من شراب، ما أعذبه فطوبى لمن شرب منه ودوام لم يقطع عنه . نسأل الله من فضله . قال ﷺ ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) .

وقد يجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحدة، وقد يسقون من كنوس كثيرة، وقد يسقى الواحد بكأس وكنوس، وقد تختلف الأشربة حسب عدد الكنوس، وقد يختلف الشراب من كأس واحدة، وإن شرب منه الجم الغفير من الأحبة انعطاف، ثم اعلم فتح الله قلبك بشهود أنواره أو والى عليك ورود معارفه وأسراره، أن من أجل مواهب الله لأوليائه وجود العبارة .

سمعت شيخنا أبا العباس يقول: يكون الولي مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة كان كالإذن من الله له فى الكلام ويجب أن يفهم أن من أذن له فى التعبير تهيأت فى مسامع الخلق عبارته، حليت لديهم إشارته .

وسمعت شيخنا أبا العباس يقول: كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وتلاوة، وكلام الذى يؤذن لم له يخرج مكسوف الأنوار، حتى إن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر .

ثم اعلم أن مبنى أمر الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاعتناء بشهوده . قال الله ﷻ ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ^(١) وقال ﷻ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ ^(٢) وقال ﷻ ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ ^(٣) وقال ﷻ ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ^(٤) فمتى أمرهم فى بداياتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق، وإخفاء الأعمال وكنم الأحوال، تحقيقاً لفنائهم وتثبيتاً لزهدهم وعملاً على سلامة قلوبهم، وحياً فى إخلاص أعمالهم لسيدهم حتى إذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين، ويحققوا بحقيقة الفناء وردوا إلى وجود البقاء، فهناك إن شاء الحق أظهرهم، وإن شاء سترهم، وإن شاء أظهرهم هادين لعباده إليه، وإن شاء سترهم فاقطعهم عن كل شيء إليه، وظهور الولي ليس بإرادته لنفسه، لكن بإرادة الله له بل مطلبه إن كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه، فما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد سبحانه إظهارهم فأظهرهم، وتولاهم فى ذلك بتأييده وإرادة مزیده، لقوله ﷻ ﴿ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أَعْنَتَ عَلَيْهَا، وَأَنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا ﴾ ^(٥) ومن تحقق منها بالعبودية لله لم يطلب ظهوراً ولا خفاً، بل إرادته وقف على اختيار سيده له .

وقال الشيخ أبو العباس: من أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفا فهو عبد الخفا . ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره وأخفاه .

ولنختم هذه المقدمة بذكر كرامات أولياء الله جوازاً ووقوعاً، وأقسام ذلك على سبيل الاختصار، وكون هذا قد سبق إلى الكلام عليه بالإيعاب من غيرنا، قد أقام لنا الأعذار لكننا ننبه على نكت مفيدة لأولى الألباب، ونكشف عن وجه حسنها ما أسدل عليه من نقاب، ليكون ذلك مهياً لك لقبول ما نورده عن هذه الطائفة من الكرامات، وما نسنده إليهم من باهر الآيات إن شاء الله تعالى .

(١) (الملق: ١٤)
(٢) (فصلت: ٥٣)

(٣) (الطلاق: ٣)
(٤) (الزمر: ٣٦)

(٥) أخرجه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب (١٦٢ / ٣)

الفصل الأول

فى الكلام على الكرامات

اعلم: أن الكلام فى الكرامات تنحصر فى طرفين: الأول: الجواز، والثانى: والوقوع .

الطرف الأول: الجواز .. فلا خفاء أن ظهور الكرامة من الأولياء، من الممكنات لأنه إن لم يكن من الممكنات فإما أن يكون من الواجبات، وإما أن يكون من المستحيلات - باطل أن يكون من المستحيلات - فإن المستحيل هو الذى لو قدر وجوده لزم منه محال عقله ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقله وباطل أن يكون جريان الكرامات على الأولياء وجوباً .

إذ الطائفة مجموعة على أنه قد يكون الوالى - ولياً - وإن لم تخرق العادة له فتعين أن يكون من الجائزات، وكل شىء كان من الجائزات فلا يحيله العقل، وكل ما لا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه نقل فجائز أن يكرم الله بالأولياء . ثم إن هذه الكرامة قد تكون طياً للأرض، ومشياً على الماء، وطيران فى الهواء، وإطلاع على الكوائن كانت - وكوائن بعد لم تكن - من غير طريق العادة وتكثير الطعام أو الشراب، أو إتياناً بثمرة فى غير أوانها - أو إنباع ماء من غير احتقار، أو تسخير الحيوانات العادية، أو إيجاب الدعوة بإتيان مطر فى غير وقته، أو صبراً على الغذاء مدة تخرج عن طور العادة، أو إثمار الشجرة اليابسة ما ليس عادتها أن تكون مثمرة .

وهذه كلها كرامات ظاهرة حسية، وكرامات هى عند أهل الله أفضل منها وأجل . وهى الكرامات المعنوية، كالعرفة بالله والخشية، ودوام المراقبة، والمسارة لامثال أمره ونهيه، والرسوخ فاليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة، والاستماع من الله والفهم عنه، ودوام الثقة به وصدق التوكل عليه، إلى غير ذلك .

وسمعت شيخنا أبو العباس يقول: الطى على قسمين: طى أصغر، وطفى أكبر .

فالطفى الأصغر: لعامة هذه الطائفة، أن تطوى لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها فى نفس واحد .

والطفى الأكبر: طى أوصاف النفوس، وصدق الله، ورضى الله عنه .

فإن طى الأرض لو أعجزه الله عنك، أو أفقده إياك، ما نقص ذلك من ربتك عنده إذا قمت له بالوفاء فى العبودية، وطى أوصاف النفوس لو لم تقدم عليه به لكنت من المغبونين، وحشرت فى زمرة الغافلين .

قال الشيخ أبو الحسن رحمته: هما كرامتان - جامعتان محيطتان - كرامة الإيمان بما يزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة، فمن أعطيتهما ثم جعل يشتاقي إلى غيرهما، فهو عبد مغتر كذاب، أو ذو خطأ فى العلم والعمل بالثواب، كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى، فجعل يشتاقي إلى سياسة الدواب وخلع الرضى، وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله - ومن الله - فصاحبها مستدرج مغرور، وناقص أو هالك مثبور .

واعلم .. أن اطلاع أولياء الله تعالى على بعض الغيوب، لا يحيله العقل وقد ورد به النقل، قال أبو بكر الصديق رحمته لابنته عائشة رضى الله عنها فى مرض موته وزوجته حامل: إنما هما أخواك وأختان دون بطن خارجة، أراها جارية (فأخبر أن فى بطن امرأته جارية، وكان كما قال .

وقول عمر رحمته: (يا سارية الجبل الجبل)^(١) وسارية بأقصى العراق فسمع سارية صوته، وكان قد أطلع الله على سارية وقد أحاط به العدو فأمره بالانحياز إلى الجبل فانحاز هو والجيش الذى معه، فانتصروا وظفروا، وكان عمر رحمته قد قال ذلك فى أثناء خطبته على المنبر فترك الخطبة وقال: (يا سارية الجبل الجبل) ثم عاد إلى خطبته !! فجاء بعض الصحابة إلى على رحمته فقالوا له: بينما عمر اليوم يخطب إذ ترك الخطبة وقال: (يا سارية الجبل الجبل) ثم عاد إلى خطبته، فقال على رحمته (ويحكم دعوا عمر فإنه ما دخل فى شيء إلا كان له لمخرج منه) فبعد ذلك قدم سارية، وأخبر عن ذلك اليوم، فقال: إنه سمع نداء عمر فى الوقت الذى نادى فيه .

وقال عثمان رحمته: لداخل دخل عليه - وكان هذا قد نظر إلى محاسن امرأة فى الطريق قبل دخوله - فقال عثمان رحمته: يدخل وآثار الزنا بادية فى وجهه .

وأما على رحمته جاء عنه فى هذا الباب العجب العجاب . حتى إنه ذكر الأخباريون

(١) انظر: كرامات الأولياء (١٢٢/١) و (١٢٠/١) وتأويل مختلف الحديث (١٦٢/١) والاعتقاد (٣١٤/١) وفيض القدير (٥٠٧/٤) ولسان الميزان (٣٠٠/٥) والاستيعاب (٦٠٥/٤) والإصابة (٥/٣) وتهذيب الأسماء (٣٣٠/٢) والإكمال لابن ماكولا (٣٩٥/٣) .

أنه أرجف بالكوفة أن معاوية قد مات، فقال على عليه السلام: إذا بلغه الله ما مات ولن يموت، حتى يملك تحت قدميه هاتان، وإنما أراد ابن هند أن يشيع ذلك حتى يستتر على ما فيه. يومئذ كاتب أهل الكوفة معاوية وعلموا أن الأمر سائر إليه .

وحكايات الأولياء في كل زمن وقطر تضمن ثبوت ذلك كما بلغ حد التواتر فلا يمكن جحده، ثم أن أدلك - رحمك الله - على أمر يسهل عليك التصديق بذلك وهو: إطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله ليس بجثمانيته ولا وجود صورته . إنما هو بنور الحق فيه، دليل ذلك قوله عليه السلام { اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله } ^(١) فكيف يستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله، بعد أن شهد له رسول الله عليه السلام أنه إنما ينظر بنور الله لا بوجود نفسه، وكذلك قوله في الحديث الذي تقدم، [فإذا أحببته كنن سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به] .. إلخ، ومن كان الحق بصره، فليس الاطلاع على الغيب بمستغرب . وفي بعض طرق هذا الحديث [فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً، ولساناً، وقلباً، وعقلاً، ويدا، ومؤيداً] فإن قلت كيف يصنع؟ بقوله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢١) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ ^(٢) فلم يستثنى أحد إلا رسول . فاعلم: أنى سمعت من شيخنا أبي العباس يقول: وفي معناها (أو صديق أو ولي)

فإن قلت هذه زيادة على ما تضمنه - كتابه العزيز - فاعلم أنه قيل - إن السلطان لم يأذن اليوم إلا للوزير وحده، وربما دخل ممالك الوزير معه وكان الإذن لمتبوعهم إذنا لهم - كذلك الولي، إذا أطلعه الله على غيب من غيوبه فإنما ذلك لانطوائه في جاه النبوة، وقيامه بصدق المتابعة، فما رأى ذلك بنفسه وإنما رآها بنور متبوعه .

وأيضاً إن الآية تشير إلى نفى اطلاع العباد على غيب الله إلا من أطلعه الله، وبين سبحانه سبب اطلاعه على غيب من غيوبه، وإنما ذلك كان برضى الله تعالى بقوله ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَى﴾ وقوله ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ خص الرسول بالذكر ولم يذكر - النبي، ولا الصديق، ولا الولي - وإن كان كل منهم ممن ارتضى، لأن الرسول أولى بذلك مما سواه .

(١) انظر شرح سنن بن ماجه (٢٩٣) رقم (٤٠٤٤)، والترمذى فى الجامع الصحيح (٢٩٨/٥) رقم (٣١٢٧) من حديث أبى سعيد الخدرى، وقال الترمذى: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روى عن بعض أهل العلم تفسير قوله تعالى ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ قال: المتفكرون، والتاريخ الكبير (٣٥٤/٧) رقم (١٥٢٩) بزيادة لفظه { ثم قرأ إن في ذلك لآيات للمتوكلين } وابن حجر فى الفتح (١١٥٤/٥)، والمعجم الكبير (١٠٢٨) رقم (٧٤٩٧) وتاريخ بغداد (١٩١/٣) رقم (١٢٣٤) ولبغوى فى السنة (١٣١/١٤) وأبو نعيم فى الحلية (٩٤/٤)، والكامل فى ضعفاء الرجال (٢٠٦/٤) رقم (١٠١٥) .

(٢) (الجن: ٢٦، ٢٧)

أمر تسهل عليك الإيمان بكرامات أولياء الله، وأن لا تستكثرها عليهم

الأول: أن نعلم أن قدرة الله التي لا يكبر عليها شيء هي التي أظهرت الكرامة في الولي، فلا تنظر إلى ضعف العبد، ولكن انظر إلى قدرة - السيد - فجحد الكرامة في الولي جحد لقدرة العزيز القدير .

الثاني: أنه ربما كان سبب إنكار الكرامة، استكثرها على ذلك العبد الذي أضيفت إليه، وذلك العبد إنما أظهر الكرامة عليه شاهدة بصدق طريق متبوعه، فهي بالنسبة إلى من ظهرت عليه -، وهو ذلك الولي كرامة، وهي بالنسبة ببركات متابعه معجزه فلذلك قالوا: كل كرامة لولي . فهي معجزة لذلك النبي الذي يتبعه هذا الولي، فلا تنظر إلى التابع واليقيين، ولكن انظر إلى عظيم قدرة المتبوع .

الثالث: أن نعلم أن الذي أعطاه الله سبحانه لأوليائه من الإيمان واليقيين، مما أنت مصدق به وثبت له أعظم مما استغريته وأنكرته، من اطلاع على غيب، أو طيران في الهواء، أو مشي على الماء، فمثلك إذا استغرب ذلك على المؤمن، كمثلك من يستغرب على عبد من خواص الملك، أعطاه الملك سقياً مملوءاً ياقوتاً ثميناً علمت به أن كل ياقوتة تضمنه ذلك السقط تساوي عشرة آلاف دينار، ثم قال ذلك العبد الذي هو من خواص الملك أو قيل عنه إن الملك قد أعطاه مائة دينار، فاستغريت ذلك فهل يستصوب استغرابك، هذا ذو فهم ولب وما أكرم الله العباد في الدنيا والآخرة .

كرامة بمثل الإيمان به والمعرفة بربوبيته، لأن كل خير من خير الدنيا والآخرة فإنما هو فرع الإيمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وأوردات وكل نور وعلم وفتح ونفوذ إلى غيب وسماع مخاطبة وجريان كرامة، وما تضمنه الجنة من حور وقصور وأنهار وثمار وكان بها أهلها فيها من رضى عن الله رضى من الله ورؤية الله، فكل ذلك نتائج الإيمان ووجوه آثاره، وامتداد أنواره - جعلنا الله وإياك من المؤمنين بربوبيته وبالإيمان الذي رضى له خاصة عبادته، وبسطننا وإياك لتسليم مراده .

واعلم أن من الناس من واجهه الخذلان من الله فأنكر كرامات أولياء الله أصلاً فنعمود بالله من هذا المذهب وهو حقيق أن لا يذكر، ولكن سبب ذكره ليعلم أن الله إذا أراد أن يضل عبداً لم ينصره عقل ولم ينفعه علم . وقد قال الله سبحانه ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ يَمْلِكَ عَبْدًا مُبِيتًا ﴾ .

تَمْلِكْ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا^(١) وقال سبحانه ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(٢)﴾ وقال تعالى ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ^(٣)﴾ كذلك كانت الأحوال والأقوال والأفعال ومراتب، الإنزال موقوفة على توفيقه لا توجب أنوار ولا تستحق قبولاً ولا يستوجب صاحبها إقبالاً حتى ينصره التوفيق، ولغزارة قدره عند الله لم يذكره في كتابه العزيز إلا في موضع واحد، فقال سبحانه ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ^(٤)﴾

والجانب للتوفيق وعلاماته صدق الرجعى إلى الله فى أول كل فعل وترك بتحقيق الفقر والفاقة إليه والانغماس فى بحر الذلة والسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الفراغ ومن بعد ذلك أبداً، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ^(٥)﴾ وقال ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ^(٦)﴾

فلا يدخل جنة علمك وعملك، وما أعطيت من نور وفتح فتقول كما قال من خذل فأخبر عنه الله بقوله ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا^(٧)﴾ .

ولكن إدخالها كما بين لك، وقل كما رضى لك، قال سبحانه ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٨)﴾ وافهم هاهنا قوله ﷺ { لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة }^(٩) وفى رواية { كنز من كنوز تحت العرش } فالترجمة ظاهرة الكنز والكنوز فيها هو صدق التبرى من الحول والقوة والرجوع إلى حول الله وقوته، ومن أنكر كرامات الأولياء فالدلائل العقلية والعقلية ترد عليه ويخشى على من هذا مذهبه سوء الخاتمة ومن الناس فرقة أخرى صدقوا بكرامات الأولياء الذين ليسوا فى زمانهم: كمعروف، والسرى، والجنيد، وأشباههم، وكذبوا بكرامات أولياء زمانهم، فهى كما قال الشيخ أبو الحسن: والله ما هى إلا إسرائيلية، صدقوا بموسى وعيسى عليهما السلام وكذبوا بمحمد

(١) (المائدة: ٤١)

(٢) (المؤمنين: ٨٨)

(٣) (آل عمران: ١٢٣)

(٤) (الكهف: ٢٥)

(٥) (البقرة: ٢٠٩)

(٦) (هود: ٨٨)

(٧) (التوبة: ٦٠)

(٨) (الكهف: ٢٥)

(٩) صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده (١٥٦/٥)، والحاظ الهيثمى فى المجمع (٩٨/١٠) والطبرانى فى الكبير (٤٢١/١٩) والزييدى فى اتحاف السادة المتقين (٤٦٦/٩)، والأحاد والمثانى (٢٤٦/٢) رقم (١٠٠٠) والتاريخ الكبير (١٠٠/١) رقم (٢٨٠) من حديث أبى ذر رضى الله عنه، والجامع الصحيح المختصر (١٥٤١/٤) رقم (١٩٦٨) من حديث أبى موسى الأشعرى، والترمذى فى الجامع الصحيح (٥٨٠/٥) رقم (٣٦٠١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وقال الترمذى: ليس إسناده بمتصل مكحول لم يسمع من أبى هريرة، والديباج على صحيح مسلم (٦١/٦) رقم (٢٧٠٤) والسنن الكبرى (٧/٦) رقم (٩٨٤٢) والعلل الواردة فى الأحاديث النبوية (٢٥٥/٦) رقم (١١١٤) والكامل فى ضعفا الرجال (١٦٥/١) والمستدرک على الصحيحين (٦٩٨/١) رقم (١٩٠١) والمعجم الأوسط (٥١٣/١) رقم (٩٤٧) والمعجم الصغير (٢٨٧/٢) رقم (١١٧٧) والمنتخب من مسند عبد بن حميد (١١٠) رقم (٢٤٩).

ﷺ لأنهم أدركوا زمنه .

وفرقة أخرى يصدقون بأن في مملكة الله أولياء لهم كرامات من غير أن يسلموا ذلك لأحد من أهل زمن معيناً، فكل من ذكر لهم أنه ولي أو نسبت إليه كرامة، دافعوا إثبات ذلك بمقاييس اقتضتها عقولهم المعقولة بعقال الغفلة المخدوعة بمتابعة الهوى، فلن يجدى عليهم هذا التصديق وجود الاقتداد، ولا إشراق نور الاهتداء، إذ الاقتداد لا يكون إلا بولي مجهول العين في كون الله، بل إنما يكون الاقتداد بولي ذلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه، فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فألقيت إليه القيادة فسلك بك سبل الرشاد، يعرفك برعونات نفسك وكماثنها، ودفائننها، ويدلك على الجمع على الله ويعلمك القرار عما سوى الله ويسارك في طريقك، حتى تصل إلى الله، ويوقفك على إساءة نفسك، ويعرفك بإحسان الله إليك، فيفيدك معرفة إساءة نفسك الهرب منك، وعدم الركون إليها، ويفيدك العلم بإحسان الله إليك، الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه والدوام على ممر الساعات بين يديه .

فإن قلت: فأين من هذا وصفه لقد دللتني على أغرب من عنقاء مغرب .

فاعلم: أنه لا يعوزك وجدان الدالين، وإنما يعوزك وجود الصدق في طلبهم، جد صدقاً تجد مرشداً، وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾^(١) وقال تعالى ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾^(٢) فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الظمان إلى الماء، والخائف للأمن، لوجدت ذلك أقرب إلي من وجود طلبك، ولو اضطررت إلى رحمة الله اضطرار الأم لولدها إذا فقدته لوجدت الحق منك قريباً ولك مجيباً، ولوجدت الوصول غير متعذر عليك، ولتوجه الحق بتيسير ذلك إليك، فهذا الكلام في طرفي الجواز، والوقوع جميعاً وذكر أعيان الكرامات التي اتفق السلف ﷺ لا يستطيع حصرها، وقد أشبع القول فيها الأستاذ أبو القاسم القشيري^(٣) في رسالته وأفرد لها باباً .

واعلم: أن الكرامة تارة تظهر للولي في نفسه، وتارة تظهر فيه لغيره، فإن أظهرت للولي في نفسه: فالمراد تعريفه بقدرة الله وفرديته وأحديته، وأن قدرته لا تتوقف على

(١) (النمل: ٦٢)

(٢) (محمد ٢١)

(٣) هو: عبد الكريم بن هوازن القشيري أستاذ الصوفية في وقته، ومن تصنيفه (التفسير الكبير) و (الرسالة القشيرية) ولد ﷺ في ٢٧٧ هـ وتوفي في ٤٦٥ هـ . أنه . وكان إمام وقته وأستاذ عصره، حتى كان ابن تيمية عندما يتحدث عنه كان لا يقول إلا الأستاذ القشيري أدباً واحتراماً لعله ومنزلته، واحتل القشيري مكانة سامقة لدى الصوفية جميعاً

الأسباب، وأن العوائد هو حاكم عليها، ليست هي حاكمة عليه، وإنما جعل العوائد والوسائط والأسباب حجب قدرته، وسحب شمس أحديته، فوقف عندها مخذول وناقد منها إليه هو بالعناية موصول .

قال الشيخ أبو الحسن: فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله بالعلم والقدرة والإرادة والصفات الأزلية، بجمع لا يفترق، وأمر لا يتعدد، كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد يستوى من تعرف الله إليه بنوره كمن تعرف إلى الله بعقله، ولأجل أنها تثبت لمن أظهرت له، وربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم، وفقدوا أهل النهايات في نهاياتهم إذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين، والقوة والتمكين لا يحتاجون معه إلى تثبيت .

وهكذا كان السلف عليه السلام، لم يحوجهم الحق سبحانه إلى وجود الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الإلهادية، ولا يحتاج جبل إلى مرساة، فالكرامة دافعة لزلزلة الشك في المنة ومعرفة بفضل الله فيمن أظهرت عليه، وشاهدة له مع الله سبحانه والناس في الكرامات على ثلاثة أقسام:

(١) قسم: يجعلونها غاية الأمر، فإن وجدوها عظموا من أظهرت عليه، وإن فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم إليه .

(٢) قسم: قالوا وما هي الكرامة، إنما هي خدع بها أهل الإرادة ليقفوا على حدودهم حتى لا يلجوا مقاماً ليس هو لهم، حتى قال: أبو تراب^(١) النخشبى لأبى العباس الرقى ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده .

فقلت: ما رأيت أحداً إلا وهو يؤمن بها .. فقال: ومن لا يؤمن بها فقد كفر إنما سألتك من طريق الأحوال .. فقلت: ما أعرف له قولاً .. قال: بل قد زعم أصحابك أنها

(١) أبو تراب النخشبى، قدس الله سره، من الطبقة الأولى، واسمه: عسكر بن الحصين، وقيل: عسكر بن محمد بن الحصين، كان من أجل مشايخ خراسان في علم الفتوى والزهد والتوسل، وصحب أبا حاتم المطار البصرى، وحامياً الأصم البلخى، وكان أستاذ أبى عبد الله بن الجلاء، وأبى عبيد البصرى، قال أبو تراب (العارف الذى لا يكره شيء، وكل الأشياء تنثور منه) الكواكب الدرية (١/ ١٤٧) وأيضاً عنه قال (لا يكون شيء من العبادات أنفع من إصلاح خواطر القلوب) (طبقات الصوفية ص ١٤٩) وعنه أيضاً قال (إذا تواترت على أحدكم النعم فليبك على نفسه فقد سلك به غير طريق الصالحين) (الكواكب الدرية ١/ ٤٨) وكان يقول (بينى وبين الله عهد ألا أمد يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه) (حلية الأولياء ١٠/ ٤٨) وكان يقول إذا أعرض الحق ﷻ عن عبد طول لسانه فى حق أولياء الله بالظن والإنكار) انظر ترجمته فى طبقات الصوفية (١٤٦)، وحلية الأولياء (١٠/ ٤٥)، وصفة الصفة (١٤٥/ ٤) ولواقح الأنوار (١/ ٩٦)، والرسالة القشيرية ٢٢، وطبقات الشافعية (٢/ ٥)، وشذرات الذهب (١٠٧٢). سير أعلام النبلاء (٨/ ٢/ ١)، واللمع ص ٢٠٥، وجامع كرامات الأولياء (٢/ ١٥٢)، وتذكرة الأولياء (١/ ٢٦٢)، والنجوم الزاهرة (٢/ ٢٢١)، والكواكب الدرية (١/ ٢٠٢) .

خدع من الحق وليس الأمر كذلك، إنما الخدع في حال السكون إليها، فأما من لم يفرح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الريانين

وكان هذا من (أبى تراب) بعد أن عطش أصحابه فضرب الأرض فتنبع الماء، فقال فتى هناك: أريد أن أشرب من قدح فضرب بيده الأرض وناوله قدحا من زجاج أبيض، فشرب وسقانا، قال أبو العباس الرقي: وما زال القدح معنا إلى مكة.

والقول الفصل في ذلك، أنه لا ينبغي أن تطلب أدبا مع الله، ومن أظهرت عليه عظم لأنها شاهدة له بالاستقامة مع الله

(٣) قسم: وهو أن تظهر الكرامة في الولي لغيره، فالمراد بذلك تعريف العبد الذي شهدها بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة، إما أن يكون جاحدا فيرجع إلى الاعتراف، أو كافرا فيعود إلى الإيمان، أو شاكا في خصوصية ذلك العبد، فأظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع الإحسان

وقد انبسط الكلام في هذه المقدمة، وما كان ذلك لنا باختيار، ولكن قد تضمنت علومنا وأخبارنا إذا طلعت على من له نصيب من المنة، مشرقا الأنوار وهذا أو أن ابتدأنا بما قصدنا وأظهرنا، ما إليه عمدنا، والله هو القائم بالبيان وهو ولي الفضل والإحسان له الحمد كما يجب لجلاله، والشكر لتوالي نعمه وإفضاله، وهو حسبنا ونعم الوكيل. أما الكتاب فهو ينقسم كما تقدم إلى عشرة أبواب.



الباب الأول

فى التعريف بشيخه الذى أخذ عنه هذا الشأن
وشهادة من عاصره من أهل زمنه من العلماء الأعيان
أنه قطب الزمان، والحامل فى وقته لواء أهل العيان

هو الشيخ الإمام حجة الصوفية، وعلم المهتدين، زين العارفين، أستاذ الأكابر، والمنفرد فى زمنه بالمعارف السنية والمفاخر، والعالم بالله، والدال على الله، زمزم الأسرار ومعدن الأنوار، القطب الغوث الجامع: تقي الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد ابن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب .. عُرِفَ بالشاذلي، ومنشأه بالمغرب الأقصى، ومبدأ ظهوره بشاذلة: بلدة على القرب من تونس . وإليها نسب له السياحات الكثيرة، والمنازلات الجليلة، والعلوم الكثيرة، لم يدخل فى طريق الله حتى كان يعد للمناظرة فى العلوم الظاهرة .

ذو علوم جمة، ذكره الشيخ (صفى الدين بن أبى المنصور) فى كتابه وأثنى عليه الكثير ؛ وذكره الشيخ قطب الدين بن القسطلاني فى جملة من لقيه من المشايخ وأثنى عليه، وذكره الشيخ أبو عبد الله بن النعمان، وشهد له بالقبطانية، وذكره عبد الغفار بن نوح رضى الله عنه فى (كتاب التوحيد) وأثنى عليه، لا يختلف فى قبطانيته ؛ ذو قلب مستنير، ولا عارف بسعير .

جاء فى هذا الطريق بالعجب العجائب وشرع من علم الحقيقة الأطناب، ووسع السالكين الرحاب، حتى لقد سمعت الشيخ الإمام مفتي المسلمين تقي الدين محمد بن القشيري يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلي .

وأخبرني الشيخ العارف مكين الدين الأسمر . أنه قال: حضرت بالمنصورة فى خيمة فيها الشيخ الإمام مفتى الأنام عز الدين بن عبد السلام^(١) . والشيخ مجد الدين على ابن

(١) هو شيخ وقته ومفتى عصره شيخ الإسلام ومفتى الأنام وسلطان العلماء: عز الدين بن عبد السلام، ولد فى دمشق عام ٥٧٨هـ. وجمع بين علوم الحقيقة والطريقة وسافر إلى بغداد من أجل استكمال العلم وتلك نصيحة أستاذه بن عساكر وكان جديراً بأن تسمد إليه وظائف التدريس والافتاء والخطابة والقضاء، وبلغ رتبة الاجتهاد فى عصره ولذلك تعينت فيه الفتوى، وقد كان فى كل هذه الأعمال صوتاً رائعاً من أصوات الحق، وظهرت كراماته فى مواضع كثيرة ومنها معركة الصليبيين فى دمياط فأمر الريح أن تكسر سفنهم . وقال تلميذه ابن أبى شامة: الحمد لله الذى جعل من أمة محمد من يأمر الريح فتستجيب له، انظر طبقات الشافعية الجزء الثالث .

وهب القشيري المدرس، والشيخ محي الدين بنى سراقه . والشيخ مجد الدين الأحميمي والشيخ أبو الحسن الشاذلي، ورسالة القشيري تقرأ عليهم، وهم يتكلمون والشيخ أبو الحسن صامت، إلى أن فرغ كلامهم فقالوا: يا سيدي نريد أن نسمع منك فقال: أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم . فقالوا: لا بد أن نسمع منك، قال: فسكت الشيخ ساعة ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة، فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه، وقال اسمعوا: هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله .

وأخبرني الشيخ أبو عبد الله بن الحاج قال: أخبرني الشيخ أبو زكريا يحيى البليبي، قال: صحبت الشيخ أبا الحسن الشاذلي، ثم سافرت إلي الأندلس فقال: لي الشيخ أبو الحسن عند وداعي: موصيا إذا وصلت إلى الأندلس، فاجتمع بالشيخ أبي العباس بن مكنون، فإنه اطلع علي الوجود، وعرف حيث هو، ولم يطلع الناس علي أبي العباس فيعلموا حيث هو .

قال: فلما جئت إلى الأندلس ذهبت إلى الشيخ أبي العباس بن مكنون، فحين وقع بصره علي قال: (ولم يعرفني قبل ذلك) جئت يا يحيى حبيبت، الحمد لله علي اجتماعك بقطب الزمان يا يحيى، والذي أخبرك به الشيخ أبو الحسن لا تخبر به أحداً .

وأخبرني رشيد الدين بن الرايس قال: تخاصمت أنا وبعض أصحاب الشيخ فأتيت إلى الشيخ أبي الحسن، فذكرت مقالتنا له، فقال الشيخ: كنت تقول له أنا رباني القطب ومن ربه القطب ربه أربعون بدلا .

وأخبرني والدي رحمه الله قال: دخلت علي الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمته فسأله يقول: والله قد تسألوني عن المسألة لا يكون لها عندي جواب، فأرى الجواب مسطرا في الدواة والحصير والحائط ...

وأخبرني بعض أصحابنا قال الشيخ أبو الحسن يوما: والله إنه ليتنزل علي المدد، فأرى سريانه في كالحوت في الماء، والطارئ في الهواء .، وكان الشيخ أمين الدين جبريل حاضرا فقال للشيخ أبي الحسن: فأنت إذا القطب، فأنت إذا القطب، فقال الشيخ أبو الحسن: أنا عبد الله، أنا عبد الله .

وأخبرني بعض أصحابنا قال الشيخ أبو الحسن: والله ما ولي الله ولياً إلا وضع حبه في قلبي قبل أن يوليه، ولا رفض عبداً إلا وألقى الله بغضه في قلبه قبل أن يرفضه .

وأخبرني بعض أصحابنا قال: لما رجع الشيخ أبو الحسن من الحج أتى إلى الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام قبل أن يأتي منزله، فقال له: إن الرسول ﷺ يسلم عليك، فاستصغر الشيخ عز الدين نفسه أن يكون أهلاً لذلك .

قال: فدعى الشيخ عز الدين إلى خان الصوفية بالقاهرة وحضر معه الشيخ محيي الدين بن سراقه وأبو العلم يس أحد أصحاب ابن عرابي فقال الشيخ محي الدين سراقه للشيخ عز الدين: ليحظكم ما سمعنا يا سيدي والله إن هذا شيء يفرح أن يكون في هذا الزمان من يسلم عليه رسول الله ﷺ، فقال الشيخ عز الدين: الله يسترنا، فقال أبو العلم يس: اللهم افضحنا حتى يتبين المحق من المبطل، ثم أشاروا للقول أن يقول وهو بالبعد بحيث لا يسمع ما دار بينهم فكان أول ما قال صدق المحدث والحديث كما جرى فقام الشيخ عز الدين، وطاب منه وقام الجميع لقيامه .

وأخبرني الفقير مكين الدين الأسمر قال: سمعت مخاطبة الحق فقلت: يا سيدي كيف كان ذلك؟ فقال: كان في الأسكندرية بعض الصالحين صاحب الشيخ أبا الحسن، ثم كبر عليه ما سمعه منه من العلوم الجليلة والمخرفات فلم يسع ذلك عقله، فانتقطع عن الشيخ أبي الحسن ﷺ، فبينما أنا في ليلة من الليالي، وأنا أسمع أن فلان دعانا في هذا الوقت بست دعوات، فإن أراد أن يستجاب له فليأت إلى الشيخ الشاذلي، دعانا بكذا . دعانا بكذا، حتى عينت لي الست دعوات، قال: ثم انفصل الخطاب عني فنظرت إلى المتوسط في ذلك الوقت فعرفت الوقت الذي كان ذلك الرجل دعا فيه ثم أصبحت فذهبت إلى ذلك الرجل فقلت له: دعوت الله البارحة بست دعوات وعدت له الست دعوات، فقال: نعم، فقلت: تريد أن يستجاب لك، قال: ومن لي بذلك؟ فقلت له: قيل لي إن أراد أن يستجاب له فليأت إلى الشيخ الشاذلي .

وسمعت شيخنا أبي العباس يقول: كان الشيخ قد قال لي: إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل من أحد شيء فمكثت على ذلك سنة، ثم قال لي: إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تقبل من أحد شيء، فكان إذا اشتد على الوقت أخرج إلى ساحل بحر الأسكندرية ألتقط ما يرميه البحر بالساحل من قمح حين يرفع من المراكب، فانا يوماً على ذلك وإذا عبد القادر النقاد وكان من أولياء الله تعالى يفعل كفعلي، فقال لي: اطلعت البارحة على مقام الشيخ أبي الحسن، فقلت: وأين مقام الشيخ؟ فقال: عند العرش، فقلت له: ذلك مقامك ينزل لك الشيخ حتى رأيته، ثم دخلت أنا وهو على الشيخ فلما استقر بنا المجلس

قال الشيخ: رأيت البارحة عبد القادر في المنام فقال لي: أعرشى أنت أم كرسى، فقلت له: دع عنك هذا.. ذى الطينة أرضية، والنفس سناوية، والقلب عرشى، والروح كرسى، والسر مع الله بلا أين، والأمر يتنزل فيما بين ذلك ويتلوه الشاهد منه.

وقدم بعض الدالين على الله إلى الأسكندرية، فقال الشيخ مكين الدين الأسمر: هذا الرجل يدعوا الناس إلى باب الله، وكان الشيخ أبو الحسن يرشدهم إلى طريق الله، وقال الشيخ أبو العباس عليه السلام كنت مع الشيخ أبي الحسن بالقيروان وكان شهر رمضان وكانت ليلة جمعة وكانت الليلة سبعة وعشرون، فذهب الشيخ إلى الجامع وذهبت معه، فلما دخل الجامع وأحرم رأيت الأولياء يتساقطون عليه كما يتساقط الذباب على العسل، فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع فقال الشيخ: ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة وكانت ليلة القدر ورأيت الرسول ﷺ وهو يقول: يا على طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس، قلت: يا رسول الله وما ثيابي؟ قال: اعلم أن الله تعالى قد خلع عليك خمس خلع: خلعة المحبة، وخلعة المعرفة، وخلعة التوحيد، وخلعة الإيمان، وخلعة الإسلام فمن أحب الله هان عليه كل شيء ومن عرف الله صغر لديه كل شيء، ومن وحد الله لم يشرك به شيئاً، ومن آمن بالله آمن من كل شيء، ومن أسلم لله قلماً يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه وإن اعتذر إليه عذره، ففهمت حينئذ معنى قوله ﷺ «وثيابك فطهر».

وقال الشيخ أبو العباس: جلست في ملكوت الله فرأيت أبا مدين متعلقاً بساق العرش وهو رجل أشقر أزرق العينين فقلت له: ما علومك وما مقامك؟ فقال: أما علومى فواحد وسبعون علماً، وأما مقامى فرباع الخلفاء، ورأس السبعة الأبدال، فقلت: ما تقول فى شيخى أبى الحسن الشاذلى؟ فقال: زاد على بأربعين علماً وهو البحر الذى لا يحاط به.

وأخبرنى بعض أصحابنا قال: قيل للشيخ أبى الحسن من هو شيخك يا سيدى، فقال: كنت انتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا انتسب إلى أحد بل أعموم فى عشرة أبحر خمسة من الآدميين النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعلى وعثمان، وخمسة من الروحانيين: جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح.

وأخبرنى ولد سيدنا ومولانا العارف شهاب الدين قال: قال الشيخ عند موته: والله لقد جئت فى هذا الطريق بما لم يأت به أحد، ومن الأمر المشهور أنه لما دفن (بحيثراً) وغسل بمائها تكثر الماء بعد ذلك وعذب حتى صار يكفى الركب إذا نزل عليه ولم يكن قبل ذلك كذلك.

وكتب إلى الشيخ أبو عبد الله بن النعمان أبياتاً يوصيني فيها الشيخ أبي العباس منها
عطا إله العرش في الثغر أحمد سررت بها في الصحب فالله أحمد

ثم يقول في الشيخ أبي العباس:

ووارث علم الشاذلي حقيقة وذلك قطب فاعلموه وواحد
رأيت له بعد الممات عجائباً تدل على من كان للفتح يجحد

فالذي عنى الشيخ أبو عبد الله يقول: رأيت له بعد الممات عجائباً، أي: أن حلي
الماء فوق ما كان وتكثر لما غسل منه .

وأخبرني بعض أصحابنا قال: قال الشيخ: قيل لي ما على وجه الأرض مجلس في
الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز بن عبد السلام، وما على الأرض مجلس في علم الحديث
أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم، وما على وجه الأرض مجلس في علم
الحقائق أبهى من مجلسك .

وقال الشيخ أبو العباس: لما نزلت بتونس وكنت أتيت من مرسية، وأنا إذا ذاك
شاب، فسمعت بذكر الشيخ أبي الحسن الشاذلي، فقال لي رجل: تمضي بنا إليه، قلت:
حتى أستخير الله فنمت تلك الليلة فرأيت كأنني أصعد إلى رأس جبل فلما علوت فوقه رأيت
هنالك رجلاً عليه برنس أخضر وهو جالس وعن يمينه رجل وعن يساره رجل، فنظرت إليه
فقال: عثرت على خليفة الزمان، قال: فانتبهت، فلما كان بعد صلاة الصبح أتاني الرجل
الذي دعاني إلى زيارة الشيخ فسرت معه، فلما دخلنا على الشيخ رأيته بالصفة التي رأيته
فوق الجبل، قال: فدهشت، فقال لي: عثرت على خليفة الزمان، ما اسمك؟ فذكرت له
اسمي ونسبي، فقال: رفعت لي منذ عشر سنين .

وقال الشيخ أبو العباس: لما قدمنا من المغرب إلى الأسكندرية نزلنا عند عمود
السواري من ظاهرها، وكان وصولنا عند اصفرار الشمس وكانت بنا فاقة وجوع شديد فبعث
لنا رجل من عدول الأسكندرية طعاماً، فلما قيل للشيخ عنه قال: لا يأكل أحد منه شيئاً
فبتنا على ما نحن عليه من الجوع، فلما كان عند الصبح صلى بنا الشيخ، وقال: مدوا
السماط وأحضروا هذا الطعام ففعلوا، وتقدمنا فأكلنا، فقال الشيخ: رأيت في المنام قائلاً
يقول: أحل الحلال ما لم يخطر لك ببال؟ ولا سألت فيه أحداً من الليالي نائماً
بالأسكندرية، وإذا قائلاً يقول: مكة والمدينة، فلما أصبحت عزمت على السفر، وكان الشيخ

بالمقياس بالقاهرة، فسافرت إليه، فلما مثلت بين يديه قال لى: مكة والمدينة، فقلت: لأجل ذلك جئت يا سيدى عزمت على الحج وما معى شيء من الدنيا، فقال لى الشيخ: أى شيء معك؟ قلت: عشرة دنائير، قال أدفعها لهذا الرجل، فدفعتها له فقال لى الشيخ: إذا كان غداً فاخرج إلى الساحل واشتر لى عشرين أردباً قمحاً، فأصبحت ونزلت إلى الساحل واشتريت عشرين أردباً، وحملت القمح إلى المخزن وأتيت الشيخ، فقال: لى هذا القمح، قالوا لى: إنه مسوس لا تأخذ منه شيئاً، فبقيت متحيراً لا أدري كيف أصنع؟ فبقيت ثلاثة أيام لا يطالبنى صاحب القمح بالثمن، فلما كان اليوم الرابع وإذا برجل يطوف على فلما رأتى قال: أنت صاحب القمح؟ قلت: نعم، قال: تأخذ فيه فائدة ألف درهم، قلت: نعم، فوزن لى ألف درهم، فوضع الله لى البركة فيها، فلو قلت: إننى أنفق منها إلى اليوم لصدقت

وقال الشيخ أبو العباس سافرنّا مع الشيخ ﷺ فى السنة التى توفى فيها فلما كنا عند أخميم قال لى الشيخ: رأيت البارحة كانى فى جلبة وأنا فى البحر والرياح قد اختلقت، والأمواج قد تلاطمت، والمراكب قد انفتحت، وأشرفنا على الفرق فأتيت إلى جانب المركب وقلت: أيها البحر إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لى فالمنة لله السميع العليم، وإن كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم، فسمعت البحر يقول: الطاعة الطاعة، فلما سفرنّا وتوفى الشيخ ﷺ دفناه بحميشرا من صحراء عيذاب، وركبنا فى جلبة فلما صرنا فى وسط البحر تلاطمت الأمواج واختلقت الرياح، وانفتحت الجلبة، وأشرفنا على الفرق، وأنسيت كلام الشيخ فلما اشتد الأمر، ذكرت ذلك فأتيت إلى جانب المركب، وقلت أيها البحر إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لأولياء الله فالمنة لله السميع العليم، ما قلت كما قال الشيخ بالسمع والطاعة لى، وإن كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم، فسمعت البحر يقول: الطاعة . الطاعة، وسكن البحر، وطاب السفر .

وقال الشيخ أبو العباس كنت مع الشيخ فى بحر عيذاب وكنا فى شدة من الريح الأريب، وكان المركب قد انفتح فقال الشيخ ﷺ: رأيت السماء قد انفتحت ونزل منها ملكان إحدهما يقول: موسى أعلم من الخضر، والآخر يقول: الخضر أعلم من موسى، ونزل ملك آخر وهو يقول: والله ما علم الخضر فى علم موسى إلا كعلم الهدد فى علم سليمان حين قال: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ ففهمنا أن الله سلمنا فى سفرنّا، فإن موسى سخر له البحر .

وقال أبو العباس: قال رجل للشيخ ما تقول فى الخضر أحيى هو أم ميت؟ فقال

الشيخ: اذهب إلى الفقيه ناصر الدين بن الأنباري، فإنه يفتي أنه حي وأنه نبي، والشيخ عبد المعطى لقيه، وسكت ساعة وقال: أنا لقيته وسبابته ووسطاه سواء .

واعلم: أن بقاء الخضر قد أجمع عليه هذه الطائفة، وتواتر عن أولياء كل عصر لقاءه، والأخذ عنه واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر حد التواتر الذي لا يمكن جحده، والحكايات في ذلك كثيرة .

قال الشيخ أبو الحسن: لقيت الخضر في صحراء عيذاب، فقال لي: يا أبا الحسن أصحابك اللطف الجميل، وكان لك صاحباً في المقام وفي الرحيل .

وذكر ابن عربي أن أبا السعود بن الشبلي، كان في مدرسة الشيخ: عبد القادر الجيلاني، يكنس فيها فوقف الخضر على رأسه فقال: السلام عليكم، فرفع أبو السعود رأسه فقال: وعليك السلام، ثم عاد إلى شغله بما هو فيه .. فقال له الخضر: ما بالك لا تنتبه لي، كأنك لم تعرفني؟ فقال أبو السعود: بل عرفتك أنت الخضر، فقال له الخضر: فما بالك لم تنتبه لي فقال له أبو السعود: مشغول بخدمتي، ثم التفت إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله وقال: لم يترك في هذا الشيخ فضله لغيره .

وقال ابن عربي مخبراً عن نفسه: كنت أنا وصاحب لي بالمغرب الأقصى بساحل البحر المحيط، وهناك مسجد يأوى إليه الأبدال فرأيت أنا وصاحبى رجلاً قد وضع حصيراً في الهواء على مقدار أربعة أذرع من الأرض صلى عليها، فجئت أنا وصاحبى ووقفنا تحته وقلت شعراً:

شغل المحب عن الحبيب بصره	في حب من خلق الهواء وسخره
العارفون عقولهم معقولة	عن كل كون ترتضيه مطهرة
فهموا لديه مكرمون وعنده	أسرارهم محفوظة ومحزنة

قال: فأوجز في صلاته وقال: إنما فعلت هذا لهذا المنكر الذي معك وأنا أبو العباس. الخضر، ولم أكن أعلم أن صاحبى ينكر كرامات الأولياء، فالتفت إلى صاحبى وقلت: يا فلان أكنت تنكر كرامات الأولياء؟ قال: نعم، قلت: فما تقول الآن؟ قال: ما بعد العيان ما يقال .

وقال الشيخ عبد المعطى الإسكندراني لتلميذه عند موته: خذ هذه الجبة فطالما عانت فيها الخضر، وقالت زوجة القرش رحمها الله: خرجت من عند الشيخ ولم أترك عنده

أحد، فسمعت عنده رجلاً يكلمه، فوقفت حتى انقطع كلامه ثم دخلت فقلت يا سيدي خرجت من عندك وما كان عندك أحد والآن سمعت كلاماً عندك ! فقال الشيخ: الخضر أتاني بزيتونة من أرض نجد، فقال كل هذه الزيتونة ففيها شفاؤك، فقلت: اذهب أنت وزيتونتك لا حاجة لي بها، وكان الشيخ به داء الجذام، وقد جاء أنه لما توفي الرسول ﷺ سمعوا قائلاً يقول: من جوف البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه، إن في الله خلفاء من كل مالِك وعوضاً عن كل فائت، وأن المصاب من حرم الثواب، قال الراوي: كانوا يرون أنه الخضر .

واعلم - رحمك الله - : أن من أنكر وجود الخضر، فقط غلط، أو من قال: إنه غير خضر موسى، أو من قال: إن لكل زمان خضراً، وإن الخضرية رتبة يقوم بها رجل بعد رجل في كل زمن، والمنكر لوجود الخضر يعترف على نفسه بأن منة الله عليه بقاء الخضر لم تواجهه، وليته إذ فاتته الوصول إليها لا يفوته الإيمان بها، ولا تفتر بما عساك أن تقف عليه من كلام أبي الفرج بن الجوزي في كتاب سماه (عجالة المنتظر في شرح حال الخضر) أنكر فيه وجود الخضر، وقال: من قال إنه موجود فإنما قال ذلك لبواجس ووساوس وهوس قائم به ويستدل على عدم وجوده بقوله سبحانه ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ ^(١) فمجب لهذا الرجل كيف استدل بهذه الآية، ولا دليل فيها لأن الخلد هو بقاء لا موت معه، وليس هو المدعى في الخضر، إنما المدعى طول إقامة يكون الموت بعدها، فاعجبوا رحمكم الله لرجل يصدق ببقاء إبليس، وينكر طول بقاء الخضر، وما يروونه عن رسول الله ﷺ { لو كان الخضر حياً لزارني } فلم يثبتته أهل الحديث، فإن قالوا: لو كان ذلك لنقل، فاعلم أنه ليس كل شيء أطلع الله عليه رسول الله ﷺ يلزمه الإعلام به، كيف وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال { علمني ربّي ثلاثة علوم، علم أمرني بإفشائه، علم نهاني عن إفشائه، وعلم خيرني في إفشائه } .

وقال بعض العارفين إن الله ﷻ أطلع الخضر على أرواح الأولياء فسأل ربه أن يبقيه في دائرة الشهادة، حتى يراهم شهادة كذا رآهم غيباً .

قال الشيخ أبو العباس: كنت مع الشيخ في السفر، ونحن قاصدون الأسكندرية، حين مجيئنا من المغرب، فأخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله، فأتيت الشيخ أبا الحسن ﷺ، فلما أحس بي قال: أحمد .. قلت: نعم سيدي .. قال: آدم خلقه الله بيده

وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته نصف يوم (خمسمائة عام) ثم نزل به إلى الأرض، والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لينقصه، ولكن نزل به إلى الأرض ليكمّله، ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله سبحانه ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(١) ما قال ﷺ في السماء، ولا في الجنة . فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة لا نزول إهانة . فإنه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف، فأنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف، فإذا توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة .

وأخبرني بعض أصحاب الشيخ أبو الحسن قال: قال الشيخ ليلة اجتمع به الشرف البوني وشرف الدين بن المحلى ، وأخبراني أنهما دخلا على امرأة بغربى الأسكندرية فقالت لنا: أروني أيداكما فشمت أيدينا وقالت: اخوان صالحون، ثم قالت: انتهيت في المعرفة إلى مقام الحيرة، فقلت: إلهي بم يخرج العارفون من الحيرة؟ فقالت لي: بالتوحيد، فهل فيكم من يعرف هذا التوحيد الذي يخرج العارفون به من الحيرة؟ قالا فقلنا لها: إنما جئنا نلتبس بركتك، ثم قال الشيخ أبو الحسن: ألا دلوها على من ضيق عليه، ألا دلوها على من ضيق عليه، ثم توجه إلى جهتها وقال: التوحيد الذي يخرج العارفون به من الحيرة لا إله إلا هو، يخرج العارفون من الحيرة بلا إله إلا هو، فأصبح بعض أصحاب الشيخ فذهب إليها فوجدها وهي تقول: استغنيت . استغنيت، فعلمنا أن الشيخ أمدها في تلك الساعة .

وقال الشيخ أبو الحسن: كنت في بعض سياحاتي وقد آويت إلى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين فمكثت فيها ثلاثة أيام لم أذق فيها طعاماً، فبعد الثلاثة أيام دخل على أناس من الروم كانت قد أرست سفينتهم هناك، فلما رأوني قالوا: قسيس من المسلمين فوضعوا عندي طعاماً، وأداما كثيراً فعجبت كيف رزقت على أيدي الروم، ومنعت ذلك من المسلمين؟ وإذا قائل يقول لي: ليس الرجل من نصر بأحاباه، وإنما الرجل من نصر بأعدائه .

وقال الشيخ أبو الحسن: نمت ليلة في ساحتي على رابية من الأرض فجاءت السباع فطافت بي، فأقمت إلى الصباح، فما وجدت أنساً كأنس وجدته تلك الليلة فلما أصبحت خطر لي أنه حصل لي من قام الأنس بالله بشيء فهبطت وادياً وكان هناك طيور حجل لم أراها فلما أحست بي طارت بمرّة فحتم قلبي رعباً، فإذا على يقول لي: يامن كان البارحة يأنس بالسباع مالك توجل من خفقان الحجل، ولكن البارحة كنت بنا، والآن أنت بنفسك .

(١) (البقرة: ٣٠)

وقال ﷺ قلت يوماً وأنا في مغارة في ساحتى: إلهى متى أكون لك عبداً شاكراً؟ فإذا على يقول لى: إذا لم تر منعماً عليه غيرك، فقلت: إلهى كيف لا أرى منعماً عليه غيرى؟ وقد أنعمت على الأنبياء وأنعمت على العلماء وأنعمت على الملوك، فإذا على يقول لى: لولا الأنبياء لما اهتديت، ولولا العلماء لما اقتديت، ولولا الملوك لما آمنت، فالكل نعمه منى عليك .

وقال ﷺ: جمعت مرة ثمانين يوماً فخطر لى أن قد حصل لى من هذا الأمر شيء، وإذا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها الشمس حسناً وهى تقول منحوس . منحوس جاع ثمانين يوماً يدل على الله بعمله، وهو ذا لى ستة أشهر لم أذق طعاماً

وقال - رحمه الله -: كنت فى سياحتى فى مبدأ أمرى حصل لى تردد هل ألام البرارى والقفار للتفرغ للطاعة والأذكار، أو أرجع إلى المدائر والديار، لصحبة العلماء والأخيار، فوصف لى ولياً هناك وكان برأسى جبل، فصعدت إليه فما وصلت إليه إلا ليلاً، فقلت فى نفسى لا أدخل عليه فى هذا الوقت، فسمعتة وهو يقول من داخل المغارة: اللهم إن قوماً سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذلك، اللهم وإنى أسألك اعوجاج الناس على حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك، قال: فالتفت إلى نفسى وقلت: يا نفس انظرى من أى بحر يغترف هذا الشيخ، فلما أصبحت دخلت عليه، فأرعبت من هيئته فقلت له: يا سيدى كيف حالك؟ فقال: أشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم، كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار، فقلت له: يا سيدى أما شكواى من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه، وأما شكواك من برد الرضى والتسليم، فلماذا قول أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عن الله، فقلت يا سيدى سمعتك البارحة تقول: اللهم إن قوماً سألوك، أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم فإنى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى إلا إليك، فتبسم ثم قال: يا بنى عوض ما تقول سخرلى خلقك، قل يارب كن لى أترى إذا كان لك أيفوتك شيء فما هذه الجناية .

وقال ﷺ: كنت أنا وصاحب لى قد أوينا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله، فكنا نقول غداً يفتح لنا، بعد غد يفتح لنا، فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا: من أنت؟ فقال: عبد الملك، فعلمنا أنه من أولياء الله، فقلنا له كيف حالك؟ فقال: كيف حال من يقول غداً يفتح لى بعد غد يفتح لى، فلا ولاية ولا فلاح، يا نفس لم لا تعبدن الله . قال: فانتفضنا، وقلنا من أين دخل علينا، فتبنا واستغفرنا، ففتح لنا .

وقال ﷺ: كنت يوما بين يدي الأستاذ فقلت في نفسي: ليت شعري هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم؟ فقال: ولد الشيخ وهو في آخر المكان الذي أنا فيه: يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم؛ الشأن من يكون هو عين الاسم، فقال الشيخ: من صدر المكان أصاب وتفرس فيك ولدى .

وقيل للشيخ أبي حسن: يا سيدى لم تسمع لسمع فقال: السماع من الخلق جفاء .

وأخبرنى بعض أصدقائنا قال: استشفع طالب بالشيخ أبى حسن إلي القاضى تاج الدين بن بنت الأعز أن يزداد على مرتبه، فذهب الشيخ إليه فأكبر القاضى تاج الدين مجيء الشيخ وقال له: سيدى فيم جئت؟ قال: من أجل فلان، الطالب لنزيده في مرتبه عشرة دراهم، فقال له القاضى تاج الدين: يا سيدى هذا له فى المكان الفلانى كذا، وفى المكان الأخر كذا، وفى موضع كذا . كذا، فقال له الشيخ أبو الحسن: يا تاج لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تزيده إياها فإن الله تعالى لم يقنع بالجنة للمؤمن من جزاء حتى زاده النظر إلى وجهه الكريم فيها .

وقال الشيخ أبو الحسن: سمعت الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ { إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة }^(١) فأشكل على معناه، فرأيت الرسول ﷺ وهو يقول لي يا مبارك، ذاك غين الأنوار، لا غين الظلم والأكدار، وقال: سمعت الحديث المروى عن رسول الله ﷺ من سكن خوف الفقر قلبه، فلما يرفع له عمل فمكثت سنة أظن أنه لا يرفع عملي، أقول ومن يسلم من هذا فرأيت الرسول ﷺ فى المنام وهو يقول لى: يا مبارك أهلكك نفسك، فرق بين خطر وسكن .

وقال ﷺ: رأيت الصديق فى المنام، فقال لى: أتدرى ما علامة خروج حب الدنيا من القلب؟ قلت لا أدري قال: علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد، ووجود الراحة منها عند الفقد .

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه، وأبو داود (٨٤/٢) (١٥١٥) وأحمد فى مسنده (٢١١/٤)، والطبرانى فى الكبير (٢٨/١) والتبريدى فى مشكاة المصابيح (٢٣٢٤) والبيهقى فى الكبرى (٩٢/٧) الآحاد والمثانى (٣٤٦/٢) رقم (١١٢٧) والتاريخ الكبير (٤٣/٢) رقم (١٦٢٩) من حديث ابن عمر وروايته { مائة مرة } والديباج على صحيح مسلم (٥٨/٦) رقم (٢٧٠٢) والسنن الكبرى (١١٦/٦) رقم (١٠٢٧٦) والحاكم فى المستدرک (٦٩١/١) رقم (١٨٨٢) من حديث حذيفة رضى الله عنه، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه هكذا إنما أخرجه مسلم حديث أبى بردة عن الأغر المزنى عن النبى ﷺ، انظر المعجم الكبير (٣٠٢/١) رقم (٨٨٧) والمتنخب من مسند عبد بن حديد (١٤٢) رقم (٣٦٤) . والنهاية فى غريب الأثر (٣٣٥/٢) وتاريخ بغداد (٢٣/٨) رقم (٤٠٦٨) وتقريب التهذيب (٧٣٩/١) تهذيب التهذيب (٣١٨/١) رقم (٦٦٣) وتهذيب الكمال (٣١٥/٣) رقم (٥٤٢) وابن ماجه (٢٧٠) رقم (٣٨١٥) .

وقال ﷺ: استنار قلبي يوماً فكنت أشهد ملوكيته السموات والأراضين السبع فوقعت مني هفوة فحجبت عن شهود ذلك، فتعجبت كيف حجبتني عن هذا الأمر الكبير فإذا علي يقول لي: البصيرة كالبصر أدنى شيء يحل فيها يعطل النظر، ولنقبض عنان المقال لئلا نخرج عن غرض الكتاب، وإلا فكلام الشيخ أشهر من أن ينبه عليه وأكثر ما ذكرته هنا لا يوجد في الكلام المنسوب إليه. وقد مضى من كلامه في المقدمة، وسيأتى في أثناء الكتاب إن شاء الله .

وحسبكم من كلامه ما ذكره من كرامات القطب وما ذكره من طريق الخصوص والعموم والعلوم والحقائق والأسرار وحلاوة اللفظ، وأجزته مع الاشتمال على المعاني الكثيرة والهيبة التي تجدها عند ذكرك لكلامه أو سماعك إياه قل أن تجد ذلك في شيء من كلام أهل الطريق إماماً .

قال في كرامات القطب: فقال ﷺ: للقطب خمسة عشر كرامة، فمن ادعاها أو شيئاً منها فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصفات، ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجوديين وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى منتهاه وما ثبت فيه، وحكم ما قبل وما بعد، وحكم ما لا قبل له ولا بعد، وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم، بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه، فهذا معيار أعطاه الشيخ يختبر به من ادعى هذه الرتبة العظيمة القائمة بكفالة الأسرار والمحيط بمدد الأنوار .

وهذا نحو ما ذكره العارف بالله أبو عبد الله الترمذى الحكيم في كتاب الأولياء له أن من ادعى الولاية فيقال له: صف لنا منزل الأولياء فذكر مسائل معياراً على من ادعى الولاية ولقد أخبرني الشيخ مكي الدين الأسمر قال: مكثت أربعين سنة يشكل على الأمر في طريق القوم فلا أجد من يتكلم عليه ويزيل عني إشكاله حتى ورد الشيخ أبو الحسن فأزال عني كل شيء أشكل علي، ولما قدم الشيخ صدر الدين القولي إلى ديار مصر رسولاً اجتمع بالشيخ أبي الحسن وتكلم بحضرته بعلوم كثيرة، والشيخ مطرق إلى أن استوفى الشيخ صدر الدين كلامه، فرفع الشيخ أبو الحسن رأسه وقال:

أخبرني .. أين قطب الزمان اليوم؟ ومن هو صديقه؟ وما علومه؟ قال: فسكت الشيخ صدر الدين ولم يرد جواباً، وطريقه ﷺ طريق الغنى الأكبر، والتوصل العظيم حتى إنه كان

يقول ليس الشيخ من ذلك على تعبك، إنما الشيخ من ذلك على راحتك، ونشأ ﷺ على يديه رجال منهم من أقام بالمغرب كأبي الحسن الصقلي، وكان من أكابر الصديقين، وعبد الله الحبيبي وكان من أكابر أولياء الله تعالى، ومنهم من أتى معه وهاجر إلى ديار مصر منهم سيدنا ومولانا حجة الصوفية علم أهل الخصوص ثياب الدين أحمد بن عمر الأنصارى المرسى ﷺ، ومنهم الحاج محمد القرطبي، وأبو الحسن البجائي، وأبو عبد الله البجائي، والوجهاني والخرازي، ومنهم من صحبه بديار مصر منهم الشيخ مكي بن الدين الأسمر، والشيخ عبد الحليم، والشيخ الشرف البوني، والشيخ عبد الله اللقاني، والشيخ عثمان التوريجي، والشيخ أبي بن الدين جبريل، ولكل هؤلاء علوم وأسرار وأصحاب أخذوا عنهم، تركنا تتبع كراماتهم وخصوصياتهم لئلا نخرج عن غرض الكتاب .

وطريقه ﷺ تنسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، والشيخ عبد السلام ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني، ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ .

وسمعت شيخنا أبي العباس ﷺ يقول: طريقتنا هذه لا تنسب للمشاركة ولا المغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو أول الأقطاب، وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند إليهم طريق الأنساب من كانت طريقه بلبس الخرق، فإنها رواية الرواية، تتعين بتعين رجال سندها . وهذه هداية، وقد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ . وقد يجنع شمله برسول الله ﷺ فيكون آخذاً عنه وكفى بهذا منة .

ولقد قال لي الشيخ مكي بن الدين الأسمر ﷺ: أنا ما رباني إلا رسول الله ﷺ . وذكر عن الشيخ عبد الرحيم القناوي ﷺ أنه كان يقول: أنا لا منة لأحد على إلا رسول الله ﷺ وإذا أراد الله أن يتفضل على عبده ويغنيه عن الأستاذين حتى لا يكون له فيهم سلف فعل . وقال مالك لبعض جلسائه: إني أريد أن أجعلك وزيراً . قال: ليس لي في هذا سلف . قال: إني أريد أن أجعلك سلفاً لمن بعدك، ولنتقصر على هذا القدر فإنه كاف في التعريف بقدر الشيخ أبي الحسن ﷺ، وما الأمر إلا كما قال القائل:

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

وبدأنا بذكر الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، وإن كان قصدنا في وضع الكتاب ذكر مناقب شيخنا أبي العباس ﷺ، ولكن فعلنا ذلك لأمرين:

أحدهما: إن ذلك تعريف بقدر الشيخ أبي العباس، لأن شرف التابع بشرف المتبوع

والثانى: لأن الشيخ كان هذا شأنه ذكر الشيخ والدلالة عليه والإعراض عن ذكر خصائصه هو نفسه، حتى قال له إنسان: يا سيدى نراك تقول: قال الشيخ . قال الشيخ وقل أن تسند لنفسك شيئاً، فقال الشيخ: لو أردت على عدد الأنفاس أن أقول: قال الله ولو أردت على عدد الأنفاس أن أقول: قال رسول الله ﷺ ولو شئت على عدد الأنفاس أن أقول قلت أنا . قلت أنا، ولكن أقول قال الشيخ وأترك ذكر نفسى أدباً .

وقد تم الكلام فى الباب الأول والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب الثاني

فى شهادة الشيخ له أنه الوارث للمقام والحائز قصب
السبق بالتمام وإخباره هو عن نفسه بما من الله به
عليه من النعم الجسم، وشهادة الأولياء له أنه
بلغ من الوصول إلى الله تعالى لأفضل مرام .

ولنقدم أمام ذلك مقدمة، اعلم أن الوارث للرجل هو الظاهر بعلمه وحاله، وهو الذى
يظهر طريق الموروث على يديه يفسر مجملها ويبسط مختصرها ويرفع منارها ويبث نورها
يعرف الناس بما كان ذلك الرجل الكبير عليه من العلم بالله تعالى والمعرفة والنفوذ إليه
والاحتذاء من نوره حتى إذا فرط الناس فى محبة ذلك الرجل الكبير، وتعظيمه فى حال
حياته استدركوا ذلك بعد وفاته، لأن كل مقدور عليه مزهود فيه، وكل معجوز عنه متطلع
إليه بالشغف .

حتى لقد سمعت الشيخ أبا العباس يقول: يكون الرجل بين أظهرهم فلا يلقون إليه
بالأ حتى إذا مات قالوا كان فلان وربما دخل فى طريق الرجل بعد وفاته أكثر مما دخل
فيها فى حياته، والذى ظهر بهذه الأوصاف هو الشيخ أبو العباس الذى بث علوم الشيخ
أبى الحسن، ونشر أنوارها وأبدى أسرارها، وسار الناس إليه من أقاص البلاد وأقبلوا
مسرعين إليه من كل ناد فنشأت على يديه الرجال بصرها، وأظهرها بالمقال، والفعال حتى
انتشرت فى الأفاق الأصحاب، وأصحاب الأصحاب، وظهرت علوم الشيخ فى مظهرى
لسان وكتاب .

وأخبرنى الشيخ الصالح الأمين العدل زكى الدين الأسوانى قال: قال لى الشيخ أبو
الحسن عليه السلام: يا زكى عليك بأبى العباس فو الله إنه ليأتية البدوى يبول على ساقيه فلا
يمس عليه الماء، إلا وقد وصله إلى الله، يا زكى عليك بأبى العباس، فوالله ما من لى الله
كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه، يا زكى أبو العباس هو الرجل الكامل .

وسمعت الشيخ أبا العباس عليه السلام يقول عن نفسه: والله ما سار الأولياء والأبدال من
(ق) إلى (ق) حتى يلقوا واحد مثلنا فإذا لقوه كان بغيتهم، ثم قال: والله الذى لا إله إلا هو
ما من لى كان أو هو كائن إلا وقد أطلعنى الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله
تعالى .

وبلغنى عن الشيخ أبى الحسن أنه كان يقول: أبا العباس شمس، وعبد الحكيم قمر - وعبد الحكيم هذا ولى كبير من أصحاب الشيخ أبى الحسن - وقد تقدم ذكره، وسمعت الشيخ أبى العباس يقول: قال الشيخ أبو الحسن: سمعت يقال لى لن تهلك أمة فيها أربعة: إمام، وولى، وصديق، وسخى، وقال الشيخ أبو الحسن: الإمام هو أبو العباس.

وسمعت الشيخ أبا العباس يقول: ليس الشأن من ملك، الشأن من ملك ومالك أن يملك، وأنا والله ملكت وملكت أن أملك من سنة وثلاثين سنة . وسمعت يقول: الولى إذا أراد أغنى، وسمعت يقول: والله ما بينى وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته . وسمعت يقول: قال الشيخ أبو الحسن: يا أبا العباس: ما صحبتك إلا لتكون (أنت أنا - وأنا أنت) . وسمعت يقول: قال لى الشيخ: يا أبا العباس فيك ما فى الأولياء، وليس فى الأولياء ما فيك .

وأخبرنى فى بعض أهل البهنسا قال: قدم عليا الشيخ أبو العباس فقال: لى خمس وعشرون سنة ما حجبت فيها عن الله طرفة عين، قال: ثم غاب عنا خمسة عشرة سنة، ثم قدم علينا فقال: لى الآن أربعون سنة ما حجبت عن الله طرفة عين، وقال يوماً والله لو حجب عنى رسول الله ﷺ ما عددت نفسى مع المسلمين، وأخبرنى بعض أصحابه قال: دخل عليه بدمهور إنسان، فلما أراد أن يخرج قال: يا سيدى صافحنى فإنك قد لقيت عباداً وبلاداً، فلما خرج قيل: ما الذى يعنى ببلاد وعباد؟ فقال: إنسان يريد أنك صافحت عباداً أو سافرت بلاداً اكتسبت بركاتها فإذا صافحك حصل له منك بركة، فضحك الشيخ ثم قال: والله ما صافحت بهذه اليد إلا رسول الله ﷺ .

وكان ببشتيل القناطر رجل يقال له خليل، وهو الآن مدفون بها وكان من أولياء الله تعالى، قال: دخل على الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله فتوضأ عندى، ثم أخذ قوساً لى فجرها ثلاثاً فقلت له: يا سيدى من هو الخليفة بعدك؟ فقال: من يأتيك إلى هاهنا ويتوضأ نحو وضوئى هذا ويجر هذا القوس ثلاثة فهو الخليفة بعدى، قال: فدخل على أصحاب الشيخ أجمعهم وأنا أترصد هل يفعل ذلك أحد؟ فلم يتفق حتى دخل الشيخ أبو العباس رحمه الله على فى ذلك الوقت وتوضأ نحو وضوء الشيخ ورفع بصره فوجد القوس معلقاً، فقال: ناولنى تلك القوس فناولته إياه فجرها ثلاث مرات، ثم قال: يا خليل جاءك وعد الشيخ، وبلغنى عن الشيخ أبى الحسن أنه قال: هذا أبو العباس منذ نفذ إلى الله لم يحجب ولو طلب الحجاب لم يجده .

وقال الشيخ أبو العباس: كنت ليلة من الليالي جالساً بالأسكندرية أكتب كتاباً لبعض أصحابنا، وإذا بالشيخ خليل هذا في الهواء فقلت له: إلى أين انتهيت في سياحتك في هذه الليلة؟ فقال: خرجت من بشتيل وانتهيت إلى جبال الزيتون بالمغرب الأقصى، وأنا أريد أن أذهب إلى بيت المقدس وأعود إلى بلدتي ولو بسطت لي أكثر من ذلك لانبسطت، قال الشيخ: فقلت له: ليس الشأن أن تذهب إلى جبال الزيتون وتعود من ليلتك ولكن أنا الساعة لو أردت أن آخذ بيدك وأضعك على (ق) وأنا هنا لفعلت .

وخبرنى أبو عبد الله بن سلطان وكان من أولياء الله قال: أردت أن أرسل إلى الشيخ أبي العباس عسلاً فقلت إلى بعض أصحابي فقال: لي عندى نصفيتان عسل فراخ (أى: جرتان صغيرتان) فأتى إلى بهما فسددتهما وكتبت عليهما وديعة الشيخ أبي العباس المرسى وأتيت بهما إلى بحر تونس فدليتهما، فجاءني الخبر من عنده أنهما وصلوا إليه، وأخبرني بعض أصحابه قال: كان الشيخ جالساً يوماً فقال لبعض أصحابه: قم بنا فأتى إلى بحر السلسلة وأدلى يده فأخرج الجرتين .

وأخبرني عبد العليم بن الشيخ ماضى - وماضى هذا أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن وهو أخو عبد الله بن سلطان - قال: صليت ليلة عند الشيخ أبي العباس قيام شهر رمضان، فلما فرغ من الصلاة قال لولده: خذ ابن عمك واصعد به إلى فوق، قال: فطلعنا عند الشيخ فوضع لنا قطائف وعسلاً، وقال: هذا العسل من عند عمك، فلما ذهبت إلى والدى قال لي: أبطأت الليلة لقد شغلت قلبي، قلت: كنت عند الشيخ أبي العباس وأطعمنى قطائف وعسلاً وقال هذا العسل من عند عمك، قال: فقال أبى عجب هذا لي فى الديار مصر عشرون سنة ما أرسل لي أخى شيئاً قط حتى بلغه أن وصول العسل كان على الوجه الذى تقدم .

وكان يقول: والله لو حجبت عنى جنة الفردوس طرفة عين ما عدت نفسى مع المسلمين، وكان يقول: لو فاتنى الوقوف بعرفة فى سنة ما عدت نفسى مع المسلمين .

وسمعه رحمته الله يقول: إذا أوديت من بعض أصحابه أصبر فوالله ما هى إلا لك أى ما الورثة إلا لك .

ووجدت بخط الشيخ ابن ناشى أخبرنا الشيخ جلال الدين عن الشيخ أبي الحسن الشاذلى رحمته الله أنه قال: ألبس اليوم أبو العباس ثياب البدلة حين مجيئهم من الحجاز بالمراس بالجدير، قال ابن ناشى: فكتبت إلى شيخى أبي العباس رحمته الله فى ذلك الشعر:

فيارب بلغنى إلى باب قدوتى
 بها خلوة اشيوخ أعظم خلوة
 وصح لى عقدى وعهدى ونيتى
 بتلقيه الأوراد فى كل زروة
 فلا تسألوا يا قوم عن تلكموا التى
 ولكننى إن بحث بحث بعبرة
 تصرف بسر القلوب بهمة
 فاکرم بها من حضرة بعد حضرة
 غدت جلة الأبدال أو بسفرة
 بلا وقفة للركب فى مقام وقفة
 أتانى فربانى على حين فترة
 على فى العلا أعلى مقام المحبة
 إلى قبره بعد القيام بحجة

على ذلك الوجه الجميل تحيتى
 أقبل أقداماً سعت نحو خلوة
 فأخرج من ضيق الضلال إلى الهدى
 وأشرقت الأنوار من كل وجهة
 وأبصرت ما أبصرت من ذاك الذى
 أنوحَ عَلَيَّهَا لا أَبُوحَ ببعضها
 فسبحان من أعمى القلوب عن الذى
 ومن ذا الذى ربى بحضرة شيخه
 وكان جديراً فى الجدير بحلة
 كذلك قال الشيخ وهو مسافراً
 أفى الوقت ربان كأحمد الذى
 ومدحى له مدح لأحمد الذى
 فصلى عليه ما سار سائر

وأخبرنا الشيخ الإمام العارف نجم الدين عبد الله الأصفهاني نزيل مكة قال: قال لى
 الشيخ: صحبته وأنا ببلاد العجم أنك ستلقى القطب بديار مصر، فخرجت من بلادى
 قاصداً ذلك ثم وأنا فى بعض الطريق وإذ بجماعة من التتار فأمسكونى، وقالوا: هذا
 جاسوس فكتفونى ثم تشاوروا فى أمرى، فقال بعضهم: نقتله، وقال آخرون: لا نقتله،
 فبت مكتوفاً ففكرت فى أمرى وقلت لنفسى: خرجت من بلادى أريد لقاء من يعرفنى
 بالله، والله ما جزعى من الموت، ولكن كيف أموت قبل أن أنال ما قصدت، فنظمت أبياتا
 ضمنت فيها شعرا من امرئ القيس منها:

وقد أوطأت نعلى كل أرض وقد أتعبت نفسى باغترابى

وقد طفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

فما استتممت الإنشاد إلا وأنا أرى رجلا كث اللحية ظاهر الهيبة أتى إلى كالبازى
 إذا انقض على الفريسة فحل وثاقى، وقال: قم يا عبد الله فأنا مطلوبك، ثم إنى قدمت
 ديار مصر، فقيل لى هاهنا رجل يقال له أبو العباس المرسى، فذهبت إليه فإذا هو ذلك
 الرجل الذى حل وثاقى، وقال لى: لقد أعجبنى ما نظمته ليلة أسرت وقولك .. وذكر
 الأبيات إلى آخرها !!

وأخبرني الشيخ نجم الدين أيضا قال: قال لي شيخي: إذا لقيت القطب فلا تصلين وهو وراءك، فجئت يوما إلى أبي العباس وهو بالأسكندرية عند صلاة العصر، فلما دخلت عليه قال: أصليت العصر؟ قلت: لا، قال: قم فصل، وفي المكان الذي هو فيه إيوانان قبلي وبحري، وكان الشيخ جالسا في البحري، فلما قمت لأصلي تذكرت ما قاله شيخي إذا لقيت القطب (فلا تصلين وهو وراءك) وعلمت أنني إذا صليت كان الشيخ وراء ظهري، فأقام الله بقلبي حالة وقلت: حيثما كان الشيخ هناك القبلة، فتوجهت لناحية الشيخ وأردت أن أكبر، فقال الشيخ: لا هو لا يرضيه خلاف السنة .

وقال ﷺ: ماذا أصنع بالكيمياء؟ والله لقد صحبت أقواما ما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة، فيشير إليها فتثمر في إيانا للوقت، فمن صحب هؤلاء الرجال، ماذا يصنع بالكيمياء؟

وأخبرني بعض أصحابنا، قال: كنت أصحب بمدينة قوص الشيخ أبا عبد الله البجائي أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي، فكان يقع لي الأمر فأسأل عنه الشيخ أبا عبد الله فيقول: ليس هذا الأمر لي، ولكن إن جمع الله بينك وبين أبي العباس المرسى تجد عنده ما تريد .

وقال: رأيت في المنام كأن معي طبقا فيه بسر وحواري يأكل منه فعمرتي، فقيل: هذا رجل كبير، لك على يديه علوم بعد ما أتى وقتها، فلما ورد الشيخ أبو العباس إلى مدينة قوص، دخلت عليه، فسألته عما كان يقع لي فأجابني عن ذلك، وقال: تذكر رؤياك البسر والحواري يأكل منه، أنا ذلك الحواري .

وتجارت الكلام يوما مع الشيخ مكين الأسمر ﷺ فقلت له عن الشيخ أبي العباس قال الشيخ: كذا... وقال: كذا... وتمادى بنا الكلام والفقير مكين يستغرب تلك الحقائق التي أقولها عن الشيخ إلى أن قال: نقول لك الحق ما عرفنا الشيخ أبا العباس، فهذا اعتراف من الشيخ مكين الدين بعظم شأن الشيخ أبي العباس، وأنه لم يعترف به أحد من أصحابنا أبا الحسن الشاذلي، وشهد للشيخ مكين الدين الأسمر، أنه من السبعة الأبطال.

وكننت يوما عند الشيخ أبي العباس الدمنهوري، وعنده إنسان من أصحابنا أصحح أبو العباس. فقال له أحد الحاضرين: هذا من أصحاب أبي العباس المرسى، فقال الشيخ أبو العباس الدمنهوري: إن سيدي أبو العباس المرسى ملك من ملوك الآخرة .

وأخبرني سليمان الباخس قال: دخلت على الشيخ أبي العباس الدمنهوري فسمعتة يقول: يا رب هذا أبو العباس، وأنا أبو العباس، ويكرر ذلك . فقلت: ياسيدي من أبو العباس؟ قال: المرسى يا بني ما من أحد من أسوان إلى الأسكندرية رجل مثله، ثم قال: ما من أسوان إلى دمياط إلى الأسكندرية رجل مثله .

وأخبرني سليمان هذا قال: لقيت يوما الشيخ أبا العباس المرسى، وقد خرج من الحمام، فعزمت عليه بداري، فصعد عندي فقدمت له من البطيخ (الصالحى)، وفى أثناء أكله سألته: عن رجل كان كثير الشهرة يرحل بالخلق الكثيرين والرايات، ولا يحضر صلاة الجمعة، حين ذكرت ذلك تغير لون الشيخ، وقال: والله لو علمت أنك تذكره لى ما طلعت عندك، تذكرون بين يدى الأبدال والأولياء أهل البدع .

وسمعتة يقول: والله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم فى زمن واحد قط، إلا واحد عن واحد إلى الحسن، وأخبرني جماعة من أهل أشموم، قالوا: قدم علينا الشيخ أبو الحسن الشاذلى، فكان يتكلم علينا فيمجينا كلامه، فإذا رأى إعجابنا بذلك قال: كيف لو رأيتم الشيخ أبا العباس المرسى، لو أطلق أبو العباس لسانى؟ لتكلمت بالعلم الغريب .

وسمعتة يقول: كان يتكلم فى هذا العلم ثلاثة: الشيخ أبو الحسن، وصاحبه أبو الحسن الصقلى، وأنا، توفى الشيخ رحمه الله، وتوفى الصقلى، ولا أعلم على وجه الأرض أحدا يتكلم فى هذا العلم غيرى، وكنت أنا حين توفى الشيخ أبو العباس بالقاهرة، فدخلت يوما زاوية الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فجلست فيها، فقال واحد من الفقراء يخاطب آخر: يا أخى لقد مات رجل كبير ! فقال له الآخر: من هو؟ قال: الشيخ أبو العباس المرسى، وهما لا يعلمان أنى من أصحاب الشيخ، فقال أحدهما: أتدرى ما اتفق الشيخ مع شيخنا صفى الدين؟ قال: لا، قال: سمع الشيخ ليلة هنا ذكر ألا يعهده، فقال لى: اذهب فانظر من هذا؟ فذهبت فإذا هو أبو العباس وأصحابه، فرجعت إلى الشيخ صفى الدين فقلته بما رأيت، فقال: يأتى هذا الرجل هنا ولا يزورنا؟ ما هذا إلا أمر عجيب؟! ثم أطلعني الشيخ صفى الدين فقال لأصحابه: رأيت البارحة . كأنى فى فلاة من الأرض، وأبو الله فى موضع مرتفع وهو يقول لى: يا أخى يابى الله أن نجتمع إلا هكذا .

وقال الشيخ أبو عبد الله النعمان: الشيخ أبو العباس المرسى وارث علم الشاذلى حقيقة . وقال لى الشيخ أمين الدين جبري: تريد أن أريك وليا من أولياء الله تعالى، قلت: نعم، قال: امض بنا، فأتى بى إلى الشيخ أبي العباس وقال: هو هذا !!

وأخبرني بعض أصحابه: عزم إنسان على الشيخ فقدم إليه الطعام يختبره، فأعرض عنه الشيخ ولم يأكله، ثم التفت إلى صاحب الطعام، وقال: إن كان الحارث بن أسد المحاسبي في إصبعه عرق، إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه، فأنا في يدي ستون عرقاً تتحرك على إذا كان مثل ذلك، فاستغفر صاحب الطعام واعتذر للشيخ .

ومن المشهور بين أصحاب الشيخ أبي الحسن وغيرهم أن الشيخ كان يوماً بالقاهرة في دار الزكي السراج وكتاب المواقف للنفري يقرأ عليه، فقال: أين أبو العباس؟ فلما جاء قال: تكلم يا بني بارك الله فيك تكلم ولن تسكت بعدها أبداً، فقال الشيخ أبو العباس: فأعطيت في ذلك الوقت لسان الشيخ، ولقد كان علماء الزمن يسلمون له هذا الشأن حتى كان شيخنا الإمام العلامة سيف المناظر حجة المتكلمين شمس الدين الأصفهاني، والشيخ العلامة شمس الدين الأيكي، يجلسان بين يديه جلوس المستفيد، آخذين عنه ومتعلقين ما بيديه، حتى سأله أحدهما عن بعض المشايخ الظاهرين في الوقت، يا سيدي: أتعرفه؟ فقال الشيخ أعرفه هنا وأشار إلى الأرض، ولا أعرفه هنا وأشار إلى السماء .

وسأله أحدهما عن إنسان كان بدمشق الغالب عليه السكر والغيبة، فقال الشيخ ﷺ كل من لا يكون له في هذه الطريقة شيخ لا يفرح به .

وكان من مذهبه ﷺ أنه لا يلزم أن يكون القطب شريفاً حسينياً، بل يكون من غير هذا القبيل، وتكلم يوماً في القطب وأوصافه، ثم قال: وما القطبانية بعيدة من بعض الأولياء، وأشار إلى نفسه .

وأخبرني بعض أصحابه قال: استلقى الشيخ يوماً على ظهره ومسك بلحيته وقال: لو علم علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات لأتوها، ولو سعياً على وجوههم .

وكان يقول والله ما نطالع كلام أهل الطريق إلا لنرى فضل الله علينا، وقال في الإمام أبي حامد الغزالي ﷺ: لنشهد له بالصدقية العظمى .

وكان الشيخ أبو الحسن يقول: إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوصلوا إليه بإيمان أبي حامد الغزالي .

وكان يقول عن شيخه أبي الحسن: كتاب الإحياء يورثك العلم، وكتاب القوت يورثك النور . وكان يقول عن الشيخ أبي الحسن: عليكم بالقوت فإنه قوت، وكان هـ والشيخ أبو الحسن كل منهما يعظم الإمام الرباني محمد بن علي الترمذي، وكان كلامه

عندهما الحظوة التامة ، وكان يقول عنه إنه أحد أربعة أوتاد .

ودخلت عليه يوماً فوجدته مغموساً فى وارد ورد عليه فقال : سمعت البارحة يقال لى السلام عليكم يا عبادى ، ثم قال وهذا قد سمعته فى السنة مرة أو مرتين ، وهذا الحديث الذى قال فيه أبو العباس بن العريف شعراً :

بدا لك طال عنك اكتمامه	ولا صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه	ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فإن غبت عنه حل فيه وطنبت	على موكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه	شهى إليه نشره ونظامه

الباب الثالث

فى مجرباته، ومنازلاته، وما اتفق لأصحابه معه، ومكاشفاته

سمعت الشيخ أبا العباس عليه السلام يقول: كنت وأنا صبي عند المؤدب جاء رجل فوجدنى أكتب فى لوح، فقال: للصوفى لا يسود بياضاً، قال: فقلت: ليس الأمر كما زعمت، ولكن يسود بياض الصوائف بسواد الذنوب .

وسمعته يقول: عمل إلى جانب دارنا خيال الستارة، وأنا إذ ذاك صبي فحضرته، فلما أصبحت أتيت إلى المؤدب وكان من أولياء الله تعالى فأنشد حين رآنى: يا ناظراً صور الخيال تعجباً وهو الخيال بعينه لو أبصرا

وقال عليه السلام: رأيت ليلة كأنى فى سماء الدنيا، وإذا برجل أسمر اللون قصير الطول كبير اللحية، فقال: قل اللهم اغفر لأمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم استر أمة محمد، اللهم اجبر أمة محمد، وهذا دعاء الخضر من قاله كل يوم كتب من الأبدال، فقيل هذا الشيخ ابن أبى شامة، فلما انتهيت وأتيت إلى الشيخ أبى الحسن جلست ولم أخبره شيئاً، فقال: اللهم اغفر لأمة محمد - الدعاء - من قاله كل يوم كتب من الأبدال .

وقال عليه السلام: كنت أخرج كل يوم من باب البحر نحو المنار فخرجت يوماً إلى المنار، فنمت عند الجانب الشرقى، وكان قد خطر فى نفسى ما سبب قلة رواية أبى بكر الصديق عليه السلام عن الرسول ﷺ مع كثرة ملازمته له، فإذا على يقول لى: أعلم الناس بعد رسول الله أبو بكر الصديق، وإنما قلت روايته عنه لتحقيقه به .

وقال عليه السلام طالعت مقام الرحمة فإذا على يقول لى: والله ليكونن من رحمة يوم القيامة ما ينال منها ابن أبى الطواجن، وكان هذا ابن أبى الطواجن قد قبل الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبو الحسن الشاذلى عليه السلام .

وقال عليه السلام: كنت مع الشيخ فى مدينة الرسول ﷺ فأردت أن أزور حمزة عليه السلام فخرجت من المدينة فتبعنى رجل فأتينا إلى التربة فإذا الباب مغلق فانفتح الباب ببركة رسول الله ﷺ فدخلنا فوجدنا هنالك رجل من الأبدال، فقلت للرجل الذى تبعنى ادع فى هذا الوقت بما تريد فإنه مستجاب لك إن شاء الله تعالى، فدعا ذلك الرجل أن يعطيه الله ديناراً، فلما رجعنا إلى المدينة لقيه رجل فأعطاه ديناراً، فلما دخل على الشيخ أبى الحسن قال له: يا

بطل صادفت وقت إجابة فسألت الله ديناراً، أهلاً سألت الله كما سأله أبو العباس سأله أن يكفيه هم الدنيا وعذاب الآخرة، وقد استجاب الله تعالى له ذلك .

وقال ﷺ كنت جالساً بين يدي الأستاذ فدخل عليه جماعة من الصالحين، فلما خرجوا من عنده قال: هؤلاء الأبدال، فنظرت ببصيرتي فلم أجدهم أبداً، فتحيرت بين ما أخبر به الشيخ وبين ما شهدته ببصيرتي، فبعد ذلك بأيام قال الشيخ: من بدلت سيئاته حسنات فهو بدل، فعلمت أن الشيخ أراد أول مراتب البدلية .

وأخبرني الشيخ العارف نجم الدين الأصفهاني قال: قال لي الشيخ أبو العباس يوماً ما اسم كذا وكذا بالعجمية؟ فخطر لي أن الشيخ يجب أن يقف على اللغة العجمية، فأتيت له بكتاب الترجمان . فقال الشيخ ﷺ ما هذا الكتاب؟ قلت: سل ما شئت بالعجمية أجيبك بالعربية، أو سل ما شئت بالعربية أجيبك بالعجمية، فسألته بالعجمية فأجبنى بالعربية، وسألته بالعربية فأجبنى بالعجمية، وقال يا عبد الله ما أردت بقول ما اسم كذا؟ إلا مباسطتك، وإلا فلا يكون صاحب هذا الشأن ويخفى عليه شيء من الألسنة .

وأخبرني أيضاً قال: قال لي الشيخ أبو العباس يوماً: كم بين بلدة كذا وبلدة كذا من نهر لبلدين من بلاد العجم؟ فقلت أربعة أنهار، فقال: والنهر الذي غرفت فيه، فذكرت إنني نسيت نهراً أتيت لأخوضه فكدت أن أغرق فيه .

وأخبرني العارف ياقوت قال: عزم على إنسان فقدم لي طعاماً فرأيت عليه ظلمة كالمكب، فقلت في نفسي: هذا حرام فامتنعت من أكله، ثم دخلت على الشيخ أبي العباس فقال لي أول ما جلست: ومن جهل بعض المريدين أن يقدم له طعام فيرى عليه ظلمة فيقول هذا حرام، يا مسكين ما يساوى ورعك بسوء ظنك، هل قلت: هذا طعام لم يردن الله به .

ودخلت أنا عليه وفي نفسي ترك الأسباب والتجرد وترك الاشتغال بالعلم الظاهر قائلاً: إن الوصول إلى الله لا يكون على هذه الحالة، فقال لي من غير أن أبدى له شيئاً: صحبني بقوص إنسان يقال له ابن ناشي، وكان مدرساً بها ونائب الحكم، فذاق من هذا الطريق شيئاً على يدينا، فقال: يا سيدي أترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك؟ فقلت له: ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أقامك الله، وما قسم لك على أيدينا هو إليك واصل، ثم قال: هكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق هو الذي يتولى إخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي وكأنها كانت ثوباً نزعته، ورضيت

عن الله فيما أقامنى فيه .

وأخبرنى بعض أصحابنا قال: رأيت وأنا بالمغرب دائرة من الرجال ورجل فى وسطها، وكل من فى تلك الدائرة متوجه إليه، فقلت فى نفسى هو القطب، وعرفت ذلك الرجل بصفته، وبقيت كلما ذكر لى عن رجل آتى إليه وأقول عسى أن يكون ذلك الرجل، حتى قيل لى عن الشيخ أبى العباس المرسى، فأتيته وإذا هو ذلك الرجل الذى رأيته فى وسط تلك الدائرة، فأخبرته فقال: نعم أنا القطب، أما الذين يقابلون بطنى لهم المدد من باطن حقيقتى، والذين يقابلون ظهرى لهم المدد من ظاهر علمى، والذين يقابلون جنبى لهم المدد من العلوم التى بين جنبى .

وأخبرنى بعض أصحابنا قال: رأى إنسان من أهل العلم والخير كأنه بالفرقة الصغرى والناس مجتمعون يتطلعون إلى السماء، وقائل يقول: الشيخ أبو الحسن الشاذلى ينزل من السماء والشيخ أبو العباس مترقب لنزوله متأهب له، فرأيت الشيخ أبا الحسن قد نزل من السماء وعليه ثياب أبيض، فلما رآه الشيخ أبو العباس ثبت رجله فى الأرض وتهدأ لنزوله عليه، فنزل الشيخ أبو الحسن عليه ودخل من رأسه حتى غاب فيه واستيقظت .

وأخبرنى الشيخ محمد السراج قال: كنت ليلة من الليالى نائماً وأنا أرى فى المنام قائلاً يقول لى: اذهب إلى خارج الأسكندرية من باب السدرة فأول بستان تلقاه من الجانب الأيسر، فادخل فيه فإنك تجد هناك جماعة من الناس، الجالس منهم تحت أطول نخلة هناك رجل من الرجال، ثم قيل لى إن فى الجامع حلقة من دخل فيها فهو آمن، فلما أصبحت خرجت إلى ظاهر الأسكندرية فدخلت أول بستان من الجانب الأيسر فوجدت حلقة هناك فرفعت بصرى لأنظر إلى أطول نخلة، فإذا قائل يقول: كلها طوال، فإذا هو الشيخ أبو العباس المرسى، فسلمت وجلست وقلبت يا سيدى: رأيت البارحة كذا وكذا وقصصت عليه الرؤيا، فقال: أنا الجامع والحلقة هم أصحابى ومن دخل فيها فهو آمن، أى: من دخل فى شروطنا فهو آمن، ثم قال: أنا الليلة آتيك، فقلت يا سيدى انتظر كى على الباب أو أترك لك الباب مفتوحاً، قال: لا ولكن أغلق الباب وأنا آتيك، قال: فلما كان الليل أخذنى شبه الوهم وصرت أقول: من أين يأتى من هنا يأتى؟ لا بل من هنا يأتى؟ فلم أطق المكث فخرجت إلى رباط الواسطى فصعدت المآذنة، ووقفت لأصلى، فأنا فى الصلاة، وإذا الشيخ أبو العباس قد أتى فى الهواء، وقال: يا محمد أظن أنك إذا جئت إلى هنا

يخفى على مكانك؟ فقلت: يا سيدى إنما جئت هنا لأنى لم أطق، وهالنى الأمر، وكان المخاطب له منى لسان آخر غير الذى كنت أقرأ به .

وأخبرنى بعض أصحابه قال: كنا مع الشيخ بمدينة قوص، وكان من أصحاب الشيخ أبى العباس المرسى، وأبو الحسن المرسى، وكان فى خلقه حدة فنزل يوماً ولد الشيخ يلعب كما تلعب الصبيان، فقال له الشيخ أبو الحسن المرسى: اطلع لا أطلعك الله، فسمعه الشيخ أبو العباس فنزل وقال: يا أبا الحسن حسن خلقك مع الناس بقى لك عام وتموت، فمات تمام العام .

وأخبرنى أبو عبد الله الحكيم المرسى قال: قدم علينا الشيخ أشمون فلما جن الليل دعانى الشيخ وقال: ادن منى يا حكيم فدنوت فوضع يده خلف ظهري وفعلت أنا كذلك وضمنى إليه، وبكى وبكى لبكائه ولا أدري مما بكاؤه، فقال: يا حكيم ما جئتكم إلا مودعاً يا حكيم اذهب إلى المقر فأودع أخى، ثم أعود إلى الأسكندرية، فأبيت بها ليلة وأدخل فى اليوم الثانى قبرى، فسافر فأقام عند أخيه مدة يسيرة، ثم انحدر إلى الأسكندرية فأقام ليلة، ودخل اليوم الثانى قبره كما قال .

وأخبرنى سيدنا جمال ولد الشيخ ﷺ قال: ورد رسول الإفرنج إلى الأسكندرية فذهبت لأنظره ولم أعلم الشيخ، فلما جئت قال: أين كنت؟ قلت: هاهنا، قال: لا بل ذهبت تنظر رسول الإفرنج، أتظن أن شيئاً من أحوالك يخفى على . كان الرسول لابساً كذا، وراكباً عن يمينه فلان وعن يساره فلان، فوصف الحال على ما كان عليه .

وأخبرنى عبد العزيز المديونى قال: قال لى الشيخ: يا عبد العزيز سقيت الفرس؟ وما كنت سقيتها، فقلت نعم خوفاً من الشيخ، فقال يا عبد العزيز سقيت الفرس؟ قلت: نعم، فكرر على ذلك مراراً وأنا أقول نعم، وفى المرة الأخيرة قال والله وطار فى الهواء حتى غاب عن بصرى، فلما كان اليوم الثانى قال: يا عبد العزيز ما الذى يحوج الإنسان منكم أن يقول غير الحق، كنت تقول ما سقيتها وماذا كنت أصنع بك؟ إذا كنت لم تسقها، وكنت أنا سمعت الطلبة يقولون من صحب المشايخ لا يجيء منه فى العلم الظاهر شيء، فشق على أن يفوتنى العلم وشق على أن يفوتنى صحبة الشيخ، فأتيت إلى الشيخ فوجدته يأكل لحماً بخل، فقلت فى نفسى ليت الشيخ يطعمنى لقمة من يده، فما استتممت خاطر إلا وقد دفع فى فمى لقمة من يده، ثم قال: نحن إذا صحبنا تاجراً ما نقول له اترك تجارتك وتعال أو صاحب صنعة ما نقول له اترك صنعتك وتعال، أو طالب علم لا نقول له اترك طلبكم

للعلم وتعال، ولكن نقر كل واحد فيما أقامه الله تعالى فيه وما قسم له على أيدينا هو واصل إليه، وقد صحب الصحابة رسول الله ﷺ فما قال لتاجر اترك تجارتك، أو لذى صنعة اترك صنعتك، بل أقرهم على أسبابها وأمرهم بتقوى الله فيها .

وسمعتة يقول: سافرت إلى قوص ومعى خمسة أنفس الحاج سليمان وأحمد بن الزين وأبو الربيع وأبو الحسن المرسى وفلان، فقال لى إنسان ما الذى تقصد بسفرك يا سيدى؟ فقلت له ادفن هؤلاء الخمسة وأجىء، فدفنت الخمسة بها أما الحاج سليمان فما مات حتى شرب من حوض الكوثر .

وأخبرنى بعض أصحابه قال: نزلت عند بعض الأعيان فقلت فى نفسى أشتهى من ينبهنى قبل الفجر بمنزلة ويأتينى بإبريق ماء ساخن ويأتينى بسراج ويرينى محل الطهارة، وإذ أنا قبل الفجر إلا وطارق يطرق الباب فخرجت وإذا هو الشيخ، فقال: الوقت قبل الفجر بمنزلة وهذا إبريق فيه ماء ساخن وهذه شمعة وتعالى حتى أريك محل الطهارة، وكنت قد قلت لبعض أصحاب الشيخ أريد لو نظر إلى الشيخ بعنايته وجعلنى فى خاطره، فقال ذلك للشيخ، فلما دخلت على الشيخ قال: لا تطلبوا الشيخ بأن تكونوا فى خاطره، بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ فى خاطركم، فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده، ثم قال: أى شىء تريد أن يكون، والله ليكون لك شأن، والله ليكون لك شأن عظيم، والله ليكون كذا، والله ليكون كذا، ولم أثبت منه إلا قوله ليكون لك شأن عظيم، فكان من فضل الله ﷻ ما لا تنكره .

وأخبرنى سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال: قلت للشيخ هم يريدون يصدرون ابن عطاء الله فى الفقه، فقال الشيخ: هم يصدرونه فى الفقه وأنا أصدره فى التصوف، ودخلت أنا عليه فقال لى: إذا عوفى الفقيه ناصر الدين مجلسك فى موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية، وتتكلم إن شاء الله فى العالمين فكان ما أخبر به .

وسمعتة يقول أريد أن استنسخ كتاب التهذيب لولدى جمال الدين، فذهبت أنا استنسخه من غير أن أعلم الشيخ، وأتيت بالجزء الأول فقال: ما هذا؟ فقلت كتاب التهذيب استنسخته لكم، فأخذه فلما نهض ليقوم قال: اجعل بالك الولى لا يتفضل عليه أحد تجد هذا إن شاء الله تعالى فى ميزانك، فلما أتيت بالجزء الثانى لقينى بعض أصحابه بعد نزولى من عنده وقال: قال الشيخ عنك والله لأجعلنه من عيون الله يقتدى به العلم الظاهر والباطن، فلما أتيت بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقينى بعض أصحابه وقال:

طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء، فقال: هذا الكتاب استنسخه لى ابن عطاء الله، والله ما أرضى له بجلسة جده، ولكن بزيادة التصوف .

وأخبرنى بعض قال: قال الشيخ يوماً: إذا جاء ابن فقيه الأسكندرية فأعلمونى به، فلما أتيت أعلمنا الشيخ بك، فقال: تقدم فقدمك بين يديه ثم قال: جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ومعه ملك الجبال حين كذبتة قريش، فقال له جبريل: هذا ملك الجبال أمره الله أن يطيع أمرك فى قريش، فسلم عليه ملك الجبال وقال: يا محمد إن شئت أطبق عليهم الأخشيين فعلت، فقال رسول الله ﷺ { لا ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به شيئاً }^(١) فصبر عليهم رسول الله ﷺ رجاء أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله، كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه .

وخرجت يوماً من عند الفقيه المكين الأسمر رحمه الله، وخرج معى أبو الحسن الجرى، وكان من أصحاب الشيخ أبى الحسن، فسلمت عليه فسلم على بيشاشة وإقبال فقلت له: من أين تعرفنى؟ فقال: وكيف لا أعرفك، كنت يوماً جالساً عند أبى العباس وكنت أنت عنده، فلما نزلت قلت له: يا سيدى إنه ليعجبنى هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم، فقال الشيخ: يا أبا الحسن لن يموت هذا الشاب إن شاء الله تعالى حتى يكون داعياً يدعوا إلى الله فكان ما قاله الشيخ والحمد لله .

وأخبرنى أبو الحسن هذا قال: كنت عند الشيخ أبى الحسن وكان يقرأ عليه كتاب ختم الأولياء للترمذى الحكيم، فرأيت واحداً جالساً لم يطلع معنا، ولم يكن عند الشيخ وقت طلوعنا؟ فقلت لإنسان إلى جانبى: من هذا الرجل الجالس إلى جانب فلان؟ فقال: ما هاهنا أحد غير الجماعة الذين نعرفهم، فسكت وعلمت أنه لم يره، فلما انصرف الجميع سألت الشيخ أبا الحسن رحمه الله فقلت: يا سيدى هاهنا رجلاً لم يطلع معنا ولم يكن عندك قبل طلوعنا، فقال الشيخ: ذاك أبو العباس المرسى يأتى كل ليلة من المقسم حتى يسمع الميعاد ثم يعود من ليلته إلى مكانه، والشيخ أبو الحسن إذا ذاك بالأسكندرية .

وكننت كثيراً ما يطرأ على الوسواس فى الطهارة، فبلغ ذلك الشيخ فقال: بلغنى أن بك وسواساً فى الوضوء، فقلت: نعم، فقال هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه (١٤٢٠/٣) رقم (١٧٩٥) وانظر الجامع الصحيح المختصر (١١٨٠/٣) رقم (٣٠٠٩) والديباج على صحيح مسلم (٤٠٦/٤) رقم (١٧٩٥) والسنن الكبرى (٤١٧/٢) رقم (٣٩٨٦) والنهاية فى غريب الأثر (٣٢/٢)

بهم ثم مكثت أياماً ودخلت عليه فقال: ما حال ذلك الوسواس؟ فقلت على حاله فقال: إن كنت لا تترك الوسوسة فلا تعد تأتينا، فشق ذلك على وقطع الوسواس عني .

وكان ﷺ يلقي للوسواس سبحانه الملك الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأتى بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز، وعملت قصيدة أمدحه بها مذكورة في آخر هذا الكتاب فقال حين أنشدت أيدك الله بروح القدس ثم عملت قصيدة أخرى بإشارته جوا بالقصيدة مدحه بها إنسان من بلاد أخميم وسيأتى في آخر الكتاب ذكرها، فلما قرئت عليه، قال: هذا الفقيه صحنى وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد أن يجلس ويتحدث فى العلمين يشير إلى مرض الوسوسة فلقد انقطع بركات الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون لشدة التوسعة التى أجدها . قد تساهلت فى بعض الأمور، والمرض الآخر كان بى ألم برأسى فشكوت ذلك إليه، فدعا الله لى فعافانى وشفانى، وبت ليلة من الليالى مهموماً فرأيت الشيخ فى المنام فشكوت إليه ما أنا فيه، فقال: اسكت والله لأعلمنك علماً عظيماً، فلما انتبهت أتيت إلى الشيخ فقصص عليه الرؤيا، فقال: هكذا يكون إن شاء الله تعالى .

. وجاء يوماً من السفر فخرجنا لقائه، فلما سلمت عليه، قال: يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل أوليائه وبهاك بين خلقه، فلقد وجدت بركة هذا الدعاء .

وعلمت أنه لا يمكننى الانقطاع عن الخلق وإنى مراد بهم لقوله وبهاك بين خلقه، وكنت أنا لأمره من المنكرين، وعليه من المعترضين لا لشيء سمعته منه صح نقله حتى جرت بينى مقالة وبين أصحابه وذلك قبل صحبتى إياه، وقلت لذلك الرجل ليس إلا أهل العلم الظاهر، وهؤلاء القوم يدعون أموراً عظيمة وظاهر الشرع يأبأها، فقال ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ: تدرى ما قال لى الشيخ يوم تخاصمنا؟ قلت: لا، قال دخلت عليه فأول ما قال لى هؤلاء كالحجر ما أخطاك منه خير مما أصابك، فعلمت أن الشيخ كشف بأمرنا، ولعمرى لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عاماً فما سمعت منه شيئاً ينكره ظاهر العلم من الذى كان ينقله عنه من يقصد الأذى .

وكان سبب اجتماعى به أن قلت فى نفسى بعد أن جرت المخاصمة بينى وبين ذلك الرجل: دعنى أذهب أنظر إلى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه، فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم فى الأنفاس التى أمر الشارع بها، فقال: الأول إسلام، والثانى: إيمان، والثالث: إحسان، وإن شئت قلت الأول: عبادة والثانى: عبودية، والثالث: عبودة، وإن شئت قلت: الأول: شريعة، والثانى: حقيقة، والثالث: تحقق، أو نحو ذلك،

فما زال يقول: وإن شئت قلت، وإن شئت قلت إلى أن أبهر عقلي، وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهي، ومدد رباني، فأذهب الله ما كان عندي، ثم أتيت تلك الليلة إلى المنزل فلم أجد في شيئاً يقبل الاجتماع بالأهل على عادتي ووجدت معنى غريباً، لا أدري ما هو؟ فانفردت في مكان أنظر إلى السماء وإلى كواكبها، وما خلق فيها من عجائب قدرته فحملني ذلك على العودة إليه مرة أخرى، فأتيت إليه فاستأذن علي، فلما دخلت عليه قام وتلقاني ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلاً واستصغرت نفسي أن أكون أهلاً لذلك، فكان أول ما قلت له: يا سيدي أنا والله أحبك، فقال: أحبك الله كما أحببتني، ثم سكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان، فقال: أحوال العبد أربع لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية، فإن كنت بالنعمة: فمقتضى الحق منك الشكر، وإن كنت بالبلية: فمقتضى الحق منك الصبر وإن كنت في الطاعة: فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها، وإن كنت في المعصية: فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار، فقامت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوباً نزعته، ثم سألتني بعد ذلك بمدة: كيف حالك؟ فقلت: أفتش عن الهم فما أجده؟ فقال:

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري
والناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار

الزم فوالله لئن لزمتم لتكون مفتياً في المذهبين، يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر، ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن .

الباب الرابع

فى علمه وزهده وورعه ورفع همته وحلمه وصبره وسداد طريقته

كان ﷺ لا يتحدث معه فى علم من العلوم إلا وتحدث معك فيه ، حتى يقول السامع له إنه لا يحسن غير هذا العلم ، سيما علم التفسير والحديث ، وكان يقول شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ، ولم يشاركونا فيما نحن فيه ، وكان كتابه فى أصول الدين والإرشاد فى الحديث كتاب المصاييح ، وفى الفقه التهذيب والرسالة ، وفى التفسير كتاب ابن عطية وقد كان يقرأ عليه بعض المعرفين فى العربية فيرد عليه اللحن ، وأما علوم المعارف والأسرار فقطب رحاها ، وشمس ضحاها تقول : إذا سمعت كلامه هذا كلام من ليس وطنه إلا غيب الله هو بأخبار أهل السماء منه بأخبار أهل الأرض .

وسمعت أن الشيخ أبى الحسن قال عنه أبو العباس : بطرق السماء أعرف منه بطرق الأرض ، كنت سمعته يتحدث ألا فى العقل الأكبر والاسم الأعظم وشعبه الأربعة والأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، ومقامات الموقنين ، والأملاك المقربين عند العرش وعلوم الأسرار وأعداد الأذكار ويوم المقادير وشأن التدبير وعلم البناء وعلم المشيئة وشأن القبضة ورجال القبضة وعلوم الأفراد ، وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله مع عباده من حلمه وإنعامه ووجود انتقامه حتى لقد سمعته يقول : والله لولا ضعف العقول لأخبرت بما يكون غداً من رحمة الله وأن تنزل إلى علوم المعالة .

ففى الزمن اليسير لحاجة الخلق إلى ذلك ، ولذلك تقل أتباع من هذه علومه وقد يكثر المشترون للمرجان ، وقل أن يجتمع على شراء الياقوت اثنان ، ولذلك كان يقول أتباع أهل الحق قليلون ، وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ^(١) وقال سبحانه ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ ^(٢) وقال ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) وقال فى أهل الكهف ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(٤) فأولياء الله أهل كيف الإيواء فقليل من يعرفهم .

وقد سمعته يقول : معرفة الولي أصعب من معرفة الله ، فإن الله معروف بكماله وجماله ، ومتى حتى تعرف مخلوقاً مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب .

(٢) (سبأ : ١٣)
(٤) (الكهف : ٢٢)

(١) (ص : ٢٤)
(٢) (يوسف : ٢١ ، ٦٨)

زهده فى الدنيا :

فيستدل على الزهد فى الدنيا بالزهد فى الرياسة ، ويستدل على الزهد فى الاجتماع بأهلها ، ولقد مكث ﷺ فى الأسكندرية ستة وثلاثون سنة ، ما أرى وجه متوليها ، ولا أرسل إليه ، وطلب ذلك المتولى بالأسكندرية الاجتماع به فأبى الشيخ ذلك ، وقال له الزكى الأسوانى : يا سيدى متولى الأسكندرية . قال إنه يؤثر الاجتماع بك ويأخذنى فتكون شيخه ، فقال الشيخ : يا زكى لست ممن يلعب به ، والله إنى ألقى الله ولا يرانى ولا أراه ، فكان الأمر كذلك .

وكان إذا نزل بلدة وقيل له متولى البلدة يريد أن يأتىك غداً سافر هو ليلاً ، ولقد كان يأتى إليه متولى الثغر وناظره ومشد الدواوين بها ، قليلة إتيانهم يغلب القبض عليه ، ولا ينبسط الكلام كحاله فى عدم حضورهم ، حتى كنا نقول : ليت ذلك الكلام الذى كان فى غيبتهم كان ليلة حضورهم ، ولقد أتى إليه الشجاعى فى بحبوحة عزه وتمكنه من السلطنة فما ألوى عليه عنان همته ، ولا فوق إليه سهام عزيمته ، حتى لقد بلغنى أن الزكى الأسوانى لما استعرض الشجاعى حوائجه قال الشيخ : يا سيدى اطلب منه أرضاً يزرعها أصحابك ، فقال : يا زكى هذا مما لا يكون أبداً .

ومن زهده أنه خرج من الدنيا وما وضع حجراً على حجر ، ولا اتخذاً بستاناً ، ولا استنتج سبباً من أسباب الدنيا ، ولا خلف وراءه رزقه ، مع أن الزهد وصف من أوصاف القلوب ، يصف بها الله قلب من أحبه ، لكن له علامات تدل عليه .

وقال الشيخ أبو الحسن ﷺ : رأيت الصديق فى المنام فقال لى : أتدرى ما علامة خروج حب الدنيا من القلب ؟ قلت : لا أدرى ، قال : علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد .

وقال الشيخ أبو العباس : رأيت عمر بن الخطاب ﷺ فى المنام ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما علامة حب الدنيا ؟ قال : خوف المذمة وحب الثناء .

فإذا كان علامة حبها خوف المذمة وحب الثناء ، فعلمة الزهد فيها وبغضها أن لا يخاف المذمة ولا يحب الثناء .

وأما ورعه:

فلقد أخبرني بعض أصحابه أنه دخل يوماً بيت واحد من الجماعة في البرج للنبي هو فيه، فوجده يضرب فيه وتداً، قال: فانفق للشيخ من الحرج الأمر الكبير، وقال: كيف يحل لك أن تتصرف في الحبس بأمر لم يؤذن لك فيه.

وكان يقول: والله ما دخل بطني حرام قط، وكان يقول: الورع من ورعه الله.

وقال رحمه الله: عزم علينا بعض صلحاء الأسكندرية في بستان له بالرمل فخرجت أنا وجماعة من صلحاء الثغر، ولم يخرج معنا صاحب البستان في ذلك الوقت، بل وصف المكان فتجاربنا ونحن خارجون الكلام في الورع فكل قال شيئاً، فقلت: إنما الورع من ورعه الله، فلما أتينا البستان، وكان زمن ثمرة التوت، فكلهم أسرع إلى الأكل وأكل، وكنت كلما جئت لأكل أجد وجماً في بطني فأرجع، فينقطع الوجع عني، فعلت ذلك مراراً فجلست ولم أكل شيئاً وهم يأكلون، وإذا بإنسان يصيح، كيف يحل لكم أن تأكلوا من ثمرة بستانى بغير إذننى؟ فإذا هم قد غلطوا في البستان، فقلت لهم: ألم أقل لكم الورع من ورعه الله.

واعلم رحمك الله أن ورع الخصوص لا يفهمه إلا قليل، فإن من جملة ورعهم تورعهم من أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد أطماعهم بالطمع في غير فضله وخيره، ومن ورعهم: ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والأسباب وخلع الأنداد، والأرباب من ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات، والسكون إلى أنوار التجليات ومن ورعهم: ورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء عن الوقوف مع الآخرة صفاء.

وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي، وكان مقيماً بشرقي الأسكندرية: حججت سنة من السنين، فلما قضيت الحج عزممت على الرجوع إلى الأسكندرية فإذا (على) يقال لى: إنك العام القابل عندنا، فقلت: إذا كنت العام القابل هاهنا فلا أعود إلى الأسكندرية، فخطر لى الذهاب إلى اليمن، فأتيت إلى عدن فأنا يوماً على ساحلها أمشى، وإذا أنا بالتجار قد أخرجوا بضائهم وبتاجرهم ثم نظرت فإذا رجل قد فرش سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت: فى نفسى لم تصلح للدنيا ولا للآخرة، فإذا (على) يقال لى: من لا يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا.

قال الشيخ عثمان بن عاشور: خرجت من بغداد أريد الموصل، وأنا أسير وإذا بالدنيا

قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها، ومن بناتها ومشتياتها، فأعرضت عنها، فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها، فقيل: يا عثمان لو وقفت مع الأولى لحببناك عن الثانية، ولو وقفت مع الثانية لحببناك عنها، فما نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك .

وقال الشيخ أبو الحسن: الورع^(١) نعم الطريق لمن عجله ميراثه وأجل ثوابه، فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله، وعلى البيئة الواضحة والبصيرة للفائقة فهم في عموم أوقاتهم، وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا ينبسطون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله والله من حيث يعلمون، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى، وأما أدنى الأدنى فالله يورعهم عنه ثواباً مع الحفاظ لمنازلات الشرع عليهم، ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنياه أو مصروف بيهوى، وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والداد على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين، والعياذ بالله العظيم من ذلك .

والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه، ومن لم يزداد بعلمه وعمله افتقاراً لربه وتواضعاً لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيراً من الصالحين بصلاحهم عن مصالحهم، كما قطع كثيراً من المفسدين بفسادهم عن موجدتهم، فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم .

فانظر فهمك الله سبل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحابيه، وهذا الورع الذي ذكره الشيخ رحمه الله هل كان يصل فهمك إلى مثل هذا النوع من الورع ألا ترى قوله: فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البيئة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الأبدال، والصديقين لا ورع المتنطعين الذي ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم .

(١) ونذكر من تعريفات الأئمة للورع ما يلي: قال رحمه الله { ملاك دينكم الورع } وقال عمر بن الخطاب رحمه الله ((لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب دنياه)) وقال سليمان الداراني: الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا، وسئل الشبلي عن الورع فقال: أن تتورع ألا يتشتت قلبك عن الله طريقة عين، وسئل الخواص عن الورع فقال: ألا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضى، وأن يكون اهتمامه بما يرضى الله .

وأما رفع همته:

فكان ظاهراً من ذلك بالمعجب العجيب، وقد تقدم من رفع همته عن ولادة الأمور مع استعراضهم لحوائجه وتطارحهم عليه، قال قوماً لأصحابه: جاءني الطواشي بهاء الدين وهو مشد الديوان إذ ذاك والفقير شمس الدين الخطيب وهو يومئذ ناظر الأجياش فقال لي: إن هذه القلعة تحتاج إلى حصر وزيت وقناديل وتحتاج الفقهاء فيها إلى ما يأكلون ونحن حكام الوقت نطلق لها شيئاً كل شهر، فقلت لهم: حتى أشاور أصحابي. وأنتم أصحابي فماذا تشيرون؟ فلم يرجع إليه أحد جواباً فأعاد مراراً فلم يجبه أحد، فقال: اللهم أغننا عنهم ولا تغننا بهم إنك على كل شيء قدير، ولم يحجبهم إلى ما ذكروا ومات الشيخ - رحمه الله تعالى - وليس للمكان مرتب ولا معلوم.

وسمعته يقول: والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق، وسمعته يقول رأيت كلباً في المحجة ومعنى شيء من الخبز فوضعت بين يديه فلم يلتفت إليه فقربته من فمه فإذا على يقال لي: أف لمن يكون الكلب أزهد منه.

وسمعته يقول: خرجت يوماً أشتري حاجة من بعض من يعرفني بنصف درهم فقلت في نفسي: ولعله لا يأخذ مني، فإذا على يقال لي: السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين، فأتيت إلى الموضع الذي كنت مقيماً به ودخلت وأغلقت الباب وأنا جالس وإذا بإنسان قد فتح الباب على بكرة وقال: بماذا تكون السلامة في الدين؟ فقلت له: بترك الطمع في المخلوقين، فأخذها كأنما كانت ضالة وجددها، فتيين من حاله أن الشيخ كان قد قال له: اذهب إلى موضع كذا فاقتل لك ثلاث وبيات، فذهب فاقتال لنفسه أردباً فبلغ ذلك الشيخ، فقال: أفرغوا ما اقتال في موضعه وأعطوه ثلاث وبيات التي كنا أعطيناه إياها

وقال ﷺ الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوفة، فهو بطر كله، فلذلك صاحبه لا يشبع أبداً. وكان يقول للناس أسباب، وسببنا نحن الإيمان والتقوى، قال الله سبحانه ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

(١) (الأعراف: ٩٦)

تنبيه وإعلام:

اعلم أن رفع الهمة عن الخلق شأن أهل الطريق وصفة أهل التحقيق، ولقد سئل الجنيد رحمه الله: أيزنى العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ولعمري لو سئل أيطمع العارف في غير الله لقال: لا، وإنما مراد الحق سبحانه أن يفرده العباد في كل شيء حباً وثقة وتوكلاً وخوفاً ورجاءً وذلك الذي تستحقه فرديته، وكان بعض العارفين ينشد شعراً:

حرام على من وَحَدَ ربه وأَفَرَدَهُ أَنْ يَحْتَدَى أَحداً رَفْدَاً
ويا صاحبي قِفْ لِي مع الحق وَقْفَةً أَمُوتُ بِهَا وَجَدًا وَأَحْيَا بِهَا وَجَدًا
وقل للملوك الأرض تجهد جَهْدَهَا فذا الملك ملك لا يُبَاعُ ولا يُهْتَدَى

ورفع الهمة إنما ينشأ عن صدق الثقة بالله، وصدق الثقة بالله إنما ينشأ عن الإيمان بالله على سبيل المعاينة والمواجهة فيوجب لهم إيمانهم الاعتزاز بالله، قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) والنصر من الله، قال سبحانه ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) . والنجاة من العوارض الصادرة عن الله، قال الله تعالى ﴿ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) . فمر على المؤمن بثقته بمولاه ونصرته على نفسه وهواه ونجاته من العوارض أن لا تقطعه على سبيل هداة، وشعار أهل الإرادة وديارهم الاكتفاء بالله ورفع الهمة عن ما سوى الله، وصيانة ملابس الإيمان من أن تدنس بالليل إلى الأكوان أو الطمع في غير الملك المنان، ولنا في هذا المعنى شعراً:

بكرت تلوم على زمان أجحفا فصدفت عنها عليها أن تصدفاً
لا تكثرن عتياً لدهرك أئنه ما أن يطالب بالصفاء ولا الوقفاً
ما ضررتني إن كنت فيه خاملاً فالبذرُ بذرٌ إن بدا وإن خفاً
الله يعلم إنني ذو همّة تأبى الدنايا عفة وتظرفاً
لم لا أصون عن الزرى دنياجيتي وأريهم عزّ الملوكِ وأشرفاً
أأريهم أنني الفقير إليهم وجميعهم لا يستطيع تصرفاً
أم كيف أسأل رزقه من خلقه هذا لعمرى إن قلت هو الجفاً
شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله عجز أقام يحامليه على شفاً

(٢) (الروم: ٤٧)

(١) (النافقون: ٨)

(٣) (يونس: ١٠٣)

فاسترزق الله الذى إحسانه عم البرية منه وتلطفاً
والجأ إليه تجده فيم ترتجى لا تعد عن أبوابه مُتَحَرِّفاً
والذى يوجب إليك رفع الهمة عما سوى الله علمك بأنه لم يخرجك إلى مملكته إلا
وقد كافك ومنحك وأعطاك فلم يبق لك حاجة عند غيره، فإذا كان قد اقتضى لهم الفهم عن
الله أن يكتفوا بعلمه عن مسألته، كيف لا يوجب لهم الفهم الاكتفاء بعلمه عن سؤال
خليقته؟ ومن فاتحه الحق سبحانه بشيء فما فاتح به أحبائه فقد اقتضى منه ورفع همة
إليه كما اقتضاه من غيره وأولى ألم تسمع قوله سبحانه ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَافِي
وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(١).

لا يمدون عينيك وكيف لا تكون منته فيه؟ ومواهبه وفواتح عنايته وخصائص ولايته
ناهية لك عن التعلق بغيره وكان بعض العارفين ينشد شعراً:

أَبْعَدُ تُقَوِّدِي فِي عُلُومِ الْحَقَائِقِ وَبَعْدُ أَنْيَسَاطِي فِي مَوَاهِبِ خَالِقِي
وَفِي حِينَ إِشْرَافِي عَلَى مَلَكُوتِهِ أَرَى بِأَسْطًا كَفًّا إِلَى غَيْرِ رَازِقِ

وإن كل ذى رتبة من المخلوقين لا يرضى منك أن تنسب له رتبة تضيف المنع
والعطاء والولاية والعزل فيها لغيره، أفيرضى لك الحق سبحانه أن تعترف له بربوبيته
وتضيف آثارها لغيره، فاحذر أن تكون من الذين قال فيهم سبحانه ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ
بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢) وقبيح أن تكون فى دار ضيافته وتوجه وجه طمعك لغيره ولنا
فى هذا المعنى شعراً:

أُحْسِنُ أَنِي فِي دَارِكُمْ وَنَزَلِكُمْ أُوْجِهْ يَوْمًا الْعِبَادَ رَجَائِي
بَلْ إِنِّي أَلُوْى إِلَيْكَ بِهَمَّةٍ أَخْلَفَ فِيهَا مَا سِوَاكَ وَرَائِي

لا تطلب ممن هو بعيد عنك وتترك الطلب من مولى هو أقرب إليك من حبل الوريد،
ألم تسمع إلى قوله سبحانه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا
دَعَانِ﴾^(٣) وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٤) وقال ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٥) وقال سبحانه ﴿ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٦) وقال ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(٧) كل ذلك ليجمع هم عباده

(٢) (يوسف: ١٠٦)

(٤) (ق: ١٦)

(٦) (غافر: ٦٠)

(١) (الحجر: ٨٧)

(٢) (البقرة: ١٨٦)

(٣) (النساء: ٣٢)

عليه كيلا يرفعوا حوائجهم إلا إليه .

وأما حلمه:

فكان من شأنه أنه لا ينتقم لنفسه ولا ينتصر لها ولقد دخلت عليه يوماً فقال لي: ما تقول فلان رجل كان قد آذى الشيخ الأذق البالغ أتى إلى أصحاب فلان بعض ما كان له الأمر في ذلك الزمان، وكان يتردد إلى الشيخ فقالوا يا سيدى هذا الرجل الذى آذاك نسعى فى ضربه وإشهاره فى البلدتين مصر والقاهرة، فماذا تقول؟ قلت له مصلحة، قال: كالمنكر لأى شيء، قلت ذاك، قلت نتشفى منه، قال: أنا لا أتشفى من أحد، قلت: إنما أردت الاتباع، قال: ولا تحمل اتباعى على التشفى، فأطرقت خجلاً فما توجه أحد بالأذى لنا بعد ذلك، ونزلت به نازلة فما همت نفسى بالتشفى منه إلا وذكرت كلام الشيخ: أنا لا أتشفى من أحد، حى كأتى سمعته ذلك الوقت فتخمد النفس عن التشفى بذلك واتفق بعد مدة نحو الخمسة عشر سنة أن الذى كان سعى فى إذاية الشيخ سعى فى إذايتنا واتفق له نازلة فصاننا الله من التشفى منه وسلم .

وكان الشيخ يقول لي: هذا الذى استشرتك فيه سيتفق لك معه مثل ما اتفق لي، فافعل مثل ما فعلت معه، وهكذا هو كلام الأكابر يطوى فى صحائف قلوب المريدين، حتى إذا جاء وقته أظهره الله سبحانه كأنك قد سمعته ذلك الوقت وربما أحضر الله بفكرك شيخك الذى خاطبك الله بهيئته وزيه، وربما تمثل لك الخيال المنتصل وربما حضر بوجوده الحسى عند وجود النوازل مثبتاً للمريد ومعلماً، وسمعته عليه السلام يقول: ما سمعتموه منى ففهمتموه فاستودعوه الله يردّه عليكم وقت الحاجة، وما لم تفهموه فوكلوه إلى الله يتول الله بيانه .

فكلام الأكابر مردود على المريدين وقت حاجتهم فيظن المريد أنه ما أخذه ولقد أخذ، ولكن للحكمة بذر ونبات ووقت البذر غير وقت النبات، وقد يبذر فيك بذر الحكمة ويبقى النبات متوقفاً على مجيء سحابة ماطرة، فإذا جاءت أظهرت ما كان فى الأرض كامناً فتبقى الودائع مطوية فى العباد حتى تجيء أوقاتها .

وبلغنى عن الشيخ أبى الحسن أنه كان يقول: لا حجاب إلا الوقت . وسمعته يوماً يقول: كان إذا أذانى إنسان يهلك للوقت، وأنا الآن لست كذلك، فرأى عليه السلام مستشرقاً لسبب ذلك فقال: اتسعت المعرفة، وسمعته يقول لحوم الأولياء مسمومة .

واعلم علمك الله من العلم الذى يدل عليك وجعلك من الدائمين بين يديه أن انتصار الحق لأوليائه ليس ذلك لأنهم طلبوه من الله، ولكن لما صدقوا التوكل عليه، وأرجعوا الأمر إليه انتصر الحق لهم، ألم تسمع قوله ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) وقوله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢) ولا تقولن هم من ينتصر لنفسه منك، بل هم من ينتصر الله له فإنه الغالب الذى لا يغلب، والقادر الذى لا يعجز والقهار الذى لا قبل لأهل السموات والأرض بذرة من بلائه ولو وضع ذرة من ذرات قهره على الجبال لأذابتها .

ومعنى قول الشيخ: اتسعت المعرفة: أن المريد فى مبدأ إرادته بهيمته، وفى نهايته بوجود معرفته، فإذا كان فى مبدأ إرادته توجه بصدق الهمة إلى الله لاجئاً إليه فى الانتقام ممن أذاه، فينتصر الحق له لتوجهه بصدق الهمة فى طلب النصرة، ولضيق عطنه عن الصبر عن تأخر الانتقام له، والعارف اتسع عليه بحر المعرفة فانطوت همته ومشيتته وتدبيره ومشيته الحق له وتدبيره إياه، ومن غلب عليه شهود المشيئة فأى همة تبقى له وأيضاً أنه إذا تأخرت عقوبة من أذاه شهر حسن اختبار مولاه فلم يجعل له الانتصار لأنه لا يخشى عليه ما يخشى على المريد من عدم الصبر إذا أخر الانتقام له، وأيضاً أن العارف لو توجه لطلب الانتقام ممن ظلمه قامت الرأفة والرحمة القائمان به لتخلقه بخلق معروفه فمناه من الانتصار وإن كان على ذلك قادراً، وكيف ينتصر من يرى الله فعالاً فيهم؟ ثم أولياء الله إذا ظلموا على طبقات: داع يدعوا على من ظلمه استشار الأذى منه الفرج واستخراج منه الاضطراب فهذا الذى لا يرد دعاؤه، ومنه قوله ﷺ { وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ }^(٣) .

القسم الثانى: وهم الذين إذا ظلموا لجئوا إلى الله سبحانه فى طلب النصرة وتعجيل الحسنى لهم، غير أنهم علموا أن الله يعلم السر وأخفى فرفعوا أمرهم إلى الله سراً بسر، وهؤلاء أولى بانتصار الحق لهم لتوكلهم عليه ولإرجاعهم الأمر إليه، وقد قال سبحانه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٤) ولقد ذكر أن امرأة كانت لها دجاجة ليس عندها غيرها وكانت تتقوت ببيضها، فجاء سارق فسرقها، فلم تدع عليه، وأرجعت الأمر إلى الله فأخذ السارق الدجاجة وذبحها وشتف ريشها فنبت جميعه بوجهه، فسمى فى إزالة ذلك

(٢) (الطلاق: ٣)

(١) (الروم: ٤٧)

(٣) انظر الجامع الصحيح المختصر (٨٦٤/٢) رقم (٢٣١٦) من حديث ابن عباس ؓ، والجامع الصحيح للترمذى (٣٦٨/٤) رقم (٢٠١٤) وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح من حديث أبى هريرة ؓ، وانظر تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة (٤٩٧/١) رقم (١٣٢٠)، وابن حجر فى الفتح (٣٦١/٣) رقم (١٤٢٥) .

(٤) (الطلاق: ٣)

فلم يستطع ، وسأل الناس فلم يقدر أحد على إزالة ما نزل به ، إلى أن أتى إلى حبر من أحبار بني إسرائيل فقال : لا أجد لك دواء إلا أن تدعوا عليك المرأة التي سرقت دجاجتها فإن فعلت شفيت ، فأرسل إليها من قال لها : أين دجاجتك التي كانت عندك؟ قالت : سرقت ، قالوا : آذاك من سرقها؟ قالت : قد فعل ، قالوا : وقد فجعتك في بيضها؟ قالت : هو كذلك ، فلم يزالوا بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه ، فتساقط الشعر من وجهه ، فقالوا لذلك الحبر : من أين علمت هذا؟ قال : إنها لما سرقت دجاجتها لم تدع عليه وأرجعت الأمر إلى الله في أمره فانتصر الله لها ، فلما دعت عليه انتصرت لنفسها فسقط الريش من وجه السارق .

القسم الثالث : عباد لما ظلموا لم يدعوا ولم يلجئوا إلى الله في لب الانتقام ممن ظلمهم ، ولكن فوضوا الأمر إلى الله فكان هو المختار لهم .

القسم الرابع : وهم الطبقة العليا ، وهم الذين ظلموا ورحموا من ظلمهم ، وقال الشيخ أبو الحسن : وإذا آذاك ظالم فعليك بالصبر والاحتمال ، واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان : ظلم غيرك لك ، وظلمك لنفسك ، فإن فعلت ما ألزمت من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من نور الرضى ما ترحم به من ظلمك ، فتدعوا له فتجاب فيه دعوتك ، وما أحسن حالك إذا رحم بك من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء . وقد قال سبحانه ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ^(١)

ومن هذا القبيل الذى ذكره الشيخ أبو الحسن ما اتفق لإبراهيم بن أدهم عليه السلام أنه قال له الجنيد : أين العمران؟ فأشار إلى المقابر فظن أنه يهزأ به ، فشجه فطأ رأسه وقال : اضرب رأساً طالما عصت الله ، فقبل للجنيد : إن هذا إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان ، فأحنى على رجله يقبلهما ، ويعتذر إليه ، فقال له إبراهيم بن أدهم : والله ما رفعت يدك عن ضربى إلا وأنا أسأل الله لك المغفرة لأنى علمت أن الله تعالى يثيبنى على ذلك ويؤاخذك بما فعلت ، فاستحييت أن يكون حظى منك الخير وحظك منى الشر .

فقال الشيخ أبو العباس : ليس هذا عين الكمال وما فعله سعد أحد العشرة هو عين الكمال ، فقد ادعت عليه امرأة أنه احتاز شيئاً من بستانها ، فقال : اللهم إن كانت كاذبة فأعنها وأمتها في مكانها ، فعميت وجاءت تمشى يوماً في بستانها فوقعت في بئر فماتت

(١) (آل عمران : ١٥٩) .

فلو كان ما فعله إبراهيم عين الكمال لكان الصحابي أولى به، ولكن كان سعد أميناً من أمناه الله نفسه ونفس غيره عنده سواء، فما دعا عليها لأنها آذته، ولكن دعا عليها لأنها آذت صاحب رسول الله ﷺ، وإبراهيم لم يصل إلى هذه المرتبة فترك الدعاء، على الجنيد لثلا يكون ذلك انتصار لنفسه، وسعد ﷺ قد خلصه الله من نفسه وأبرزه للخلق يخلص به من يشاء من عباده، والصوفي لا يستقضى الحق لنفسه بل يستقضى الحق لربه

فائدة: اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم في بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم ليتطهروا من البقايا، وتتكمّل فيهم المزايا وكى لايساكنوا الخلق باعتماد ويميلون إليهم باستناد، من آذاك فقد أعتقك من رق إحسانه، ومن أحسن إليك فقد استرقك بوجود امتنانه، ولذلك قال ﷺ { جبلت القلوب على حب من أحسن إليها }^(١) وقال ﷺ { من أسدى إليك معروفاً فكافئوه، فإن لم تقدروا فادعوا له }^(٢) كل ذلك ليتخلص القلب من إحسان الخلق ويتعلق بالملك الحق .

قال الشيخ أبو الحسن: اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم، فإن خيرهم يصيبك في قلبك، وشرهم يصيبك في بدنك، وإن تصاب في بدنك خير لك من تصاب في قلبك، ولعدو تصل به إلى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله، وعد إقبالهم عليك ليلاً وإعراضهم عنك نهاراً ألا تراهم إذا أقبلوا فتنوا، وتسليط الحق على أولياء الله في مبدأ طرقهم سنة الله في أحبائه وأصفيائه، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن: اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا، فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلأ تصحبه لطائف رحمتك، وكل وجد حجب عنك فنسألك عوضه فقد أتصحبه أنوار محبتك .

ومما يدل على أن هذه سنة الله في أحبائه وأصفيائه قول الله تعالى ﴿ وَزَلْزَلُوا حَتَّىٰ

(١) انظر تهذيب الكمال (٢٦٥/٦) رقم (١٢٥٢) عن الأعمش عن خيثمة عن ابن مسعود قال: { جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، ويبغض من أساء إليها }، ومسنّد الشهاب (٣٥٠/١)، وتاريخ بغداد (٢٧٦/٤) رقم (٢٠٢٥) عن محمد الجريري قال: سمعت أبي سعيد الخزاز يقول في معنى قول النبي ﷺ { جبلت القلوب على حب من أحسن إليها } وأعجبا من لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته إليه .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٨٥ رقم (٢١٦) من حديث ابن عمر، والسنن الكبرى (٤٣/٢) رقم (٢٣٤٨) والمجتبى من السنن (٨٢/٥) رقم (٢٥٦٧) والحاكم في المستدرک (٧٣/٢) رقم (٢٣٦٩) وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه للخلاف الذى بين أصحاب الأعمش فيه، والمعجم الكبير (٢١٨/٣) رقم (٣١٨٩) والمنتخب من مسند عبد بن حميد (٢٥٦) رقم (٨٠٦) والنهاية فى غريب الأثر (٣٥٦/٢) وتاريخ جرجان (١٨٠/١) رقم (٢٣٥) وتذكرة الحفاظ (١٣١٢/٤) رقم (١٠٨٨) وأبو داود (١٢٨/٢) رقم (١٦٧٢) والبيهقى فى الكبرى (١٩٩/٤) رقم (٧٦٧٩) وابن حبان (١٩٩/٨) رقم (٣٤٠٨) .

يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ^(١) وقوله ﷺ ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ^(٢) وقوله سبحانه وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَتُكَنَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ^(٣) وقوله ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بَأْنَهُمْ ظَلَمُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرُ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ^(٤) .

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى فمن حالهم فى بداياتهم إبراهيم بن أدهم، طأطأ رأسه حين ضربه الجنيد، فقال: اضرب رأساً طالما عصت الله، وقوله: ما فرحت فى عمرى إلا ثلاث مرات، الأولى: كنت فى المسجد فأصابتنى البطن فكنت أقوم وأقعده فجاء صاحب المسجد وأمرنى أن أخرج فلم استطع لقوة الضعف، فأخذ برجلى يجرنى إلى أن أخرجنى، والمرة الثانية: نزعت يوماً ما كان على من ملبس فلم أراه كثيرة القمل، والمرة الثالثة: ركبت فى سفينة فكان هناك مضحك فكان يقول: كنه نأخذ العليج فى بلاد العدو وهكذا ويمد يده إلى لحيتى فيهرها فأعجبني، إذا لم ير فى السفينة من هو أحقر منى، وهذا شأنهم فى بداياتهم علماً منهم بوجود البقايا فيهم فخافوا أن ينتصروا لنفوسهم فيسقطون من عين الله، فرجعوا إلى وجود الحلم كافين أيديهم عن الانتصار لعلهم بأفات الانتصار للنفس، ونزعة الحق سبحانه وعاداته فى أصفياه كثيرة الأعداء والنصرة منه لهم عليهم، قال الشيخ أبو الحسن: آذانى إنسان مرة فضقت ذرعاً لذلك فمنت فرأيت يقال لى من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم، ويجب أن تعلم أن النفوس شأنها استحلاء الإقامة فى مواطن العز والرفعة فلو تركها الحق سبحانه وما تريد لهلكت، فآزعجها عن ذلك بما يسلطه عليهم من أذى المؤذى ومعارضة الحاسدين .

وقال بعض العارفين: الصحة من العدو سوط الله يضرب به القلوب إذا ساكنت غيره، ولولا ذلك لرقد القلب فى ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله تعالى عظيم، وصدق ﷺ، وهذا الصنع من حسن نظر الله لأوليائه وأحبابه وإظهاراً لآثار ولايته فيهم لقوله تعالى ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ^(١) فإذا تمت أنوارهم وتطهرت من البقايا أسرارهم حكمهم فى العباد وأدلهم عليه، فحينئذ يكون العبد المجتبى سيفاً من سيوف الله ينتصر الله به لنفسه ومن هذا الباب دعاء سعد على المرأة التى ادعت عليه كذباً: اللهم أعمها وأمتها فى

(٢) (يوسف: ١١٠)

(٤) (الحج: ٣٩، ٤٠)

(١) (البقرة: ٢١٤)

(٢) (التقصص: ٦٢٥)

(٣) (البقرة: ٢)

مكانها، فاستجيب له، ولما دخل على عثمان رضي الله عنه الدار لطم انسان وجه زوجته، فقال له عثمان: قطع الله يديك ورجليك وأخلدك في النار، فأرؤه ذلك الرجل بالشام وقد قطعت يده ورجلاه وهو يقول دعوة عثمان استجيب في اثنتان وبقيت الثالثة، ولذلك قد تلتبس أحوال الرجال على عموم العباد فلا تفضل ولياً ظلم فصّح على ولي ظلم فانتصر، أو دعا فقد يكون صفح من صفح لعلمه بالبقايا من نفسه، ودعاء الداعي لعلمه بتطهيره من البقايا فدعاء انتصار لربه .

وأما صبره:

فكان رضي الله عنه من الثابتين في مركز الصبر وكان به أمراض عديدة لو وضع بعضها على الجبال لذابت كان به جرد الكلا، وكان به الحصا، وكان به اثنا عشر ناسوراً وهو يجلس للناس ولا يقطع الجلوس لهم ولأبنائه، في حين جلوسه ولا يعلم الجالس عنده أن به شيئاً من الأمراض، ولم تكن الأمراض أورثته صفرة الوجه ولا تغيير في البدن حتى كان يقول: لا تنظروا إلى حمرة وجهي، فحمرة وجهي من قلبي .

ودخل عليه انسان فوجد لما به فقال ذلك الرجل: عافاك الله يا سيدي، فسكت الشيخ ولم يجاوبه، ثم سكت الرجل ساعة وقال: عافاك الله يا سيدي، فقال الشيخ: وأنا سألت الله العافية، قد سألته العافية والذي أنا فيه هو العافية، رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية وقد قال { ما زالت أكلة خيبر تعاودني للآن أوان انقطاع أبهرى }^(١) وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قد سأل الله العافية، وبعد ذلك مات مسموماً، وعمر رضي الله عنه قد سأل الله العافية وبعد ذلك مات مطعوناً، عثمان رضي الله عنه قد سأل الله العافية وبعد ذلك مات مذبوحاً، على رضي الله عنه قد سأل الله العافية وبعد ذلك مات مقتولاً، فإذا سألت الله تعالى العافية من حيث يعلمها لك إنها عافية .

وكان يقول رضي الله عنه: الصبر مشتق من الأصبار وهو الغرض الذي يرمى عليه بالسهام، فالصابر من نصب نفسه غرضاً لسهام القضاء، وكان هجيراً يسأل الله اللطف يسأله اللطف قل أن يفتر عن ذلك . ودخلت عليه يوماً فوجدت آلاماً به فقلت: يا سيدي أظنك ضعيفاً، فقال: الضعيف من لا إيمان له ولا تقوى .

(١) أخرجه ابن حجر في الفتح (٣١/٨) من حديث أم مبشر قالت: قلت يا رسول الله ما تتمم بنفسك فإني لا أتهم بابي إلا الطعام الذي أكل بخيبر، وكان أبنيها بشر بن البراء بن معرور مات، فقال: وأنا لا أتهم غيرها، وهذا أوان انقطاع أبهرى. وروى ابن سعد عن شيخه الواقدي بأسانيد متعددة في قصة الشاة التي سمت له بخيبر، فقال في آخر ذلك: وعاش بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قبض فيه، وأبهرى: عَرِقَ في الظهر .

واعلم أن الصبر على ثلاثة أقسام:

١ - صبر على الواجبات

٢ - صبر عن المحرمات

٣ - وصبر في البليات .

وصبر الأكابر على كتم الأسرار، وفقد الركون إلى الآثار وعدم الوقوف مع الأنوار صبرهم على حمل الأذى والثبوت تحت مجارى القضاء، صبرهم على حمل أثقال العباد والصبر مع الله فيما أراد صبرهم على القيام بأحكام العبودية والثبوت مجارى أحكام الربوبية، وصبرهم على مكارم الأخلاق والقيام مع الله بشرط الوفاق، صبرهم على جمع الهم عليه والرجوع فى كل أمورهم إليه، وصبرهم على الجلوس للخلق والدلالة على الملك الحق .

وكان الشيخ أبو العباس ؑ يقول: والله ما جلست للناس حتى هددت بالسلب، وقيل لى لئن لم تجلس لنسلبنك ما وهبناك .

وأما مداد طريقته:

فكان ؑ شديد التحرز من حقوق العباد مسرعاً للوفاء لها حتى أنه يوفى شىء قبل استحقاقه، ويحمل أصحابه على التخلص من حقوق العباد إذا كان عليه دين أحسن القضاء وإذا كان له حق أحسن الاقتضاء، منقطعاً عن أبناء الدنيا والتردد إليهم، لا يرفع قدمه لأحد منهم ولا يبعث إليهم ولا يكاتبهم إذا طلب منه أن يكتب إليهم، قال للطالب: أنا أطلب ذلك لك من الله، فإن رضى الطالب ربح مسعاه ولطف به موله مبتلى فى الجلوس للخلق ولا تأتبه ليلاً أو نهاراً إلا وجدته .

ولقد أتته يوماً فاستأذنت عليه فقبل لى اصبر قليلاً فتشوشت من ذلك، وقلت: قد يكون بلغ الشيخ عنى ما أوجب تغييره فبعد ساعة أذن لى، فدخلت فقال الشيخ ؑ: اعذرني كانت ابنة الشيخ أبى الحسن عندى فكرهت أن أقطع كلامها، والله ما أعد نفسى خادماً من خدامها .

وكان ينهى أن يعوق المريد إذا جاءه ويقول: المريد إذا جاءه يأتى بشعلة همته فإذا قيل له قف ساعة طفأت ما جاء به، وكان لا يدل المريد على المتاعب والمشقات ولا يلزمه ذلك .

وكان يقول عن شيخه أبى الحسن: ليس الرجل من ذلك على تعبك وإنما الرجل من

ذلك على راحتك، ومبنى طريقته على الجمع على الله وعدم التفرقة وملازمة الخلوة والذكر، ولكل مرید معه سبيل يحمل كل واحد على السبيل الذى يصلح له، وكان لا يحب المرید الذى لا سبب له، وكان يدل المرید على الانجماع فى حيه .

ولا يلزم المرید أن لا يرى غيره وكان يقول عن شيخه : اصحبونى ولا أمنعكم أن تصحبوا غيرى، فإن وجدت من هؤلاء أعذب من هذا المنهل فأردوه، وكان إذا دخل المرید فى أوراد بنفسه وهواه أخرجه عنها، وكان إذا مدح بقصيدة أو أبيات يجيز المادح بإقباله، وربما واجهه بنواله .

وكان مكرماً للفقهاء ولأهل العلم ولطالبيه إذا جاءوه، وكان يقول لأصحابه : إذا جاء رئيس أو ذو وجاهة عرفونى به، وكان أزهد الناس فى ولادة الأمور فإذا جاءوه أكرمهم وربما مشى إليهم خطوات . وكان شديد التعظيم لشيخه أبى الحسن حتى إنك كنت تشهد منه إنه لا إثبات منه لنفسه معه وكان إذا ذكر الشيخ رحمه الله ينشد شعراً :

لى سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلى فى ذكرهم عز وجاه

وكان من شأنه أنه ما خبئ له لا يأكله وكان يكره أن يعلم بطعام أو هدية قبل إتيانها، وكان يدعوا للحسن بحضرته، بل إذا غاب دعا له بظهر الغيب، وكان إذا أهدى إليه شىء يسير تلقاه ببشاشة وقبول، وإذا أهدى له شىء كثير تلقاه بالعزة، وكان لا يثنى على مرید ولا يرفع له علماً بين إخوانه خشية أن يحسد، وكانت صلاته موجزة فى تمام، وكان يقول صلاة الأبدال خفيفة، وكان إذا تلا تقول الكون كله مستمع له .

وصلى قيام رمضان سنة فقال: قرأت القرآن فى هذه السنة كأنما أقرؤه على رسول الله ﷺ، ثم جاء رمضان ثان فقال: قرأته فى هذه السنة كأنما أقرؤه على جبريل عليه السلام، ثم جاءت السنة الثالثة فقال: قرأته هذه السنة كأنما أقرؤه على الله .

وكان إذا كانت ليلة القدر أخبر بها أصحابه ودعا فيها بمقدار ما يدعوا كل ليلة ثلاث مرات، وكان يقول: أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة قدر، أنشدنا بعض إخواننا لبعض أهل الطريق شعراً :

لولا شهود جمالكم فى ذاتى ما كنت أحيى ساعة بحياتى
ما ليلة القدر المعظم قدرها ألا إذا عمرت به أوقاتي

إن المحب إذا تمكن فى الهوى والحب لم يحتج إلى ميقات

وجاءه الفقيه مكين الدين الأسمر فقال له : يا سيدى رأيت ليلة القدر ولكن ليست كما أراها كل سنة ، رأيتها هذه السنة ولا نور لها ، فقال الشيخ ؓ نورك طمس نورها يا مكين الدين .

ولقد كنت مع الشيخ مكين الدين هذا بالجامع الغربى فى الأسكندرية فى العشر الأخيرة من رمضان ليلة ست وعشرين فقال الشيخ مكين الدين : أنا الساعة أرى ملائكة صاعدة وهابطة فى تهينة وتعبئة أرايت يأهب أهل العرس له قبلة بليلة كذلك رأيتهم ، فلما كانت الليلة الثانية وهى ليلة سبع وعشرين وكانت ليلة جمعة قال : أنا الساعة أرى ملائكة معهم أطباق من نور الملك توازى مئذنة الجامع وفوق ذلك ، وهذه هى ليلة القدر ، فلما كانت الليلة الثالثة وهى ليلة ثمانية وعشرون قال : رأيت هذه الليلة كالمتيظطة وهى تقول هب أن ليلة القدر حقاً يرعى ، أما لى حق يرعى ، وكان الشيخ مكين الدين من أرباب البصائر ، ومن النافذين إلى الله ﷻ ، وكان الشيخ أبو الحسن يقول عنه : بينكم رجل يقال له ابن منصور أسمر اللون أبيض القلب والله إنه ليكاشفنى وأنا مع أهلى وعلى فراشى ، ومرة أخرى قال فيه ما سلكت غيباً من غيوب الله إلا وعمامته منه تحت قدمى .

ولقد أخبرنى الشيخ مكين الدين هذا قال : دخلت مسجد النبى بالأسكندرية بالديماس فوجدت النبى المدفون هناك قائماً يصلى وعليه عباءة مخططة فقال لى : تقدم فصل ، قلت له : تقدم أنت أفضل فإنكم من أمة نبى لا ينبغى التقدم عليه ، قال : فقلت له بحق هذا النبى ألا تقدمت فصليت ، فقلت : بحق هذا النبى ، إلا وقد وضع فمه على فمى إجلالاً للفظه النبى وقال : تقدم إننا نصلى كى لا تبرز فى الهواء ، قال : فتقدمت وصليت .

وأخبرنى الشيخ مكين الدين أيضاً قال : بت بالقرافة ليلة جمعة فلما قام الزوار قمت معهم وهم يتلون إلى أن انتهوا فى التلاوة إلى سورة يوسف ومنها إلى قوله تعالى ﴿ وجاء أخوة يوسف ﴾ وانتهوا فى الزيارة إلى قبور أخوة يوسف ، فرأيت القبر قد انشق وطلع منه إنسان طويل خفيف الشعر واللحية صغير الرأس آدم اللون وهو يقول من أخبركم بقصتنا؟ هكذا كانت قصتنا .

ولقد كنت يوماً مضجعاً وأنا ساكن مطمئن فأجد فى قلبى انزعاجاً على بغتة وباعثاً يبعثنى على الاجتماع بالشيخ مكين الدين ؓ فقمتم مسرعاً فدققت عليه الباب فخرج ، فلما

وقع بصره على قال: أنت ما تجيء حتى يسير الناس خلفك فتبسم، فقلت: يا سيدى قد جئت فدخل وأخرج لى وعاء وقال: هذا الوعاء اذهب به إلى الشيخ أبى العباس وقل له قد كتبت فيه آيات من القرآن وقد محوتها بماء زمزم وشيء من غسل، فذهبت بذلك إلى الشيخ فقال: ما هذا؟ قلت: أرسله إليكم الشيخ المكين الأسمر، فأدلى فيه اصبعاً واحداً وقال: هذا بحسب البركة وفرغ الوعاء وملأه غسل وقال: اذهب به إليه، فذهبت بذلك إليه، ثم عدت إليه بعد ذلك فقال لى: رأيت البارحة ملائكة أتوني بأوعية من زجاج مملوءة شراباً وهو يقولون: خذ هذا عوض ما أهديت إلى الشيخ أبى العباس .

كان الشيخ أبو العباس كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة، وكان يكرم الناس على نحو رتبته عند الله، حتى إنه ربما دخل عليه مطيع فلا يتبهل به، وربما دخل عليه عاص فأكرمه لأن ذلك الطائع ربما أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل بكسر معصيته وذله ومخالفته، وكان شديد الكراهة للوسواس فى الطهارة والصلاة ويثقل عليه شهود من كان ذلك وصفه، سئل يوماً وأنا حاضر، فقيل له: يا سيدى فلان صاحب علم وصلاح كثير الوسوسة، فقال: وأين العلم يا فلان؟ العلم هو الذى يتطبع فى القلب كالبياض فى الأبيض والسواد فى الأسود .

الباب الخامس

فى آيات من كتاب الله تعالى تكلم على تبين معناها وإظهار فحواها

قال الله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾^(١) .

قال الشيخ رحمه الله: علم الله سبحانه عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه فى أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمده بحمده، فقال ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾^(٢) أى: الحمد له الذى حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينهى أن يكون لغيره، فعلى هذا يكون الألف واللام عهديتين .

وسمعه يقول فى قوله تعالى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾^(٣) إياك نعبد شريعة وإياك نستعين حقيقة، إياك نعبد اسلام، إياك نستعين إحسان، إياك نعبد عبادة، وإياك نستعين عبوديه، إياك نعبد فرق، إياك نستعين جمع .

واعلم رحمك الله بإقباله عليك بوجه وجعلك من الراعين لعهد أن الله تعالى طلب من العباد أن يعبدوه، واقتضى منهم أن يسجلوا بذلك على أنفسهم نطقاً كما قاموا به عملاً، واقتضى منهم أن يفرده واقتضى منهم أن تنتظم للعبادة جميع جوارحهم الظاهرة وحقائق وجودهم الباطنة، واقتضى منهم الرجعى إليه من دعوى القيومية فى العبادة بصدق التبرى من الحول والقوة .

فلما قام العبد لله بالعبادة عملاً اقتضى الحق أن يعترف بها نطقاً ليكون ذلك معاهدة بينه وبين الحق سبحانه، حتى إذا تفلتت نفسه عن القيام بالعبادة له وثقلت عليه ملازم التكليف قامت الحجة على العبد بما أعطى الله سبحانه من الاعتراف بالعبادة له، وأنه لا يعبد غيره بقوله ﴿ إياك نعبد ﴾ واقتضى من العباد أن تستوعب العبادة جميع جوارحهم الظاهرة وعوالمهم الباطنة لأن النون إنما تكون للواحد المعظم نفسه أو هو غيره، وليس هذا موضع هذين المعنيين إذا العبد لا يبتدأ يدى الله بوصف عظمة، فلم يبق إلا أن يكون للواحد ومعه غيره، وذلك ما أشرنا إليه من الجوارح الظاهرة، والحقائق الباطنة .

وأما إنه اقتضى منهم الرجعى إليه من دعوى القيومية فى العبادة، لأنه لما قال ﴿ إياك نعبد ﴾ فأضاف العبادة إليهم واقتضى منهم أن يعترفوا بذلك قياماً بدائرة الفرق التى

(٢) (الفاتحة: ٥)

(١) (الفاتحة: ٢)

عليها يترتب التكليف، أردف ذلك بقوله ﴿ وإياك نستعين ﴾ كي لا يدعى العباد معه أنهم قاموا بالعبادة بأنفسهم فأراد منهم أن يوفوا الحقيقة حقها والشرعية حقها فذلك جمع بين الأمرين: القيام بالعبادة لربوبيته، والتبرى من الحول والقوة مع إلهيته .

ثم قال سبحانه ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال الشيخ: بالثبوت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، وهذا الجواب ذكره ابن عطية في تفسيره وبسطه الشيخ فقال: عموم المؤمنين يقولون ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى: بالثبوت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنه حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين، والصالحون يقولون ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ معناه: نسألك الثبات فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل فإنه حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء، والشهيد يقول ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى: بالثبوت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنهم حصل لهم درجات الشهداء وفاتهم درجات الصديقية، والصديق يقول ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى: بالثبوت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنه حصل لهم درجات الصديقية وفاتهم درجات القطب، والقطب يقول ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى: بالثبوت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنه حصل له علم القطبانية وفاته علم إذا شاء الله أن يطلعه عليه أطلعه .

وقال فى قوله ﷻ ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾^(١) كل موضع ذكر فيه المصلين فى معرض المدح، وإنما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الإقامة أو بمعنى يرجع إليها، قال الله ﷻ ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ﴾ ﴿ وأقام الصلاة ﴾ ﴿ أقم الصلاة ﴾ ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ ﴿ والمقيمى الصلاة ﴾ .

ولما ذكر المصلين بالغفلة قال ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾^(٢) ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة، والإقامة هو أنه إذا صلى المؤمن صلاة فتقبلت منه، خلق الله تعالى من صلاته صورة فى ملكوته راکعة ساجدة إلى يوم القيامة، وثواب ذلك لصاحب الصلاة .

وقال فى قوله ﷻ ﴿ إن الله يأمرکم أن تذبحوا بقرة ﴾^(٣) قال: بقرة كل إنسان نفسه، والله يأمرک بذبحها .

قوله تعالى ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ ^(١) قال: قيل إنما وقع التفصيل في العبادة أدباً من الله لنا فأضاف المحاسن إليه وأضاف المساوي إلينا، وإن كان فعل العبد كله خلق الله حسنة وسيئة كما قال ﴿ فأراد ربك أن يبلغك أشدهما ﴾ فأضاف ذلك إلى الله، وقال في السفينة ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ ولم يقل فأراد ربك أن يعيبها أدباً في التعبير، وكما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ ^(٢) فأضاف المرض لنفسه والشفاء لله عز وجل، ومنهم من قال: إن ذلك داخل في مضمون القول وإن هذا التفصيل حكاة الله عنهم، والتقدير ﴿ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ﴾ في قولهم ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ ورد عليهم بقوله ﴿ قل كل من عند الله ﴾ .

وقال عليه السلام في قوله تعالى ﴿ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ ^(٣) يولج المعصية في الطاعة، والطاعة في المعصية، يطيع العبد الطاعة فيعجب بها، ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة أحاطت بها سيئات ويذنب الذنب فيلجأ إلى الله فيه ويعتذر منه ويستصغر نفسه، ويعظم من لم يفعله فهذه سيئة أحاطت بها حسنات فأيهما الطاعة وأيهما المعصية .

وقال الفتى من كسر الصنم، قال: الله تعالى، قالوا ﴿ سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ ^(٤) .

وقال عليه السلام: في قوله تعالى ﴿ أَمِنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ ^(٥) الولي لا يزال مضطراً ومعنى كلام الشيخ هذا: أن العامة اضطراهم بمثيرات الأسباب فإذا زالت زال اضطراهم وذلك لغلبة دائرة الحسن على مستهدهم، فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن مضطراً إلى الله دائم وأن الاضطراب تعطيه حقيقة العبد إذ هو ممكن وكل مضطراً إلى ممد يمدده، وممد يمدده، وكما أن الحق سبحانه هو الغنى أبداً فالعبد مضطراً إليه أبداً، ولا يزال العبد هذا الاضطراب لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولو دخل الجنة فهو يحتاج إلى الله فيها غير أنه غمس اضطراهم في المنة التي أفرغت عليها ملابسها، وهذا هو حكم الحقائق أن لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الآخرة، فالعلم صفته الكشف،

(١) (الشعراء: ٨٠)

(٤) (الأنبياء: ٦٠)

(١) (النساء: ٧٩)

(٢) (فاطر: ١٣)

(٣) (النمل: ٦٢)

أى علم كان وفى أى وقت كان، والإرادة صفتها التخصيص أى إرادة كانت وفى أى وقت كانت ومن اتسعت أنواره لم يتوقت اضطراره، وقد عتب الله قوما اضطروا إليه عند وجود أسباب ألجأتهم إلى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم، قال الله ﷻ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۝﴾^(١).

وقال ﷻ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحِثِّهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾^(٢) وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝﴾^(٣) إلى غير ذلك من الآيات الواردة فى هذا المعنى ولما لم تصل عقول العموم إلى ما تعطيه حقائق وجوداتهم، سلط الحق عليهم الأسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة ألهيته، ومن الدليل على فخامة رتبة الاضطرار أن الحق سبحانه أوقف الإجابة عليها فقال ﴿أَمِنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ۝﴾ وإذا أراد الله تعالى لعبد شيئاً وهبه الاضطرار إليه فيه فيطلب بالاضطرار فيعطى، وإذا أراد الله أن يمنع عبداً أمراً منعه الاضطرار إليه فيه ثم منعه إياه، وقال حجة الله على العبد لو اضطررت إلينا لأعطيناك فلا يخاف عليك أن تضطر وتطلب فلا تعطى، بل يخاف عليك أن تحرم الإضطرار فتحرم الطلب أو تطلب بغير اضطرار فتحرم العطاء .

وقال فى قوله تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝﴾^(٤) ثم قال سبحانه بعد ذلك ﴿وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۝﴾^(٥) فذكر بعض الناس فى هذا تأويلاً لا يرضى ولا ينبغي أن يلتفت إليه وهو أنه كان حبها لله وحده فلما ولدت انقسم حبها، وليس كما قال هذا القائل، لأنها صديقة كما أخبر الله عنها، وأمها صديقة، والصديق والصديقة لا ينتقلان من حالة إلى أخرى أكمل منها، ولكنها كانت فى بدايتها متعرفاً إليها بخرق العادة وسقوط الأسباب، فلما تكمل يقينها أرجعت إلى الأسباب، فالحالة الثانية أتم من الحالة الأولى .

وقال ﷺ: الفتوة الإيمان والهدى، قال ﷻ ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ

(١) (يونس: ١٢)

(٢) (آل عمران: ٣٧)

(٣) (الإسراء: ٦٧)

(٤) (الأنعام: ٦٣)

(٥) (مريم: ٢٥)

هُدًى ﴿١﴾ وقال ﷺ في قول الله ﷻ حاكماً عن الشيطان ﴿لَا تَبْتَئُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ﴿٢﴾، ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم، لأن فوق للتوحيد وتحت للإسلام، والشيطان لا يمكنه أن يأتي المؤمن من توحيده ولا من إسلامه .

وقال ﷺ: في قول الله ﷻ ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿٣﴾ قال سمي خليلًا لأنه خالل سره محبة الله تعالى، وقال الشاعر:

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلًا
وإذا ما نطقت كنت كلامي وإذا ما صمت كنت الغليلا

وقال ﷺ في قوله ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿٤﴾ قال: وفي بمقتضى قوله حسبي الله وقال في قوله تعالى ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿٥﴾ قال: من طاعاتهم وأعمالهم التي قاموا بها لله في ليلهم أن يشهدوها من أنفسهم .

ودليل ما قاله الشيخ أن الله سبحانه وصفهم قبل ذلك بقوله ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ثم قال ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فلم يتقدم منهم في ليلهم ذنوب يكون استغفارهم منها وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان إذا سلم من صلاته استغفر الله ثلاثاً ﴿٦﴾ .

وقال الواسطي العبادات إلى طلب العفو عنها أقرب منها إلى طلب الإعاض عليها، وقال ﷺ في قول الله ﷻ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٧﴾ أي: من طاعتهم وأعمالهم، ومثل ذلك ورحمة ربك خير مما يجمعون .

قال في قوله سبحانه ﴿الَّذِي أُسْرِى بَعْدِي﴾ ﴿٨﴾ ولم يقل بنبيه ولا برسوله، وهو نبيه ورسوله، وإنما كان كذلك لأنه أراد أن يفتح باب السريان للأتباع، فأعلمنا أن الإسراء من بساط العبودية، والنبي ﷺ كان له كمال العبودية فكان له كمال الإسراء، أسرى بروحه

(٢) (الأعراف: ١٧)

(٤) (النجم: ٣٧)

(١) (الكهف: ١٣)

(٣) (النساء: ١٢٥)

(٥) (الذاريات: ١٨)

(٦) (يونس: ٥٨)

(٧) انظر تهذيب الكمال (٥١٧/٣٢) رقم (٧١٨٠) وابن حجر في الفتح (٧٣٤/٨) بقوله: وقال ابن القيم في الهدى كأنه أخذه من قوله تعالى ﴿واستغفروه﴾ لأنه كان يجعل الاستغفار في خواتم الأمور فيقول إذا سلم من صلاته: استغفر الله ثلاثاً، وإذا خرج إلى الخلا، قال (غفرانك)

(٨) (الإسراء: ١)

وجسمه وظاهره وباطنه، والأولياء لهم قسط فى العبودية، فلهم قسط من الإسراء يسرى بأرواحهم، لا بأشباحهم.

وسمعه يقول فى قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صَدَقَ عَنْْدُ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ^(١) إن المتقين فى جنات ونهر فى هذه الدار وفى تلك الدار فى الدنيا فى جنات العلوم والأنهار المعارف وفى الآخرة فى الجنة التى وعدوا بها فى مقعد صدق فى هذه الدار وفى تلك الدار عند ملك مقتدر، فى هذه الدار وتلك الدار، ولتبسيط كلام الشيخ: هو أن نعيم الجنة الكائن فيها تكون رقائقه معجلة للمتقين فى هذه الدار فما كان لهم فى الجنة حسا يكون لهم فى هذه الدار معنى.

ومثل هذه الآية قوله ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ^(٢) أى: فى هذه الدار وفى تلك الدار وفى الدنيا فى نعيم الشهود، وفى الآخرة فى نعيم الرؤية.

وكذلك قوله ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ^(٣) أى: فى هذه الدار، وفى تلك الدار فى هذه الدار فى جحيم القطيعة، وفى تلك الدار فى جحيم القوبة.

وقوله ﴿فِي مَقْعَدٍ صَدَقَ﴾ ^(٤) أى: فى هذه الدار وفى تلك الدار، فى هذه الدار مقعد صدق العبودية، وفى تلك الدار فى مقعد صدق الخصوصية.

وقوله ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ فى هذه الدار وفى تلك الدار، فى هذه الدار لهم عندية الإمداد، وفى تلك الدار لهم عنديه الإشهاد.

وقال فى قوله تعالى ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الحق الذى خلق به كل شىء كلمة كن، قال الله سبحانه ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ ^(٥).

وقال فى قوله سبحانه ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ أَلَدَيْكَ﴾ إنما قرن شكره بشكرهما لأنهما أصل فى وجودك.

وقال فى قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ ^(٦) إلى قوله ﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ يقال للولى وما تلك بيمينك أيها الولي قال: هى دنيائى أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمى، وغنمه أعضاؤه، ولى فيها مآرب أخرى، فيقال له: ألقها فناء عنها فألقاها فيكشف له عن

(٢) (الانقطار: ١٣، ١٤)

(٤) (طه: ١٧-١٨)

(١) (القدر: ٥٤، ٥٥)

(٣) (الأنعام: ٧٣)

حقيقتها، فإذا هي حية تسعى، ثم يقال له خذها ولا تخف، ولا يضره أخذها حين أخذها لأنه أخذها بإذن كما ألقاها بإذن فأخذها من الوجه الذي به ألقاها فأطاع الله في أخذها كما أطاع الله في إلقائها .

وقال في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ۝ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾^(١) إنما قال الرحمن ولم يقل القهار ولا العزيز، لأن تشق السماء بالغمام وتنزل الملائكة مظهران من مظهر القهر والسطوة، فلو قال القهار أو العزيز لم يطق العباد ذلك وتفطرت قلوبهم فرفق بهم، أن قال ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ وهكذا قوله ﴿ يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾^(٢) ولم يقل القهار ولا العزيز، لأن الحشر هول المطلع شديد فلاطفهم برحمانيته في ظفور سلطان قهره .

وقال: وقد سئل عن قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٣) فقال القائل من أين للعبد أن يتقى الله حق تقاته؟ ومن أين له أن يموت إلا وهو مسلم؟ فقال الشيخ رحمه الله: أقول إن هذه الآية منسوخة بقوله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾^(٤) فكانوا قد خوطبوا أولاً بتقوى الله حق تقاته وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر، ثم خفف عنهم بقوله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ قال ويمكن الجمع بين الآيتين ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ أى: فى جانب الأعمال .

وقوله تعالى ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ أى: فى جانب التوحيد، وقوله ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ أى: لا تتعاطوا من الأعمال إلا أعمالاً إذا متم عليها متم مسلمون .

وقال رحمه الله: صليت خلف الشيخ صلاة الصبح فقرأ ﴿ حم عسق ﴾ فلما انتهى إلى قوله ﴿ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءًا ﴾^(٥) فخطر لى أنها الحسنات، وقوله تعالى ﴿ وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾^(٦) فخطر لى أنها العلوم، وقوله تعالى ﴿ أَوْ يُزَوِّجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءًا ﴾^(٧) علوماً وحسنات

وقوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ لا علم ولا حسنة، فلم سلم الشيخ من الصلاة استدعائى وقال: لقد وجدت فهمك فى الصلاة: الإناث: الحسنات، الذكور: العلوم، ذكراً وإناً: علوماً وحسنات، والعقيم: لا علم ولا حسنة، فتمجبت من اطلاع

(٢) (مريم : ٨٥)
(٤) (التائبين : ١٦)

(١) (الفرقان : ٢٥ - ٢٦)
(٢) (آل عمران : ١٠٢)
(٣) (الشورى : ٤٩ - ٥٠)

الشيخ على ذلك فقال: أتعجب من اطلاعى على فهمك فى الصلاة قد فهم فلان كذا وفهم فلان كذا حتى عد أفهام الجماعة الذين خلفه .

وقال فى قوله تعالى ﴿ إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾^(١) ففهم قوم من هذا الخطاب أنهم أمروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب، وقوم فهموا من ذلك أن الشيطان لكم عدو، أى: وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه .

قيل لبعض كيف صنعك مع الشيطان؟ فقال: وما الشيطان، نحن قوم صرفنا هممنا إلى الله فكفانا من دونه .

وقال ﷺ: قرأت مرة ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ إلى أن انتهيت إلى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾^(٢) فكرت فى معنى هذه الآية فكشف لى عن اللوح المحفوظ فإذا مكتوب فيه لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم: روحاً وعقلاً ثم رددناه أسفل سافلين: نفساً وهوى .

وقال فى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾^(٣) همت به: إرادة، وهم بها: هم ميل لا هم إرادة .

وقال فى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾^(٤) إلى قوله ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ فقال عن شيخه أبى الحسن: ذكر التوبة ممن لم يذنب لثلاث يستوحش من أذنب لأنه ذكر النبى والمهاجرين والأنصار، ولم يذنبوا، ثم قال ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ فذكر من لم يذنب ليونس من قد أذنب، فلو قال أولاً: لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا لتفطرت أكبادهم .

وقال ﷺ: التقوى فى كتاب الله ﷻ أقسام: تقوى النار، قال الله تعالى ﴿ واتقوا النار ﴾^(٥) وتقوى اليوم، قال تعالى ﴿ واتقوا يوماً ﴾^(٦) وتقوى الربوبية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾^(٧) وتقوى الألوهية ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾^(٨) وتقوى إليه، ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي

(٢) (التين: ٤ - ٥)

(٤) (التوبة: ١١٧)

(٦) (البقرة: ٤٨ - ١٢٣ - ٢٨١)

(٢) (الحجر: ٦٩)

(٤) (المائدة: ٤٢)

(١) (فاطر: ٦)

(٢) (يوسف: ٢٤)

(٣) (آل عمران: ١٣١)

(٤) (النساء: ١ - الحج: ١ - لقمان: ٣٣)

(٥) (البقرة: ١٩٧)

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٤ / ٢٩٢) ن وأبو نعيم فى دلائل النبوة (١ / ٦٩)، والسيوطى فى الدرر المنتور (٦ / ٣٦٨)

وقال ﷺ في قوله تعالى ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾^(١) نزلت في اليهود، ومن كان من فقراء هذا الزمان مؤثراً للسمع لهواه آكلأ ما حرمه مولاه فهي نزعة يهودية لأن القوال يذكر العشق وما هو بعاشق، والمحبة وما هو بمحب، والوجد وما هو بمتواجد فالقول يقول الكذب والمستمع سماع له، ومن أكل من الفقراء طعام الظلمة حين يدعى إلى السماع فهو يصدق عليه قول الله ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾

وقال ﷺ: عبر بعض الصحابة على بعض اليهود فسمعوهم يقرءون التوراة فتخشعوا فلما دخلوا على رسول الله ﷺ نزل عليه جبريل فقال^(٢) [اقرأ، قال ﷺ: وما أقرأ؟ قال: اقرأ ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾^(٣)] فعوقبوا إذ تخشعوا من غيره وهم تخشعوا من التوراة وهي كلام الله، فما ظنك بمن أعرض عن كتاب الله وتخشع بالملاهي والغناء .

وقال ﷺ وقد سأله سائل: يا سيدى لما قال عيسى عليه السلام ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٤) ولم يقل الغفور الرحيم؟ فقال: لأنه لو قال الغفور الرحيم لكان شفاعته من عيسى عليه السلام لهم فى المغفرة ولا شفاعته فى كافر، ولأنه عبد من دون الله فاستحى من الشفاعته عنده وقد عبد معه .

وقال ﷺ فى قوله تعالى ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾^(٥) فى هذه الآية مدح لسيد المرسلين ﷺ أى أن هذا القرآن لا تثبت له الجبال لو أنزل عليها، وأنت يا محمد تثبت لنزوله للقوة الربانية التى أودعناك إياها، وفيه ذم للكافرين، أى: أن القرآن لو أنزل على جبل لخشع وتصدع وأنتم ما خشعتم وما تصدعتم .

فائدة: اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ بالمعانى الغريبة كما مضى من فهم الشيخ قوله تعالى ﴿ يهيب لمن يشاء إنثاء ﴾ الآية، وقوله ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ وكما سيأتى فى الأحاديث فذاك ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه فى عرف اللسان، وثم إفهام باطنه تفهم عند

الآية، والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء أنه ﷺ قال لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع، فلا يصدك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذه إحالة لكلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ فليس ذلك بإحالة، وإنما كان يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم وربما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه، كما أخبرنا الشيخ الإمام مفتى الأنام تقي الدين بن محمد بن علي القشيري قال: كان ببغداد فقيه يقال له الجوزي، يقرأ اثني عشر علماً، فخرج يوماً قاصداً إلى مدرسة، فسمع منشداً ينشد شعراً:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان عن الصغار

فخرج هائماً على وجهه حتى أتى مكة فلم يزل مجاوراً بها حتى مات . وقرئ على الشيخ مكين الدين الأسمر قول قائل:

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت بشرب الراح افطارا
الراح شيء شريف أنت شاربُهُ فاشرب ولو حملتك الراح أوزاراً
يا من يلوم على صباه صافية كن في الجنان ودعني أسكن النارا

فقال إنسان هنا: لا يجوز قراءة هذه الأبيات، فقال الشيخ مكين الدين للقارئ: اقرأ هذا رجل محجوب، ويكفيك في هذا أن ثلاثة سمعوا منادياً يقول اسع تر برى، وسمع الآخر الساعة ترى برى، وسمع الآخر ما أوسع برى، فالمسموع واحد واختلفت أفهام السامعين كما قال سبحانه ﴿ يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾ (١) وقال سبحانه ﴿ وقد علم كل أناس مشربهم ﴾ (٢) فاما الذي سمع: اسع تر برى، فمريد دل على النهوض إلى الله بالأعمال ليستقبل الطريق بالجدل، وقيل له اسع إلينا بصدق المعاملة ترى برنا بوجود المواصله، وأما على قبله لما أحرقه نار الشغف الساعة ترى برى، وأما الآخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخطب من حيث أشهد فسمع ما أوسع برى .

وقال الشيخ محي الدين بن عربي: دعانا بعض الفقراء إلى دعوة بزقاق القناديل بمصر، فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعجز الأوعية وهناك وعاء زجاج جديد قد اتخذ للبول ولم يستعمل بعد، فغرف فيه رب المنزل الطعام، فالجماعة يأكلون وإذا

الوعاء يقول: أكرمنى الله بأكل هؤلاء السادة منى لا أرضى لنفسى أن أكون بعد ذلك محلاً للأذى، ثم انكسر نصفين، قال: ابن عربى: فقلت للجمع سمعتم ما قال الوعاء، قالوا: نعم، قلت: ما سمعتم فأعادوا القول الذى تقدم، فقال: بل قال قولاً غير ذلك، قالوا: وما هو؟ قلت: قال كذلك قلوبكم أكرمها الله بالإيمان فلا المعصية ترضوا بعد ذلك أن تكون محلاً لنجاسة وحب الدنيا، جعلنا الله وإياك من أولى الفهم عنه والتلقى منه .



الباب السادس

فيما فسره من الأحاديث النبوية وإبداء أسرار فيها على مذهب أهل الخصوصية

قال ﷺ في قوله ﷺ { سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه }^(١).

فقال الشيخ: الإمام العادل هو القلب، ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه أى: رجل قلبه معلق بالعرش، فإن العرش مسجد قلوب المؤمنين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، أى: من النفس والهوى، وكذلك قال في قوله تعالى ﴿إِذْ نَادَى رَبُّهُ نَدَاءً خَفِيًّا﴾^(٢) أى: من النفس والهوى .

واعلم: أن هؤلاء السبعة جازاهم الحق سبحانه من حيث معاملتهم إياه: أما الإمام العادل فإنه عدل في عبادة الله فأوى المظلوم إلى ظل عدله فأواه الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الشاب الذى نشأ في عبادة الله فإنه أوى إلى الله معرضاً عن هواه آوياً إلى كنف مولاه فصنع الحق معه ذلك في الآخرة جزاء كما صنع هو ذلك مع الله وغلب عليه حب الله، فلذلك صار قلبه متلفتاً إلى المسجد لا يحب للبراج عنه لأنه يجد فيه روح القرابة وحلاوة الخدمة، فأوى إلي الله مؤثراً لربوبيته فأظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، جزاء لما سبق من معاملته .

وأما الرجلان الذين تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، فإنهما تواصلتا

(١) متفق عليه أخرجه البخارى في صحيحه (١٦٨/١) ومسلم (٩١) والحاكم في المستدرک (١٨٧/٤) رقم (٧٣١٥) والتاريخ الصغير (١٣٩/٢) رقم (٢٠٧٧) من حديث أبى هريرة، والجامع الصحيح المختصر (٢٣٤/١) رقم (٦٢٩) والترمذى في الجامع الصحيح (٥٩٨/٤) رقم (٢٣٩١) والسنن الكبرى (٤٦١/٣) رقم (٥٩٢١) والکامل فى ضعفاء الرجال (١٥٤/٤) رقم (٩٧٨) والنهاية فى غريب الأثر (١٥٩/٣) وتاريخ بغداد (٢٥٣/٩) رقم (٤٨٢٩) وتذكرة الحفاظ (١٣٢٤/٤) رقم (١٠٩٣) تلخیص الحبير فى أحاديث الرفاعى الكبير (١١٤/٣) رقم (١٤٢٨) تنوير الحوالک شرح موطأ مالک (٢٣٦) رقم (١٧٠٩) حاشية السندى على النسائى (٢٥٨/٦) رقم (٣٦٦٤) سنن البيهقى الكبير (٦٥/٣) رقم (٤٧٦٧) شرح السيوطى على سنن النسائى (٢٨٠/٦) رقم (٣٦٦٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٣٣٨/١٠) رقم (٤٤٨٦) .

(٢) (مريم: ٣)

بروح الله تعالى وتألّفا بمحبة الله فكان ذلك منهما إقبالاً إلى الله فأواهما الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الرجل الذى دعت امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، فإنه صلى نار مخافة الهوى من المولى، وخالف بواعث الطبع المعارضة للتقوى، ولما خاف الله هرب إليه ولما هرب إليه هاهنا معاملة آواه الله إليه فى الآخرة مواصلة، فأظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الرجل الذى ذكر الله خالياً ففاضت عيناه فإنه لم تفض عيناه إلا من الفرح التى أحرقت قلبه، إما حياء من الله أو شوقاً إليه أو خوفاً من ربوبيته أو لشهود التقصير معه، فلما فعل ذلك حيث لا يراه أحد إلا الأحد كان ذلك معاملة لله وإقبالاً إليه بالاعتذار إليه أو بالتشوق، فأوى إلى الله فأظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الرجل الذى تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، فإنه قد آثر الله على نفسه ببذل الدنيا إيثاراً لحب الله ما تحبه نفسه، لأن شأن النفس حب الدنيا وعدم البذل لها فلا يبذل لها إلا من آثر الله عليها، ولذلك قال رسول الله ﷺ {والصدقة برهان} ^(١) أى: برهان يدل على أن العبد آثر مولاه على نفسه وهواه، فلما مال العبد إلى الله بالمعاملة من الله عليه بأن أظله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وتشترك الأقسام السبعة فى معنى واحد، فلذلك جوزوا جزاء واحداً اشترك فى أن كلا من هؤلاء السبعة صلى حر مخالفة الهوى فى الدنيا، فلم يذقه الله حر الآخرة، وقد قال ﷺ حاكياً عن الله { لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع عليه أمين أن أمنت فى الدنيا أخفته فى الآخرة، وإن أخفته فى الدنيا أمنت فى الآخرة } ^(٢) .

وقال ﷺ فى قول رسول الله ﷺ {يسروا ولا تعسروا} ^(٣) أى: دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره، فإن من ذلك على الدنيا فقد غرك، ومن ذلك على الأعمال فقد أتعبك ومن ذلك على الله فقد نصحك .

وقال ﷺ فى قول رسول الله ﷺ { رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١) وأحمد فى مسنده (٣٤٢/٥) والترمذى (٣٥١٧) والبيهقى فى الكبرى (٤٢/١) .

(٢) أخرجه البيهقى فى المجمع (٣٠٨/١٠) .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده (٣٩٩/٤) وعبد الرزاق فى المصنف (١٦٥٩) .

لأكلتم منه ما بقت الدنيا {^(١) } أى: الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء والأولياء يطالعون مثلهم
فلذلك قال ﷺ رأيت الجنة، ولم يقل كأنى رأيت .

وقال حارثة : قال رسول الله ﷺ { كيف أصبحت يا حارثة؟ }^(٢) قال: أصبحت
مؤمناً حقاً، فقال ﷺ { لكل حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ } قال: عزفت نفسى عن الدنيا
فاستوى عندى ذهبها ومدرها، وكأنى أنظر على أهل الجنة فى الجنة يتنعمون فيها، وإلى
أهل النار فى النار يعذبون فيها، وكأنى أرى عرش ربى بارزاً من أجل هذا سهرت ليلى
وأظلمات نهارى، فقال له رسول الله ﷺ { يا حارثة عرفت فالزم } ثم قال رسول الله ﷺ {
عبد نور الله قلبه بنور الإيمان } قال حارثة: كأنى ولم يقل رأيت لأن ذلك للأنبياء دونه،
وكذلك قول حنظلة الأسد لرسول الله ﷺ تذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأى عين، ولم
يقُل حتى نراها رأى العين لما قدمناه وفى حديث حارثة فوائد عشرة:

الفائدة الأولى:

أنه لما سئل النبى ﷺ حارثة فقال له { كيف أصبحت يا حارثة؟ } لم يقل حارثة
غنياً ولا صحيحاً ولا شيئاً من الأحوال البدنية، أو الأمور الدنيوية، لأن حارثة علم أن
رسول الله ﷺ أجل من أن يسأل عن دنيا بل فهم عنه أنه إنما سأله كيف حاله مع الله؟
فلذلك قال الصحابى: أصبحت مؤمناً حقاً، إن أبناء الدنيا إذا سئلوا فلا يخبرونك إلا عن
دنياههم وربما أخبروك إذا سألتهم عن الضجر بأحكام مولاها، فالسائل لمن هذا وصفه مشارك
له فيما استثاره سؤاله يجريان سببه منه، قال الشيخ أبو العباس لرجل أتى من الحج:
كيف كان حجكم؟ فقال ذلك الرجل: كثير الرخاء كثير الماء كذا . كذا وسعر كذا وكذا،
فأعرض الشيخ عنه، وقال: نسألهم عن حجهم وما وجدوا فيه من الله من علم ونور وفتح
فيجيئون برخاء الأسعار وكثرة الماء حتى كأنهم لم يسألوا إلا عن ذلك .

الفائدة الثانية:

أنه ينبغى للمشايخ تفقد حال المريدين ويجوز للمريدين إخبار الأستاذين، وإن لزم
من ذلك كشف حال المريد لأن الأستاذ كالطبيب، وحال المريد كالعورة، والعورة قد تبدى

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٣٥٩/١)

(٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (٣٠٢/٣) والسيوطى فى الدر المنثور (١٦٢/٣) والمتقى الهندى فى كنز العمال (٣٦٩٨٨) والزبيدى فى الإتحاف (٣٧٢/٩) وابن أبى شيبه فى الإيمان (١١٥) والمجلوانى فى كشف الخفاء (٢٠٨/٢) وابن الأثير فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة (٤٢٥/١ - ٤٢٦) وقال رسول الله ﷺ لأمه يوم أتشاده { يا أم حارثة أنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنات، وحارثة فى الفردوس الأعلى) .

للطبيب لضرورة التداوى .

الفائدة الثالثة:

انظر إلى قوة نور حارثة في قوله أصبحت مؤمناً حقاً، فلولا أنه منصور بنور البصيرة الموجبة لمحض اليقين والتحقيق بالمنة ما أخبر بذلك وأبداه وأثبت لنفسه حقيقة الإيمان بين يدي صاحب المحو والإثبات، وإنما أبدى ذلك حارثة لأنه علم أن طوعية رسول الله ﷺ واجبة والرسول قد استخيره عن حاله فلم يسعه الكتم وأبدى ما علم أن الله تفضل به عليه ببركات متابعة رسول الله ﷺ ليفرح له الرسول ﷺ بمنة الله فيشكر الله عنه، ويسأل الله تثبيت ما أعطاه ومثل هذا ما ذكره بعض العلماء .

قال: وقعت زلزلة بالمدينة زمن خلافة عمر فقال عمر: ما هذا؟ ما أسرع؟ ما أحدثتم والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم، فانظر حكم الله هذه البصيرة التامة، كيف أشهدته؟ أن الزلزلة إنما هي من حدث وأن ذلك الحدث منهم، وأنه يرى منه، فهل هذا إلا من نور البصيرة الكاملة التي وهبها الله عمر .

وكذلك ضربه لأبى هريرة في صدره حين وجد معه نعل رسول الله ﷺ وقد أمره أن من لقيه من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله أن يبشره بالجنة، ورجوعهما إلى رسول الله ﷺ قول عمر: يا رسول الله أنت أمرت أبا هريرة أن يأخذ نعليك ويبشر من لقي من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله بالجنة؟ قال ﷺ { نعم } قال: لا تفعل يا رسول الله خلهم يعملوا، فقال ﷺ { خلهم يعملوا }^(١) .

وهاتان الوقعتان يعرفانك بعظيم قدر عمر وموفور أخذه من رسول الله ﷺ واحتفظه من نوره، وهذا الحديث رويناه من صحيح مسلم وإنما ذكرته هنا مختصراً .

الفائدة الرابعة:

يفهم من هذا الحديث انقسام الإيمان إلى قسمين: ١- إيمان حقيقي ٢- إيمان رسمي فلذلك أخبر الصحابي بقوله أصبحت مؤمناً حقاً، والحديث يشهد له أيضاً ما رواه البخارى في صحيحه يرفعه أن رسول الله ﷺ قال { ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسلاً }^(٢) وروى أيضاً أنه ﷺ قال { ثلاث من كُنّا فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا

(١) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه وابن حجر في الفتح (٢٢٨/١) وابن أبى شيبة في الإيمان .

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٣) وأحمد في مسنده .

لله، وأن توقد نار عظيمة فكان أن يقع فيها خير له من أن يشرك بالله {^(١)}. وقد جاء في الحديث أيضاً قال: قال ﷺ { المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف }^(٢) وفي كل خير، وقد قال الله سبحانه ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾^(٣).

وهما صنفان عباد بالله على التصديق والإذعان، وعباد آمنوا بالله على الشهود والعيان، وهذا الإيمان الثاني تارة يسمى إيماناً وتارة يسمى يقيناً، لأنه إيمان انبسطت أنواره وظهرت آثاره واستكن في القلب عموده، ودوام السر شهوده، وعنه يكون خالص الولاية. كما أن عن القسم الآخر يكون ظاهر الولاية وليس يستوى إيمان مؤمن يغلب الهوى وإيمان مؤمن يغلبه الهوى، ولا إيمان مؤمن تعرض له العوارض في دفعها بإيمانه كإيمان مؤمن غسل قلبه من العوارض، فلا ترد عليه لشهوده وعيانه، ولأجل هذا ما اختلف أهل الطريق في عبيد أحدهما: يرد عليه خاطر الذنب فيجاهد نفسه حتى يذهب ذلك عنه، والآخر: لا يخطر له هذا خاطر أصلاً، أيهما أتم.

والذى لا نشك فيه تفضيل هذا القسم الثاني، فإنه أقرب أحوال أهل المعرفة، والأول هو حال أهل المجاهدة، ولأنه لا يكون القلب على هذه الصفة إلا والنور قد ملأ زواياه فلأجل ذلك لم يجد خاطر الذنب مساعاً.

الفائدة الخامسة:

مطالبة رسول الله ﷺ لحارثة بإقامة البرهان على ما أثبتته لنفسه، يفيدك ذلك أنه ليس كل من ادعى دعوى سلمت له، وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾^(١) فموازين الحقائق شاهدة للعيان أو عليها، وقد قال سبحانه ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾^(٢) فمن ادعى حالاً مع الله أقيم عليه ميزانها، فإن شهد له سلمنا له وإلا فلا، وإن كانت الدنيا على خسارة قدرها عند الله لا تسلم لك إلا ببينة تقيمها، فمن الأحرى أن لا تسلم لك مراتب الموقنين حتى يثبتها لك برهان وتسلمها لك حقيقة.

(١) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده (١٠٣/٣) وابن حجر في الفتح (٦٠/١) وأبو نعيم في الحلية (٢٧/١) وعبد الرزاق في المنصف (٢٠٣٢٠) والبيهقي في مجمع الزوائد (٥٥/١).

(٢) أخرجه ابن حجر في الفتح (٢٢٧/١٣) والطبراني في الكبير (٣٠٤/١٧) (٤) (البقرة: ١١)

(٥) (الأنفال: ٤)
(٦) (الرحمن: ٩)

الفائدة السادسة:

كان الشيخ أبو العباس يقول: لو كان المسئول أبا بكر رضي الله عنه لم يطالبه الرسول ﷺ بإقامة برهان على ما ادعى، لأن عظيم رتبة أبي بكر شاهدة له من غير إظهار برهان، فأراد الرسول ﷺ أن يعرفنا الفرق بين رتبة أصحابه، فمنهم من هو كحارثة لما ادعى حقيقة الإيمان طوبى ببرهانها، ومنهم من هو كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما يثبت لهم الرسول ﷺ الرتب، وإن لم يثبتوها لأنفسهم، ألا ترى الحديث الوارد، أن بقرة في بني إسرائيل ركبها رجل وأجهدها، فقالت: سبحان الله لم أخلق لهذا، وإنما خلقت للحرث، فقال الصحابة: سبحان الله أبقرة تتكلم، فقال رسول الله ﷺ { آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر وهما غائبان }^(١) فانظر هذه المرتبة، ما أفخمها هذه المنزلة ما أعظمها.

وسمعت شيخنا أبا العباس يقول: معنى قوله ﷺ { آمنت بذلك وأبو بكر وعمر } أى: من غير عجب، وأنتم آمنتكم متعجبين، فلأجل ذلك قالوا: سبحان الله أبقرة تتكلم، وكان يقول أن الملائكة لما بشرت زوجة إبراهيم بالولد قالت: أألد وأنا عجوز؟ وهذا بعلي شيخاً هذا لشيء عجيب، فقالت الملائكة لها: أتعجبين من أمر الله، أمر الله لا يتعجب منه فلم يسماها الحق صديقة، ومريم لما بشرت بالولد من غير أب فلم تتعجب من ذلك سماها صديقة، فقال سبحانه ﴿ وأمه صديقة ﴾^(٢).

الفائدة السابعة:

استدل الصحابي على حقيقة إيمانه بزهده في الدنيا، وكذلك هذا الإيمان إذا تحقق به من قام به أورثه الزهد في الدنيا؛ لأن الإيمان بالله يوجب لك التصديق ببلقائه وعلمك بأن كل آت قريب يوجب لك شهود قرب ذلك فيورثك ذلك الزهد في الدنيا، ولأن نور الإيمان يكشف لك عن إعزاز الحق لك، وتأنف همتك من الإقبال على الدنيا والتطلع إليها مع أن الحقيقة تقتضى أن الزهد في الدنيا مثبت لها، فإنه شهد لها بالوجود إذا ثبتها مزهوداً فيها، وإذا شهد لها بالوجود فقد عظمها، وهو معنى قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمته الله: والله لقد عظمتها إذا زهدت فيها.

ومثل زهد الزاهد فيما زهد فيه فناء الغاني عما فنى عنه، فإثبات أنك فان عن الشيء إثبات لذلك الشيء فما لا وجود له لا يتعلق به فناء ولا زهد ولا ترك، ولنا في هذا المعنى أبيات كتبت بها لبعض إخواننا يسمى حسناً:

(١) أخرجه الترمذى (٣٦٧٧) والقرطبي (٦٦/١٦)

(٢) (المائدة: ٧٥)

حسن من تدع الوجود بأسره حسن فلا يشغلك عنه شاغل
لسئن فهمت لتعلمن بأنه لا ترك إلا الذى هو حاصل
ومتى شهدت ثواه فاعلم بأنه من وهمك الأدنى وقلبك ذاهل
حب الإله شهوده لوجوده والله يعلم ما يقول القائل
ولئن أشرت إلى الصدع من الهوى دلت عليه أن فهمت دلائل
وحدث كان وليس شيء غيره يقضى به الآن اللبيب العاقل
لا غير إلا نسبة مـثـبـوتـه ليذم ذو ترك ويحمد فاعلى

الفائدة الثامنة:

قول الصحابي: عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى زهيبها ومدرها، العزوف: هو ترك الشيء بالتعزف له والاعراض عنه، إذ لو قال: تركت الدنيا، لم يلزم من الترك عدم التطلع، فرب تارك للشيء وهو له متطلع فالعزوف أعراض مع كراهة وتحقر، ومن كشف له عن حقيقة الدنيا فهذا شأنه فيها، وقد قال رسول الله ﷺ { الدنيا جيفة قذرة }^(١) وقال ﷺ { للضحك ما طعامك؟ } قال: اللحم واللبن، قال: ثم يعود إلى ماذا؟ قال إلى ما علمت يا رسول الله، قال: فإن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا، فمن كشف له عن حقيقة الدنيا فشدها جيفة قذرة، فحرى أن تعزف همته عنها فإن قلت: فقد قال رسول الله ﷺ { الدنيا حلوة خضرة }^(٢) فاعلم أن الدنيا جيفة قذرة فى مرآى البصائر، حلوة خضرة فى مرآى الأبصار، فإن قلت فما فائدة الإخبار بأنها حلوة خضرة، فاعلم أن قوله ﷺ { الدنيا جيفة قذرة } للتنفير وقوله الدنيا حلوة خضرة للتحذير، أى: فلا تغرنكم بحلاوتها وخضرتها، فإن حلاوتها فى التحقيق مرارة وخضرتها يابس، ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن أولياء الله قال { هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها }

الفائدة التاسعة:

وقوف الصحابي على مستحق رتبته بقوله: وكأنى أنظر إلى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون، ولم يقل نظرت، وقد تقدم ذلك من الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء، والأولياء يطالعون مثلها .

(١) أخرجه السيوطى فى الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة ٨٥، والمجلونى فى كشف الخفاء (٤٩٣/١)

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٦٤/٢) والطبرانى فى الكبير (٣٥٠/١٩) والمتقى الهندى فى كنز العمال (٦٠٧٥) والحافظ المنذرى فى الترغيب (١٦٢/٤) والبخارى فى التاريخ الكبير (٤٥/٥) .

الفائدة العاشرة:

قوله: فمن أجل ذلك أسهرت ليلي وأظلمات نهاري، فحارثة عبد وصل بكرامة الله إلى طاعة الله، ألا ترى كيف قال في الأول عزفت نفسي عن الدنيا، ثم قال: فمن أجل ذلك أسهرت ليلي وأظلمات نهاري، فسبق عزوف نفسه عن الدنيا معاملته لربه .

وكان الشيخ أبو العباس يقول: الناس على قسمين:

١ - قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله .

٢ - وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله .

وقد قال سبحانه ﴿ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (١)

ونور الله يرد على القلب فيوجب له الاتصاف بصفة الزهد في الدنيا والإعراض عنها، ثم تنبت منه إلى الجوارح فما وصل إلى العين أوجب الاعتبار، وإلى الأذن أوجب حسن الاستماع، وإلى اللسان أورث الذكر، وإلى الأركان أورث الخدمة، والدليل على أن النور يوجب عزوف الهمة عن الدنيا والنأى عنها قول رسول الله ﷺ { إن النور إذا دخل الصدر انشرح وانفسح } (٢) فقول يا رسول الله: فهل لذلك علامة؟ قال ﷺ { التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود }

وأما حديث حنظلة الأسدي فقد رواه مسلم في صحيحه قال: لقي حنظلة أبو بكر فقال: نافق حنظلة، فقال أبا بكر ﷺ: وما شأن حنظلة؟ فقال: نكون عند رسول الله ﷺ فيذكرنا بالجنة والنار حتى كأننا رأى العين، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الضيعات والزوجات، ثم أتيا رسول الله ﷺ فقال له حنظلة ما قاله لأبي بكر، فقال رسول الله ﷺ { والذي نفسي بيده يا حنظلة لو تداومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فراشكم ولكن ساعة وساعة } (٣) وفي هذا الحديث ثمان فوائد:

(١) (الشورى: ١٣)

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/ ٣١١) والسيوطي في جمع الجوامع (٥٩٩٢) .
(٣) صحيح أخرجه مسلم في التوبة (٤/ ٢١٠٦) رقم (٢٧٠٥) وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١٤/٥) والزيبي في الاتحاف (٩/ ٢١٦) والأحاديث والمثنى (٢/ ٤٠٦) رقم (١٢٠١) والجامع الصحيح سنن الترمذي (٤/ ٦٦٦) رقم (٢٥١٤) والمعجم الكبير (٤/ ١١) رقم (٣٤٩٠) وابن ماجه في السنن (٢/ ١٤١٦) رقم (٤٢٣٩) وشرح سنن ابن ماجه (٣١٣) رقم (٤٢٣٩) وصحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان (٢/ ٥٥) رقم (٣٤٤) ومسنند أبي يعلى (٥/ ٣٧٨) رقم (٣٠٣٥)

الفائدة الأولى:

قول حنظلة نافق حنظلة، النفاق مأخوذ من نافقها اليربوع وهو أن يجعل لبيته بابين متى طلب إحداهما خرج من الآخر، كذلك المنافق يظهر بظاهر الإيمان وله مسرب من الكفر باطن إذا عاتبه أهل الكفر على ما أظهر من الإيمان فتح مسرباً من باطن كفره ليسلم من عتابهم، وإذا ظهرت عليه رتبة أهل النفاق فعوتب عليها تصون من ذلك بظاهر الإيمان الذى أظهره، ولذلك أخبر الله عنهم بقوله ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾^(١)

فلما رأى حنظلة أنه يكون عند رسول الله ﷺ على حاله فإذا خرج وحاول أسباب الدنيا تغير حاله فلم يبق على نحو ما كان عليه عند رسول الله ﷺ خاف أن يكون ذلك نفاقاً لاختلاف حالتيه فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ وحمله الإيمان أن يظهر ذلك ليطلب الشفاء منه ويشكوا داءه لمن يكون الدواء عنده، فلما شكوا ذلك لأبى بكر رضي الله عنه قال له أبو بكر: إنا لنلقى مثل ذلك يا حنظلة، ولم يجبه أبو بكر لأن رسول الله ﷺ كان بين أظهرهم فلم ير أبو بكر أن يجيب حنظلة ولو أن حنظلة أتى أبو بكر بعد وفاة الرسول ﷺ لأجابه .

الفائدة الثانية:

يستفاد من حديث حنظلة أن من حمله الصدق على إظهار ما به حصل له الشفاء، إما بأن يقال: إن ما ظننته داء ليس بداء، وإما أن يدل من الدواء على ما يزيل الداء، فحنظلة قيل له إن ما ظننته داء ليس بداء .

الفائدة الثالثة:

قول حنظلة لرسول الله ﷺ تذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأى عين، ولم يقل حتى نراها رأى عين لما قدمناه أن الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء، والأولياء يطالعون مثلها، فلذلك قال حنظلة كانا رأى عين، ولم يقل حتى نراها رأى عين كما قال حارثة، وكأننى انظر إلى أهل الجنة، ولم يقل نظرت إلى أهل الجنة، وقد تقدم هذا من قبل .

الفائدة الرابعة:

ينبغي أن يقلل الدخول فى أسباب الدنيا ما أمكن فهذا الصحابى يقول: فإذا خرجنا

(١) (البقرة: ١١٤)

من عندك عافسنا الضيعات والزوجات نسينا كثيراً، وقد قال رسول الله ﷺ { إن قليل الدنيا يلهى عن كثير الآخرة }

وقال ﷺ { مال طلعت شمس إلا وجنبها ملكان يناديان: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خيراً مما كثر والهى }^(١).

الفائدة الخامسة:

قوله ﷺ { لو تدومون على ما تكونون عليه عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة فى طرقكم وعلى فراشكم }^(٢) فيه إشارة إلى أن الدوام على تلك الحالة عزيز وإن عدم دوام العبد على تلك الحالة لا يوجب معتبه لما طبع عليه البشر من الغفلة، فكان الدوام على تلك الحالة كالمعثور .

الفائدة السادسة:

كان الشيخ أبو العباس يقول: لم يقل ﷺ إن ذلك محال أن يكون أعنى ما رمت على تقدير الدوام وهو قوله ﷺ { لصافحتكم الملائكة فى طرقكم وعلى فراشكم } فقد يكون من أولياء الله يهبه الله ذلك .

الفائدة السابعة:

إنما خص الرسول ﷺ الفراش والطرق، لأن الفراش محل الشهوات، والطرق محل الغفلات، فإذا صافحتهم الملائكة فى فراشهم وطرقهم فمن الأجرى أن تصافحهم فى محل طاعتهم وموطن أذكارهم .

الفائدة الثامنة:

اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يستوى وقت كينونتهم عنده، ووقت ذكرهم سواهما حتى يعرف عظيم قدر رتبته محاضرتهم ﷺ وعزازه الذكر وجلالة منصبهما، وقد قال ﷺ سمع النبي ﷺ أبا بكر يقرأ ويخفت صوته، وسمع عمر يقرأ ويرفع صوته، فقال لأبى بكر

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٢٦/١)

(٢) صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه، والزييدى فى الإتحاف (٢١٦/٩) والهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠٨/١٠) والمتقى الهندى فى كنز العمال (١٠٣٧٠) وابن ماجه فى السنن (١٤١٦/٢) رقم (٤٢٣٩) وشرح سنن ابن ماجه (٣١٣) رقم (٤٢٣٩) وصحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان (٥٥/٢) رقم (٣٤٤) ومسند أبى يعلى (٣٧٨/٥) رقم (٣٠٣٥) والمعجم الكبير (١١/٤) رقم (٣٤٩٠) والجامع الصحيح سنن الترمذى (٦٦٦/٤) رقم (٢٥١٤) والآحاد والمثانى (٤٠٦/٢) رقم (١٢٠١) .

{ لما خفضت صوتك؟ } قال: قد أسمعت من ناجيت، وقال لعمر { لما رفعت صوتك؟ } قال: أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، فقال لأبى بكر { ارفع قليلاً } ولعمر { اخفض قليلاً } قال الشيخ: أراد أن يخرج كلا منهما عن إرادته لنفسه، لمراد رسول الله ﷺ لهما

وقال ﷺ فى قوله ﷺ { أنا سيد ولد آدم ولا فخر }^(١) أى: لا افتخر بالسيادة وإنما الفخر لى بالعبودية، وكان كثيراً ما ينتشد شعراً:

يا عمر وناد عبد زهراء يعرفه السامع والرأى
لا تدعنى إلا بيا عبدا فإنه أشرف أسمائى

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ يقول: المؤمن فى الدنيا أسير، ولا فكاك للأسير إلا بإحدى ثلاث: إما بالحيلة، وإما بالقديّة، وإما بالعناية، وما ذكره الشيخ مأخوذ من قول رسول الله ﷺ { الدنيا سجن المؤمن }^(٢) قال أبو العباس فى تفسير هذا الحديث: شأن المسجون التحديق بعينيه والإصغاء بأذنيه متى يدعى فيجيب .

وقال ﷺ: الأنبياء إلى أسمهم عطية، ونبيينا محمد ﷺ هدية، وفرق بين الهدية والعطية، لأن العطية للمحتاجين، والهدية للمحبوبين، قال النبى ﷺ { إنما أنا رحمة مهداه }^(٣) .

وقال فى قوله ﷺ { السلطان ظل الله فى الأرض }^(٤) هذا إذا كان عادلاً، وإما إذا كان جائر فهو ظل النفس والهوى .

وقال ﷺ: مات رجل من أهل الصفة فوجد فى شملته ديناران فقال النبى ﷺ

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک (٦٠٤/٢) والمتقى الهندى فى كنز العمال (٣٢٠٤٠) والزبيدى فى تحاف السادة المتقين (٥٧٢/٧)

(٢) صحيح: أخرجه مسلم فى الزهد والترمذى (٢٣٢٤) وأحمد فى مسنده (١٩٧/٢) وابن ماجه (٤١١٣) والحاكم فى المستدرک (٦٠٤/٣) والبيهقى فى شرح السنة (٢٩٦/١٤) والطبرانى فى الكبير (٢٨٩/٦) .

(٣) أخرجه البيهقى فى شرح السنة (٢١٣/٣) وابن كثير فى البداية والنهاية (٢٩٩/٦) والسيوطى فى الدرر المنتورة (٣٤٢/٤) والأجرى فى الشريعة (٤٥٨) وابن سعد فى الطبقات الكبرى (١٢٨/١) وابن حجر فى لسان الميزان (٢٣٣/٥) .

(٤) عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال { إن السلطان ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وإذا جار كان عليه الأمر وعلى الرعية الصبر، وإذا جارت الولاة قحطت السماء، وإذا منعت الزكاة، هلكت المواشى، وإذا ظهر الزنا ظهرت الفتنة والمسكنة، وإذا ظفرت الذمة أديل الكفار } انظر الكامل فى ضعفاء الرجال (٣٥٩/٣) رقم (٨٠١) والنهاية من غريب الأثر (٢٦٢/٢)، ومعناه: أن على الولى للرعية الانتصار من الظالم والإعانة، لأن الظل يلجأ إليه من الحرارة والشدّة ولهذا قال فى تمامه { يأوى إليه كل مظلوم } وتهذيب التهذيب (٢١٧/٧) رقم (٤٤١) من حديث أنس ﷺ، وفيه عقبة بن عبد الله قال فيه أبو بكر البزار: عقبة وطلحة بن عمر حافظين وإن كان روى عنهما جماعة فليسا بالقوابين. وقال الساجد: ليس هو ممن يحتج بحديثه وفيه ضعف، وقال ابن شاهين فى الثقات: قال أحمد بن صالح المصرى ثقة

{ كيتان فى النار } وقد مات على عهد رسول الله ﷺ كثير من الصحابة وتركوا أموالاً فما قال فيهم رسول الله ﷺ مثل هذا، لأنهم لم يبتنوا خلاف ما أظهروا، وهذا الذى كان من أهل الصفة أظهر الفاقة وكان عنده هذين الدينارين فلما أظهر خلاف ما أبطن قال الرسول ﷺ { كيتان فى النار }

وقال فى قوله ﷺ { التاجر الصدوق يحشر مع النبیین والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة } قيل: فبأى طريق يحشر مع هؤلاء؟ قال ﷺ: يحشر مع النبیین لأن شأنهم أداء الأمانة وبذل النصيحة، والتاجر الذى هذا صفته يحشر معهم بهذا الوصف.

ويحشر مع الصديقين لأن الصديق شأنه الصفاء فى الظاهر والباطن، وقد استوى ظاهره وباطنه، والتاجر الصدوق كذلك، فيحشر مع الصديقين بهذا الوصف.

ويحشر مع الشهداء لأن الشهيد شأنه الجهاد، والتاجر الصدوق يباعد نفسه وشيطانه وهواه فيحشر مع الشهداء بهذا الوصف

ويحشر مع الصالحين لأن الصالح شأنه أخذ الحلال وترك الحرام، فيحشر مع الصالحين بهذا الوصف.



الباب السابع

فى تفسيره لما أشكل من كلام أهل الحقائق وحمله لذلك على أجمل الطرائق

قال رحمه الله: قال سهل بن عبد الله ^(١) لا تكونوا أبناء الدهور ولا من أبناء العد والإحصاء، وكونوا من أبناء الأزل أشقى أو أسعد، ثم قال رحمه الله: يقول أحدهم صليت كذا وكذا ركعة، ختمت كذا وكذا ختمة، حججت كذا وكذا حجة، فهؤلاء أبناء العد والإحصاء فهم إلى عد سيئاتهم أحوج منهم إلى عد حسناتهم، وأما أبناء الدهور فيقول أحدهم لى فى طريق الله سبعون سنة، لى فى طريق الله ستون سنة، وكونوا من أبناء الأزل أشقى أو سعيد، يعنى لاحظوا ما سبق فى علم الله ولا تتكلموا على ما لكم من العلم والعمل، ولكن أرجعوا لوجود الأزل.

وقال رحمه الله: قال بشر الحافى ^(٢) منذ أربعين سنة أشتهى الشواء فما صفا لى ثمنه، فقال الشيخ: من ظن أن هذا الشيخ مكث أربعين سنة ما وجد درهماً حلالاً يشتري به الشواء فقد أخطأ، من أين له فى الأربعين سنة ما يأكل وما يلبس، وإنما المعنى فى ذلك أن هؤلاء قوم أصحاب مراتب لا يأكلون ولا يشربون ولا يدخلون فى شىء ولا يخرجون بشىء ولا يخرجون من شىء إلا بإذن من الله وإشارة، فلو أذن له أكل الشواء لصفا له ثمنه

(١) سهل بن عبد الله التستري من الطبقة الثانية وكنيته: أبو محمد، من أكابر القوم وعلماء هذه الطائفة كان إماماً ربانياً، يتبعين الاقتداء به، وكان حاله قوياً وكلامه ضعيفاً، وهو من تلامذة ذو النون المصري، وصحب خاله محمد ابن سوار، وكان من أقران الجنيد، سئل سهل: ما علامة الشقاوة؟ قال (أن تمنى العلم، ولا تمنى توفيق العمل، وتمنى العمل ولا تمنى الإخلاص، وتمنى صحبة الصالحين والعارفين ولا تمنى القبول) وقال سهل: أول هذا الأمر علم لا يدرك وآخره علم لا ينفذ) وقال أيضاً: (ما دمت تخاف الفقر فأنت منافق) وقال أيضاً: (الصوفى الذى لا ينتفع أحد من قلبه لا يحصل منه الفلاح) وقال أيضاً (طوبى لمن يطلب من أوليائه تعالى، إن وجد أوليائه وجد النور، وإن مات فى طلبه وجد شفيماً) انظر ترجمته فى حلقات الصوفية (٢٠٦) حلية الأولياء (١٨٩/١٠) صفة الصفة (٤٦/٤) الرسالة القشيرية ص ١٨، لواقح الأنوار (٩/١) وفيات الأعيان (٢٧٣/١) سير أعلام النبلاء (٧٦/١/٩) شذرات الذهب (١٨٢/٢) هدية العارفين (٤١٢/١) معجم المؤلفين (٨٤/٤) التعريف ص ٩، كشف المحجوب ص ١٣٩، جامع كرامات الأولياء (٣٥/٢) تذكرة الأولياء (٢٢٧/١)

(٢) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن الحافى: من الطبقة الأولى، كنيته: أبو نصر، قيل أصله من بعض قرى مَرُو وأقام ببغداد، ومات بها يوم الأربعاء العاشر من المحرم سنة سبع وعشرون ومائتين قبل أحمد بن حنبل بسبع سنين، قيل كان الناس يفضلونه على أحمد بن حنبل، حتى ظهرت الفتنة، وهى القول بخلق القرآن، فأما أحمد بن حنبل فدخل مع الناس، وأما بشر فاعتزلهم، فقالوا: يا أبا نصر ألم تخرج وتتكلم مع الناس لنصرة الدين وتقوية أهل السنة والجماعة؟ قال: (هيها، هذا أحمد بن حنبل قد قام مقام الأنبياء عليهم السلام، فإن لم يقدر أن يتكلم فليس لى طاقة أن اتكلم) ومن كلامه: ما أعظم مصيبة من فاته الله ﷻ انظر ترجمته فى: طبقات الصوفية ص ٣٩، حلية الأولياء (٣٣٦/٨) صفة الصفة (١٨٣/٢) لواقح الأنوار (٨٤/٩) الرسالة القشيرية ص ١٤، وفيات الأعيان (١/١٢) شذرات الذهب (٦٠/٢) البداية والنهاية (٢٩٧/١٠) جامع كرامات الأولياء (٣٦٧/١) الكواكب الدرية (٢٠٨/١) هدية العارفين (٢٣٢/١)

وقال ﷺ: قوت القوم على أربعة أوجه: ١- مباح ٢- وحلال ٣- وطيب ٤- وصاف.
فالمباح: ما كان مستوى الطرفين ما على أخذه عقاب ولا على ما تركه ثواب.
والحلال: ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحد من النساء والرجال.
والطيب: هو ما أخذه العبد بوصف الفناء إذ لا وصف له مع مولاه.
والصافي: هو ما عاينه العبد من المنيع يعنى من عين قدرة الله.

وقال ﷺ: قال الجنيد^(١) أدركت سبعين عارفاً كلهم يعبدون الله على ظن ووهم حتى
أخى أبا يزيد، ولو أدرك صبيّاً من صبياننا لأسلم على يديه، فقال الشيخ: معنى قوله
يعبدون على ظن ووهم لا يريد بذلك ظنا بالمعرفة ووهم فيها، وكيف تجتمع المعرفة والظن
والوهم؟ وإنما المراد أنهم وصلوا مقامات توهموا أن ليس وراءها للموقنين مقاماً، فقال
الجنيد: لو أدرك صبيّاً من صبياننا لأسلم على يديه أى: لانقاد له، فالإسلام هو الانقياد.

وقال ﷺ: فى قوله أبى يزيد^(٢): خطبت بحراً وقف الأنبياء بما حله، إنما يشكوا أبو
يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء، ومراده إن الأنبياء خاضوا بحار
التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض، أى: فلو
كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا، وهذا الذى فسر الشيخ به كلام أبى يزيد، هو اللائق بمقام
أبى يزيد.

(١) سيد الطائفة الجنيد بن محمد البغدادي، من الطبقة الثانية، كنيته: أبو القاسم، ولقبه: القواريري، قال أبو العباس
بن عطاء (إمامنا فى هذا العلم ومرجعنا والمقتدى به الجنيد) وقال الشيخ أبو جعفر الحداد (لو كان العقل رجلاً لكان
الجنيد) قال الجنيد (قال لى سرى السقطي : (عظم الخلق) وكنت مهتما بنفسى، لأنى ما رأيت فى استحقاق هذا
المنصب، حتى رأيت النبی ﷺ فى المنام ليلة الجمعة يقول لى ((تكلم على الناس)) فانتبهت، ذهبت - قبل الصبح -
إلى سرى ودققت الباب، فقال: ما صدقت كلامى، حتى قال لك النبی ﷺ، وفى الصباح جلست فى المجلس،
وابتدأت الكلام حتى اشتهر الخبر عند الناس وقالوا: الجنيد اليوم يتكلم على الناس (فداء شاب من النصارى، فى
لباس المتقين، فوقف طرف المجلس وقال: ايها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ { اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر
بنور الله } رواد أبو نعيم فى الحلية (٢٨٦/١٠) قال الجنيد: ففكرت ساعة، ثم رفعت رأسى وقلت له: أسلم لأنه
جاء، وقت إسلامك، قال الإمام الياقنى: يحسب الناس للجنيد فيه كرامة واحدة، وأنا أقول: للجنيد فيه كرامتان،
إحداهما: إطلاعه على كفره، وثانيهما: إطلاعه على أوان إسلامه. انظر ترجمته فى طبقات الصوفية (١٥٥)، وحلية
الأولياء (٢٥٥/١٠) صفة الصفوة (٢٣٥/٢) لاقح الأنوار (٩٨/١) الرسالة القشيرية ص ٢٤، مرآة الجنان (٢٣١/٢)
(٢) أبو يزيد البسطامي، من الطبقة الأولى، واسمه: طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان، مات سنة إحدى وستون
ومائتين، قيل: كان أبو يزيد إذا قام إلى الصلاة يخرج من صدره قعقة يسمعها من كان قريباً منه، وهذه القعقة من
هيئة الحق وخشيته وتعظيم الشريعة، وقال أبو يزيد عند الموت (إلهى ما ذكرت لك إلا عن غفلة، وما خدمتك إلا عن
فترة) ثم مات، قال أبو موسى: قال اليزيد: (رأيت الله فى المنام فقلت يا ربى ! كيف يكون الطريق إليك؟ قال:
إذا انقطعت عن نفسك وصلت) انظر ترجمته فى: طبقات الصوفية (٦٧) حلية الأولياء (٣٣/١٠) لواقع الأنوار
(٨٩/١) الرسالة القشيرية ص ١٧، صفة الصفوة (٨٨/٤) شذرات الذهب (١٤٣/٢) ميزان الأخيلاق (٤٨١/١)
سير أعلام النبلاء (١٨/١/٩) جامع كرامات الأولياء (٤٩/٢) الأنوار القدسية (٩٧) معجم البلدان (٢٦٣/١)

وقد منا عنه أنه قال: جميع ما أخذ الأولياء مما أخذ الأنبياء كذق ملىء عسلاً، ثم رشحت منه رشحه فما فى بطن الذق للأنبياء، وتلك الرشحة هى للأولياء، والمشهور عن أبى يزيد التعظيم لمراسم الشريعة والقيام بكمال الأدب حتى أنه وصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارته فقعده فى المسجد ينتظره فخرج ذلك الرجل وتنخم فى حائط المسجد فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به، وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة، كيف يؤمن على أسرار الله وما جاء عن الأكابر أولى الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أولناها لما علمناه من استقامتهم وحسن طريقتهم، وقد قال رسول الله ﷺ { لا تظن بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءاً وأنت تجد لها فى الخير محملاً } .

وقال ﷺ: كان الحارث بن أسد المحاسبى^(١) إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه اصبعه، فسأل الشيخ سائل فقال: يا سيدى قد جاء أن الصديق قدم له لبن فأكل منه فوجد كدرته فى قلبه، فقال: من أين لكم هذا اللبن فقال الغلام له: كنت تكهنت لقوم فى الجاهلية فأعطونى ثمن كهانتى، فتقيأه أبو بكر ﷺ ثم قال: والله لو لم يخرج إلا بمصارينى لأخرجتها، فلم يكن على يد الصديق عرق يتحرك عليه إذا قدم له طعام فيه شبهة، والصديق أولى بكل مزية من سائر الأمة وقد وزن بالأمة فرجحهم .

فقال الشيخ: الصديق ﷺ كالوكيل المفوض إليه مطهر من البقايا فلا يحتاج إلى الإشارة والحارث بقيت عليه البقايا، فلذلك الذم الإشارة حتى لا يدخل فى شيء بنفسه وهواه، وأبو بكر ﷺ طهر من النفس والهوى فلا يحتاج إلى الإشارة، واعلم أن من حسن اختيار الله لأبى بكر أن تناول من ذلك اللبن حتى يتكلف طرحه بعد شربه فيثيبه الله على ذلك وأيضاً ليجعله قدوة للعباد، فيقتدى به من أكل طعاماً فيه شبهة ولم يعلم أن الأولى قيئه، وليس لقائل أن يقول قد ضمنه بأكله وقد تناول أو تناوله وهو غير آثم، إذا هو غير عالم، فإن أبى بكر ما سأل عن اللبن إلا حتى وجد له كدرة فى قلبه دل ذلك على أن الحرام أو الشبهة قد يؤثر فى القلب كدرة أو قسوة، وأن لم يعلم به فتناوله وقت تناوله .

(١) الحارث بن أسد المحاسبى، من الطبقة الأولى، وكنيته: أبو عبد الله، وهو من علماء الأصول، وكان جامعاً بين علوم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات، وله مصنفات، وكان استاذ البغداديين، قال الحارث (من صحيح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة وإتباع السنة) الطبقات الصوفية ص ٦٠، وقال أيضاً: (من لم يهذب نفسه بالرياضات لا يفتح له سبيل إلى سنى المقامات) وقيل: إن الحارث المحاسبى ما رقد فى ليل ولا نهار أربعين سنة، وما أسند ظهره إلى جدار، وما جلس إلا على ركبتيه، وسأله: لم تتعصب نفسك؟ فقال (استحي أن أجلس فى مشاهدته إلى على مثل حال العبيد، انظر ترجمته: طبقات الصوفية ص ٥٦، حلية الأولياء (٧٣/١٠) لوائح الأتوار (٨٧/١) طبقات الشافعية (٢٧/٢) الرسالة القشيرية ص ٥١، وفیات الأعيان (١٥٨/١) شذرات الذهب (١٠٢/٢) صفة الصوفة (٢٠٧/٢) جامع كرمات الأولياء (٣٨٧/١)

وهكذا هم أهل التخصيص إن وقع منهم أمر مثل هذا ونحوه فهو من حسن اختيار الله لهم حتى يفتح بهم السبيل للعباد، وكما أن من حسن اختيار الله لآدم أكله من الشجرة بعد أن نهى عنها حتى يتوب من الفعل فيكون قدوة للتائبين وحتى يتعرف الله بحلمه فيعلم أنه أكرم الأكرمين يوقفه على وجود ستره ولطفه فيعلمه أنه اللطيف الخبير بعباده المؤمنين، وليكون أكل الشجرة سبباً في النزول والنزول سبباً في الخلافة .

فلذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمته : أكرم بها معصية أورثه الخلافة، وقال : والله لقد أنزل الله آدم إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله سبحانه ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(١) وقد بسطنا القول في هذا الموضع في كتاب (التنوير) فلا نعيده .

وقال رحمته : إنما بدأ القشيري في رسالته بالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، لأنهما كانا قد تقدم لهما زمن قطيعة، ثم أقبلا فأقبل الله عليهما، فبدأ بذكرهما بسطا لرجاء المريدين الذين كانت قد تقدمت منهم الزلات، وسبقت منهم المخلفات ثم رجعوا إلى استقراع أبواب العناية، إذا لو بدأ بذكر الجنيد وسهل بن عبد الله التستري وعتبة الغلام وأمثالهم ممن نشأ في طريق الله تعالى لقال القائل : ومن يدرك هؤلاء لم تسبق لهم زلات ولم تتقدم منهم المخلفات .

وقال رحمته في الحكاية المشهورة عن سمنون المحب أنه كان ينشد شعراً :

وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاخترني

فابتلى بعلة وهي احتباس البول فتجلد يوماً فزاد الألم، فتجلد الثاني فزاد الألم، فتجلد ثالثاً ورابعاً والألم يزيد، فهو في صبيح اليوم الرابع وإذا بإنسان من أصحابه قد أتاه وقال يا سيدي سمعت البارحة صوتك عند دجلة وأنت تستغيث إلى الله وتسال رفع ما نزل بك فجاءه ثان وثالث ورابع، ولم يكن هو سأل فعلم أنها إشارة من الله له بالسؤال، فصار يدور على صبيان المكاتب ويقول : ادعوا لعمكم بكذا، فقال الشيخ : يرحم الله سمنونا عوض ما قال، فكيف ما شئت، فاخترني، كان يقول : فكيف ما شئت فاعف عني، فطلب العفو أولى من طلب الاختبار .

وقال رحمته : في الحكاية التي ذكرها الأستاذ أبو القاسم القشيري، قال الجنيد : دخلت على السري فوجدته متغيراً، فقلت له : ما بالك يا أستاذ متغيراً، فقال : دخل على

شاب آنفاً فقال لى: ما التوبة؟ فقلت: أن لا تنسى ذنبك، فقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك، فما تقول أنت أبا القاسم؟ فقلت: القول عندى كما قال الشاب ؛ لأنى إذا كنت فى حال الجفاء ثم نقلنى إلى حال الصفاء، فذكر الجفاء وقت الصفاء جفاء .

فقال الشيخ رحمه الله كلام السرى أتم من كلامهما لأن كلام السرى يدل على مبادئ المقامات، وكذلك القدوة ملزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها، وإنما تأتى النهايات من البدايات والجنيد لم يكن فى ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة، وكذلك الشاب فتكلما على أحوال أهل الارتقاء فى نهايتها فكلامهما يخص حالهما وكلام السرى مهيع مورد السالكين، هذا معنى كلام الشيخ .

وقال رحمه الله فى قول بعضهم لا يكون الصوفى صوفياً حتى لا يكتب له صاحب الشمال شيئاً عشرين سنة، ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة، ولكن معناه إذا أذنب استغفر منه والملك الموكل لا يكتب السيئة حتى ينتظر العبد لعل أن يرجع أو يتوب، وكلما أراد أن يكتبها قال له ملك اليمين: لا تكتب فعسى أن يتوب إلى أن يبلغ عدداً، إما لسبع وإما لعشر، الشك منى فحينئذ يكتبها سيئة ، فلذلك جاء صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال .



الباب الثامن

فى كلامه فى الحقائق والمقامات وكشفه فيها للأمور المضلات

قال ﷺ: الشوق على قسمين: شوق على الغيبة لا يسكن إلا بقاء الحبيب وهو شوق النفوس، وشوق على الحضور والمعينة، فإذا رفعك إلى محل المحاضرة والشهود المسلوب عن الملل فذاك مقام التعريف إيماناً حقيقياً، وذاك ميدان تنزل أسرار الأزل، فإذا أنزلك إلى محل المشاغرة والجهاد فذاك مقام التكليف المقيد بالعلل وهو الإسلام الخفى ميدان تجلى حقائق الأبدية والمحقق من لا يبالي بأى صفة يكون، لأن صفتك تميل لا أنت والصفة من العين للعين، وهو ظهورك والاسم للسان وهو نطقك .

والاسم حقيقة الوجود والأسرار منزلة عن الوجودية للصدقيه، بالحقائق متجلية، وعن الصفات بالولاية لأهل العلوم الظاهرة عن الاسم بالدليل لأهل السعاية وإليه بالإشارة بقوله ﷺ: يا أبا جحيفة سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء، فالعالم يدلك بالعلم من الأسماء ونهايته الجنة، والحكيم المقرب يحملك باليقين وبالحقائق من الصفات ونهايته منازل القرية، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾^(١) والكبير يدلك بالأسرار من الوجود عل كبير الصفاء والنزاعة ونهايته الله .

وتجتمع المراتب الثلاث فى الكبير، فيحمل قوماً بالعلم وقوماً بالحقائق وقوماً بالأسرار وهم الأنبياء وإبدال الرسل وهو البصراء ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^(٢) أى: على معاينة يعاين لكل صنف طريقهم فيحملهم عليها وهى النيابة، وأما هو فقد انفرد بحالة لا تعرف لعظيم قربهِ:

وغنى لى منى قلبى وغنيت كما غنى وكنا حينما كانوا . وكانوا حينما كنا

وقال ﷺ: أوقات العبد أربعة لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية، والله عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه إذا هداه لها ووقفه للقيام بها، ومن كان وقته المعصية فسبيله الاستغفار والتوبة، ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضى رضى النفس عن الشهوات، والصبر مشتق من الاصاب وهو الفرض للسهام، وكذلك الصابر ينصب نفسه

(٢) (يوسف: ١٠٨)

(١) (المائدة: ٣٥)

غرضاً لسهام القضاء، فإن ثبت لها فهو صابر، والصبر ثبات القلب بين يدي الرب، قال ﷺ { من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وعمل فاستغفر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون }^(١) أي: لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا .

وقال ﷺ: الناس على قسمين: قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله، وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله، قال الله ﷻ ﴿يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٢) ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول إليه فصار يطوى مهما نفسه ويسبداً طبعه إلى أن وصل إلى حضرة ربه يصدق على هذا قوله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٣) .

ومن الناس من فجأته عناية الله من غير طلب ولا استعداد، ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤) والأول: حال السالكين، والثاني: حال المجذوبين، فمن كان مبدؤه المعاملة فنهايته المواصله، ومن كان مبدؤه المواصله رد إلى وجود المعاملة، ولا تظن أن المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله فسلكها مسرعاً إلى الله عاجلاً، وكثيراً ما تسمع عند مراجعات المنتسبين للطريق أن السالك أتم من المجذوب لأن السالك عرف الطريق وتوصل إليه، والمجذوب ليس كذلك، وهذا بناء منهم على أن المجذوب لا طريق له، وليس الأمر كما زعموا، فإن المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه، ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه، وإنما فاته متاعها وطول أمدها، والمجذوب كمن طويت له الأرض إلى مكة، والسالك كالسائر إليها على أكوار المطايا .

وقال ﷺ: العارف لا دنيا له لأن دنياه لآخرته، وآخرته لربه .

وقال ﷺ: الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة، والعارف جاء من الآخرة إلى الدنيا .

وقال ﷺ: الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخرة وطنه، والعارف غريب في الآخرة فإنه عند الله، فإن قلت ما معنى الغربة في كلام الشيخ هذا؟ وما معناها في الحديث الوارد { بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء } فاعلم أن الغربة المذكورة في الحديث معناها قلة من يعين على القيام بالحق فيكون القائم به غريباً لفقدان المساعدة وعدم

(١) انظر المعجم الكبير (١٣٨/٧) رقم (٦٦١٣) من حديث سخرية بزيادة في لفظه { ثم سكت فقالوا: يا رسول الله ما له؟ قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر المسقلاني (١١٠/١) رقم (٥٣٢١) وقال ابن حجر: أخرجه الطبراني بسند حسن .

(٣) (المنكيات: ١٩)

(١) (الشورى: ١٣)

(١) (البقرة: ١٠٥)

المعارضة، ولا ينهض القائم حينئذ إلا قوة إيمانه ووفور بقائه، فلذلك قال رسول الله ﷺ
الحديث السابق، يريد الرسول ﷺ لأنهم قاموا بأمر الله في بلاده وعباده حيث تقاعدت
هم الناس عن القيام به .

وأما الغربة في كلام الشيخ فمعناها: أن الزاهد يكشف عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة
موطن قلبه ومعشش روحه، فيكون غريباً في الدنيا، إذا ليست وطناً لقلبه عاين الدار الآخرة
فأخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فاستغرب في هذا
الدار .

وأما العارف: فإنه غريب في الآخرة فإنه كشف له عن صفات معروفة فأخذ قلبه
فيما هنالك فصار غريباً في الآخرة لأن سره مع الله بلا أين، فهؤلاء العباد تصير الحضرة
معشش قلوبهم إليها يأوون وفيها يسكنون، فإن تنزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ
فبالإذن والتمكين والرسوخ في اليقين، فلم ينزلوا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة ولا إلى الحقوق
بسوء الأدب والغفلة، بل كانوا في ذلك كله بآداب الله وآداب رسله وأنبيائه متأدبين، وبما
اقتضى منهم مولاهم عاملين .

وقال ﷺ: الخوف على قسمين: ١ - خوف العامة ٢ - خوف الخاصة .

فخوف العامة: على أجسادهم من النار، وخوف الخاصة على خلعتهم التي كساهم
الله أن تدنس بالمخالفة، ومعنى كلام الشيخ هو: أن العامة لم تنفذ بصائرهم إلى شهود خلع
الحق عليهم من إيمان وإسلام، ومعرفة وتوحيد ومحبة وعلموا أن الله تعالى قد توعد أهل
معصيته بعقوبته فخافوا من الوقوع في المعصية لئلا يكون ذلك سبب وقوع العقوبة بهم فكان
خوفهم إشفافاً على نفوسهم من عقوبة الله .

وأما أهل الخصوصية فأعطاهم الحق من نوره ما أشهدهم به ما كساهم من خلع منه،
فعملوا على صيانتها ليقدموا عليه بها لم تدنس ولم تتغير طاهرة نقية مشرقة بهية، وفهموا
معنى قوله تعالى ﴿ وثيابك فطهر ﴾^(١) فطهروا ملابس إيمانهم وإيقانهم من دنس غفلتهم
وعصيانهم، وفهموا أيضاً قوله تعالى ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سواكم
وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾^(٢) فعبروا الدنيا وقد رفعوا ملابسهم المنن خشية أن
تدنس بأوساخهم كى يقدموا عليه بخلعه التي أنعم الله بها عليهم وينهضوا، له بالوفاء

فيما اقتضى منهم، وبالإمامة والصيانة فيما استأمنهم، وكان بعض العارفين ينشد شعراً:

قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعاً

فقر وصبرهم ثوبان تحتهما قلب يرى ألفه الأعياد والجمعا

العيد لى ماتم إن غبت يا أملى والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به يوم التزاور بالثوب الذى خلّعا

وقال عليه السلام: العامة إذا خافوا أخافوا، وإذا رجوا رجوا، والخاصة متى خافوا رجوا، ومتى رجوا أخافوا، ومعنى كلام الشيخ هذا أن العامة واقفون مع ظواهر الأمر، فإذا خافوا خافوا إذا ليس لهم نفوذ إلى ما وراء خوفهم، وما به خوفوا أوصاف المرجو الذى لا ينبغي أن يقنط من رحمته ولا أن يؤنس من منته، فاحتالوا على أوصاف كرمه علماً منهم أنه ما خوفهم إلا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك إليه، وإذا رجوا أخافوا يخافون غيب مشيئته الذى هو من وراء رجالهم وخافوا أن يكون ما أظهر من الرجاء اختبار لعقولهم هل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفذ إلى ما بطن فى مشيئته، فلذلك استثار الرجاء خوفهم فى القبض والبسط، كما قال الشيخ فى الخوف والرجاء، غير أن البسط مذلة أقدام الرجاء فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجأهم، قال بعضهم: فتح لى باب من البسط فانبسطت، فحجبت عن مقامى ثلاثون سنة .

وكان الشيخ أبو العباس عليه السلام ينشد شعراً:

واقطع السير إليه وميلاً فإذا ما نلت منه وصولاً

فأفرع الباب قليلاً قليلاً واحذر البسط ونادى يا مجيب

من على بعد ينادى من قريب

فقوله: واحذر البسط لما قدمناه فإنه رزق من الأنوار بسط فيخش على العبد أن يبغيه وجوده، قال الله سبحانه ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

والقبض أقرب إلى وجود السلامة لأنه وطن العبد إذا هو فى أسر قبضة الله وإحاطة الحق محيطه به، ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه؟ والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار إذا هى وطن التكليف وإبهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى .

(١) (الشورى: ٢٧)

وأخبرني بعض الصوفية قال: رأى شيخنا شيخه في المنام بعد موته مقبوضاً فقال له: يا أستاذ مالك مقبوضاً؟ قال له: يا بني القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا وفهما في الآخرة، وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط، وقوله من على بعد، أي: بعد شهود عدم استحقاق الإجابة أو من على بعد من دعوى لا صاف الربوبية أو من على بعد بوجود شهود الإساءة .

وقال الشيخ أبو الحسن: ما طلبت من الله حاجة إلا قطعت إساءتي أمامي، فإن قلت فحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحطت عليهم صخرة فسدت باب الغار، فقالوا ليذكر كل واحد منكم أرجى عمله، ذكر أحدهم بره بأبويه، والآخر عفاه عن ابنة عمه مع حبه إياها. والتمكن منها، وذكر الآخر تشميره لأجر أجير إلا أجره، فلما وجده دفع ذلك كله إليه فكشف الله ما أنزل بهم وزالت الصخرة عن فم الغار فخرجوا، وهذا معنى الحديث مختصراً رواه مسلم والبخاري في صحيحيهما وغيرهم من الأئمة .

فاعلم أن هؤلاء الثلاثة لم يذكر طاعتهم إلا وقد شهدوها فضلاً من الله عليهم فتوسلوا إلى نعمته كما أخبر الله عن ذكرها بقوله تعالى ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾^(١) فتوسل إلى الله بسابق حسن عوائده فيه .

وسألت امرأة بعض الملوك فقالت: إنك أحملت إلينا أول عام، ونحن محتاجون إلى إحسانك إلينا العام، فقال: أهلا عن توسل لإحساننا بإحساننا وأعطاها وأجزل لها العطاء، ومن فتح له هذا الباب جاز له الإخبار بطاعته ووجود معاملته لأنه حينئذ يتحدث بنعم الله سبحانه .

وقد كان بعض السلف فيقول: صليت البارحة كذا كذا ركعة وتلوت كذا كذا سورة، فيقال له: أما تخشى من الرياء؟ فيقول: ويحكم وهل رأيت من يراني بفعل غيره وكان يفعل مثل ذلك، فيقال له: لما لا تكتم ذلك؟ فيقول: ألم يقل الحق سبحانه ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٢) وأنتم تقولون لا تحدث .

وقال ﷺ: كان الإنسان بعد أن لم يكن وسيفنى بعد أن كان من كلا طرفيه عدم فهو عدم، ومعنى كلام الشيخ هذا: أن الكائنات لا يثبت لها رتبة الوجود المطلق، لأن الوجود الحق إنما هو لله وله الأحدية فيه، وإنما للعوام الوجود من حيث أثبت لها، فاعلم أن من

(٢) (الضحى: ١١)

(١) (مريم: ٤)

الوجود له من غيره، فالعدم وصفه في نفسه .

وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمته الله: الصوفى من يرى الخلق لا موجودين ولا معدمين، حسب ما هم فى علم رب العالمين .

وقال أيضاً: وقد تقدم إننا لا نرى أحد من الخلق هل فى الوجود أحد سوى الملك الحق، وإن كان لا بد فكالهباء فى الهواء، إن فتشته لم تجد شيئاً، وفى كتاب الحكم من كلامنا العوالم ثابتة بإثباته، محوأة لأحدية ذاته .

وقال الشيخ أبو الحسن رحمته الله: كان لى صاحب كثيراً ما يأتينى بالتوحيد، فقلت له: إن أردت التى لا لوم فيها فليكن الفرق على لسانك موجوداً والجمع فى باطنك مشهوداً، وأشبه شىء بوجود الكائنات إذا نظرت إليها بعين البصيرة وجود الظلال، والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود، ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم، وإذا ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر، إذا الشىء إنما يشنع بمثله ويضم إلى شكله كذلك أيضاً من شهد ظلية الآثار لم تعوقه عن الله، فإن ظلال الأشجار فى الأنهار لا تعوق السفن عن التسيار، ومن هاهنا يتبين لك أيضاً أن الحجاب ليس أمراً وجودياً بينك وبين الله، ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى للزم أن يكون أقرب إليك منه لا شىء أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهم الحجاب، فما حببك عن الله وجود موجود معه، إذ لا موجود معه، وإنما حببك عنه توهم وجود معه، وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البراز فسمع صوت الريح فى كوة هناك فظنه زئير الأسد فمنعه ذلك عن البراز، فلما أصبح لم يجد هناك أسداً، وإنما الريح تكثف فى تلك الكوة، فما حجبته وجود أسد وإنما حجبته توهم الأسد .

وسمعه يقول: لو عذب الله الخلق أجمع لم ينالك من عذابهم شىء ولو نعمهم أجمع لم ينالك من نعمهم شىء، فكانك فى الوجود وحدك، ثم أنشد شعراً:
أنت المخاطب أيها الإنسان فاجنح إلى يلح لك البرهان

وسمعه يقول دخلت على الشيخ وفى نفسى أن آكل الخشن وألبس الخشن، فقال لى: يا أبا العباس أعرف الله وكن كيف شئت .

ودخل على الشيخ أبى الحسن فقيراً عليه ملابس شعر، فلما فرغ الشيخ من كلامه دنا من الشيخ وأمسك ملابسه وقال: يا سيدى ما عبد الله بهذا اللباس الذى عليك، فأمسك الشيخ ملابسه فوجد خشونته وقال: ولا عبد الله بهذا اللباس الذى عليك، لباسى أنا غنى

عنكم فلا تعطوني، ولباسك يقول أنا فقير إليكم فأعطوني، وهكذا طريق الشيخ أبي العباس عليه السلام وشيخه أبي الحسن، وطريقة أصحابهما الإعراض عن لبس ثرى ينادى على سر اللابس بالإفشاء ويفصح عن طريقه بالإبداء، ومن لبس الزى فقد ادعى .

ولا تفهم، رحمك الله، أنا نعتت بهذا القول على من لبس نرى الفقراء، بل قصدنا إنه لا يلزم كل من كان له نصيب مما للقول أن يلبس ملابس الفقراء، فلا حرج على اللابس ولا على غير اللابس إذا كان من المحسنين ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ^(١) وأما لبس اللباس اللين وأكل الطعام الشهى وشرب الماء البارد فليس القصد إليه بالذی يوجب العتب من الله إذا كان معه الشكر لله .

وقد قال الشيخ أبو الحسن: يا بني برد الماء، فإنك إن شربت الماء الساخن فقلت الحمد لله، تقولها بكزاة، وإذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله استجاب كل عضو فيك بالحمد لله، والأصل في هذا قوله عليه السلام حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ ^(٢) ألا ترى كيف تولى إلى الظل قصد الشكر لله على ما يناله من النعمة .

وسمعه يقول: اختلف الناس في اشتقاق كلمة الصوفى، فمنهم من قال هو منسوب إلى الصوف لأنه لباس الصالحين، وقيل هو منسوب إلى الصفة يعنى: صفة مسجد رسول الله عليه السلام التى نسب إليها أهل الصفة وهو نسب على غير قياس، ثم قال: وأحسن ما قيل فيه أنه منسوب لفعل الله به أى: صفاه الله فصوفى، فسمى صوفياً، ثم أنشد شعراً تخالف الناس فى الصوف واختلفا وكلهما قال قولاً غير معروف ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافى فصوفى حتى سمي الصوفى

وسمعه يقول الصوفى مركب من حروف أربعة الصاد والواو والفاء والياء، فالصاد: صبره وصدقه وصفاءه، والواو: وجده ووده، والفاء: فقده وفقره وفناؤه، والياء: ياء النسبة إذا تكمل فيه ذلك أضيف إلى حضرة موله .

وسألته عليه السلام عن قول عيسى عليه السلام ((يا بني إسرائيل بحق أقول لكم لا يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين)) فقال عليه السلام: أنا والله ممن ولد مرتين، الإيلاد الأول إيلاد الطبيعة، والإيلاد الثانى إيلاد الروح فى سماء المعارف .

وسمعه يقول: ولن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى

وقال الشيخ أبو الحسن: ولن يصل الولي إلى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته، ومعنى كلام الشيخ أنه لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله، أي: انقطاع أدب لا انقطاع ملل يغلب عليه التفويض إلى الله، وشهود حسن الاختيار منه فيلقى القياد إليه، ويترك نفسه سلباً بين يديه، فلا يختار مع مولاه شيئاً لعلمه بما في الاختيار مع الله من الآفات، ولنا في هذا المعنى من قصيدة ذكرناها في كتاب (التنوير):

وكن عبده والقي القياد لحكمه	وإياك تدبيراً فما هو نافع
أتحكم تدبيراً وبغيرك حاكماً	وأنت لأحكام الإله تنازع
فمحو ارادات وكل مشته	هو الغرض الأقصى فهل أنت سامع
كذلك سار الأولون فأدركوا	على أثرهم فليس من هو تابع

وقال ﷺ: اعلم أن الله خلق الآدمي وقسمه على ثلاثة أجزاء: لسانه جزء، وجوارحه جزء، وقلبه جزء، وجعل على كل جزء حفيظاً، فقال تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١) وقال سبحانه ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾^(٢) وتولى حفظ القلب بنفسه فقال جل شأنه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾^(٣) وسلط على الجوارح الشيطان، واقتضى من كل جزء وفاء ما ألزم به، فوفاء القلب: أن لا ينشغل بهم الدنيا ولا بمكر ولا حسد، ووفاء اللسان: أن لا يغتاب ولا يكذب. ولا يتكلم إلا بما يعنيه، ووفاء الجوارح: أن لا يسارع بها إلى معصية ولا يؤذى أحد من المسلمين، فمن وقع من قلبه فهو منافق، ومن وقع من لسانه فهو كافر، ومن وقع من جوارحه فهو عاص.

وقال ﷺ: صلاح العبد في ثلاثة أشياء: معرفة الله، ومعرفة النفس، ومعرفة الدنيا، فمن عرف الله خاف منه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف النفس تواضع لعباد الله.

وقال ﷺ: قال لي شيخى: لا تصحب إلا من يكون فيه أربع خصال: الجود في القلة، والصفا عن الظلمة، والصبر على البلية، والرضى بالقضية.

وقال ﷺ: من اشترى زيتاً من بيع، فلما فرغ قال: زدنى قليلاً فزاده البيع خيطاً من زيت، فدينه أرق من ذلك الخيط، ومن اشترى فحماً فلما فرغ قال: زدنى فزاده: فقلبه أسود من تلك الفحمة .

قال ﷺ: الناس على ثلاثة أقسام: قوم غلبت حسناتهم سيئاتهم فهم في الجنة قطعاً، وقوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلا يدخلون النار قطعاً، وقوم غلبت سيئاتهم على حسناتهم فلا يخلدون في النار قطعاً .

وقال ﷺ: الدخول في الجنة بالإيمان، والخلود فيها بالنية، والدرجات فيها بالأعمال، والدخول في النار بالشرك، والخلود فيها بالنية، والدرجات فيها بالأعمال .

وقال ﷺ: لا يدخل على الله إلا من باين من باب الفناء الأكبر وهو الموت الطبيعي، أو من باب الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة .

وقال ﷺ: الكائنات على أربعة أقسام: جسم كثيف، وجسم لطيف، وروح شفاف، وسر غريب، فالجسم الكثيف بمجرد إنسان، والجسم اللطيف بمجرد جان، والروح الشفافة بمجرد ملك، والسر الغريب هو معنى المسجود له، فالأدنى بظاهر صورته جماد، وبوجود نفسه وتخليها وتشكلها جان، وبوجود روحه ملك، وأعطى زائداً على ذلك السر الغريب، فلذلك استحق أن يكون خليفة .

وقال ﷺ: ليس العجب ممن تاه في نصف ميل أربعين سنة، إنما العجب ممن تاه في مقدار شبر ستين أو سبعين سنة وهي البطن .

وقال ﷺ: الأدنى يشرف على الأعلى ولا يحيط به والأعلى يحيط بالأدنى، فالأولياء لهم أشراف على مقامات الأنبياء، وما لهم الإحاطة بمقاماتهم، والأنبياء يحيطون بمقامات الأولياء .

وقال ﷺ: في قوله بعض السلف [لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً]، أي: لو كشف الغطاء للنفس لم أزد يقيناً فيما طالعه القلب .

وقال ﷺ: جميع أسماء الله تعالى إذا أسقطت منه حرفاً أذهبت دلالة على الله كالعليم والقادر والرحيم وغير ذلك من أسمائه الحسنى، إلا اسمه الله فإنك إذا أسقطت الألف بقي (لله) وإذا أسقطت اللام الأولى بقي (له) وإذا أسقطت اللام الثانية بقي (هو)

(وهو النهاية فى الإشارة، وأنشد الحسين بن منصور الحلاج شعراً:

أحرف أربع بها هام قلبى وتلاشت بها همومى وفكرى

ألف ألف الخلاق بالصنع ثم لام على الملامة تجرى

ثم لام زيادة فى المعانى ثم هاء بها أهيم تدرى

وقال عليه السلام: كشف لى عن أرواح الصديقين صاعدة نحو المأ الأعلى فإذا (على) يقال لى:

وما جنبت خيلى ولكن تذكرت مرايضها من ير تعيض ومبصرأ

أى: أنها ما فرت جنبأ من الخلق ولكنها تذكرت أوطان تعريف .

وقال عليه السلام: الوحى إلقاء معنى فى خفاء .

وقال عليه السلام: جميع أسماء الله للتخلق إلا اسمه الله، فإنه للتعلق، ومعنى كلام الشيخ

هذا: إنك إذا ناديت يا حليم خاطبك من اسمه الحليم أنا الحليم فكن عبداً حليماً، وإذا

ناديته من اسمه الكريم ناداك من اسمه الكريم: أنا الكريم فكن عبداً كريماً، وكذلك فى

سائر أسمائه إلا اسم الله فإنه للتعلق فحسب إذ مضمونه الإلهية، والإلهية لا يتخلق بها أصلاً .

وقال عليه السلام: السماء عندنا كالسقف والأرض كالبيت، وليس الرجل عندنا من يحصره

هذا البيت .

وقال عليه السلام: نحن فى الدنيا بأبداننا مع وجود أرواحنا، وسنكون فى الآخرة بأرواحنا

مع وجود أبداننا، وسمته يقول: الفرق بين معصية المؤمن ومعصية الفاجر من ثلاثة وجوه:

المؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها، ولا يفرح بها وقت الفعل، ولا يصر عليها بعد الفعل،

والفاجر ليس كذلك .

وقال عليه السلام لبعض أصحابه: ليكن ذكرك الله فإن هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساط

وثمره وبساطه العلم وثمرته النور ثم النور ليس مقصوداً لنفسه، وإنما يقع الكشف والعيان .

وجاءه رجل فقيل له: يا سيدى هذا فتى، فقال: الشيخ: أنت فتى؟ قال: نعم .

فقال الشيخ: ما تدرى ما الفتوة، لبيست الفتوة الماء والملح وإنما الفتوة الإيمان والهداية،

قال عليه السلام: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ^(١) والفتى كما قال الله عن إبراهيم

﴿ سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ فسمى فتى لأنه كسر الأصنام، فهو فتى الخليل عليه السلام وجد أصناماً حسية فكسرها، وأنت لك أصنام معنوية فإن كسرتها كنت فتى ولك أصنام خمسة: النفس، والهوى، والشيطان، والشهوة، والدنيا، فإن كسرتها فأنت الفتى، وافهم هاهنا لا سيف إلاذى الفقار، ولا فتى إلا (على) .

وسئل رحمه الله: لم بدأ صاحب الرسالة إبراهيم بن أدهم دون غيره، وربما كان غيره متقدماً عليه فى التاريخ؟ فقال الشيخ رحمه الله: لأن إبراهيم كان من ملوك الدنيا، فأصبح وهو كذلك فجاء وقت الظهر وهو من كبار الأولياء، فبدأ به صاحب الرسالة ليعلم أن فضل الله ليس بعمل .

وقال رحمه الله: عبد هو فى الحال بالحال، وعبد هو فى الحال بالمحول، فالذى هو فى الحال بالحال: عبد الحال، والذى هو فى الحال بالمحول: عبد المحول، وإمارة من هو فى الحال بالحال أن يأسي عليها إذا فقدتها ويفرح بها إذا وجدها، والذى هو فى الحال بالمحول لا يفرح إذا وجدت ولا يحزن عليها إذا فقدت، ومعنى كلام الشيخ هذا: أن من تحقق بالله ملك الأشياء ولم تملكه فيصير الحال قهر تصريفه، وإنما يكون ذلك الرجل لرسوخه فى العلم بالله، والعلم حاكم على الحال وبه يوزن، والحال إنما هو فرع من فروع العلم، والعلم قار ثابت، والحال لا بقاء لها ولذلك قالوا:

لو لم تحل ما سميت حالاً وكلما حال فقد زالا

انظر إلى الظل إذا ما انتهى يأخذ فى النقص إذا مالا

والأكابر ملكهم الله أحوالهم وجعلهم حاكمين عليها، ومن هنا لما قيل للجنيدي رحمه الله: ما لنا نرى المشايخ يتحركون فى السماع وأنت لا تتحرك، فقال ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ ثَمَرٌ مِّمَّ السَّحَابِ ﴾^(١) وقيل لبعضهم: مالك لا تتحرك فى السماع، فقال: إنه إذا كان فى الجمع كبير احتشمت منه فأمسكت على وجدى، فإذا خلوت وحدى أرسلت على وجدى فتواجدت . فانظر كيف كان زمام حاله يمسكها إذا شاء ويطلقها إذا اتسع القلب بمعرفة الله غرقت فيه الواردات، وإنما يبدأ أثر الحال على من ضاق عن وسعها، والعارف له وسع المعرفة، فإذا ورد الوارد عليه غرق فى وسع معرفته وهل رأيت بحراً فاض بمطر سحب، ولهذا جهلت أحوال الأكابر أرباب المقامات، واشتهر أهل الأحوال لظهور

أثار المواهب عليهم لضعفهم عن كتمها ولضيقهم عن وسعها، فربما كان صاحب الحال أحظى بإقبال الخلق من صاحب المقام، وبينه وبينه مثل ما بين السموات والأرض، وكلما تمكن الرجل في العلوم الإلهية والمعارف الربانية استغرب في هذا العالم فيقال: من يعرفه ويفقد من يحيط فيصفه .

وقال رحمه الله: كل سوء أدب يثمر لك أدبا فهو أدب .

وقال رحمه الله: المؤمن لا يرضى عن نفسه بالخير إذا كان فيه لأن فوق الخير خيرات أتراه يرضى بالشر .

وقال رحمه الله: كان الجنيد قطباً في العلم، وكان سهل بن عبد الله التستري قطباً في المقام، وكان أبو يزيد البسطامي قطباً في الحال .

وقال رحمه الله: اللطف حجاباً عن اللطيف، ومعنى كلام الشيخ هذا: أن اللطف إذا ورد كان في الدائر النفسانية تلقته النفس بالبشاشة والفرح، وإذا كان في الدائرة المعنوية تلقته الروح بالمحبة والمتعة، ويقع الميل ويكون عن الميل السكون، ويكون مع السكون الأنس بالمسكون، أي: والله لا يحب لك أن تسكن لغيره ولا أن تأنس بشيء دونه . فلذلك قال الشيخ: اللطف حجاب عن اللطيف إلى السكران إليه والإقامة عنده، وهذا كما تقدم عن الشيخ أبي الحسن أنه دخل على بعض الرجال فقال له: كيف حالك؟ فقال: أشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم، كما تشكو إليه من حر التدبير والاختيار، فقال له الشيخ: أما شكوى من حر التدبير والاختيار فقد ذقته، وأما شكواك من برد الرضى والتسليم فكيف؟ فقال: أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله .

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام يا موسى نعم العبد نوح لولا أنه يسكن لنسيم الأسحار ومن عرفنى لا يسكن لغيرى .

وكان عندنا بالأسكندرية امرأة عارفة بالله أخبرتنى أنها سمعت يقال لها: أعوذ بك من النور وفتنته ومن الغيب وتلقنه، وأخبرتني أيضاً قالت: كنت أمشى بالأسكندرية وإذا بناس فى لهوهم وطربهم، فقلت فى نفسى هؤلاء فى فرح ومسرة وحكم الله من ورائهم ونحن فى مقاساة النوازل وقهر الأحكام، فإذا (على) يقال لى: ليس الحضرة والأدب كأهل الطيبة والطرب .

وأخبرتني أيضاً قالت: كنت إذا كنت فى حضرة أو موقف وأرادنى زوجى ليقضى إربه لا أمنعه ولا يستطيع ذلك كلما أراد منى أمراً عجز عنه حتى يضيق خلقه ويقول: ما

هذه إلا حسرة، هذه الشابة فى حسنها بين يدي لا تمتنع عنى ولا أصل إليها، فتقول له: فى ذلك الوقت من هو الرجل فىنا ومن هى المرأة فىنا، ثم قالت: إذا كان وقت ستر أمكنه ما يريد .

وقال الواسطى: استحلاء الطاعات سموم قاتلة، وصدق ﷺ، وأقل: ما فى ذلك أنك إذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قائماً فيها متطلباً لحلاوتها فيفوتها صدق الإخلاص فى نهوضك لها وتحث دوامها لا قياماً بالوفاء ولكن لما وجدت فيها من الحلاوة والمتعة، فتكون فى الظاهر قائماً لله وفى الباطن إنما قمت لحظ نفسك، ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته فى الدنيا، فتأتى يوم القيامة ولا جزاء لك .

وقال ﷺ: لما قرأت عليه كتاب (الحقائق للسلمى) فقال فيه: انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة، فقال الشيخ عن الشيخ أبى الحسن ﷺ: ولا حيرة عند المحققين فيما فيه الحيرة عند المؤمنين .

وقال ﷺ: الناس على ثلاثة أقسام: عبد وهو بشهود ما منه إلى الله، وعبد هو بشهود ما من الله إليه، وعبد وهو بشهود ما من الله إلى الله، ومعنى كلام الشيخ هذا: أن من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره وإساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدى الله تعالى وتلازمه الأحزان وتحالفه الأشجان ويستولى عليه الكمد كلما بدت منه سيئة أو كشف له من نفسه عن أوصاف سوء، وعبد آخر الغالب عليه شهود ما من الله إليه من الفضل والإحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله، قال الله ﷻ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قَبِذْكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾^(١) فالأول هو حال الزهاد والعباد، والثانى حال أهل العناية والوداد، الأول شأن أهل التكليف، والثانى شأن أهل التعريف، الأول حال أهل اليقظة، والثانى حال أهل المعرفة، فلذلك قال الشيخ أبو الحسن: العارف من غرق شدائد الزمان فى الألفاف الجارية من الله عليه، وغرق إساءته فى إحسان الله إليه . قال تعالى ﴿ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢).

وقال أيضاً قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثير العمل مع رؤية التقصير من النفس، وقال بعض أهل المعرفة: لا يخلوا شهود التقصير من الشرك فى التقدير، وقال الشيخ أبو الحسن قرأت ليلة من الليالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾^(٣) حتى ختمتها فقليل

لى: شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك، ينسبك الطاقة الحسنة ويذكرك أفعالك السيئة، ويقبل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عند حسن الظن بالله ورسوله إلى سوء الظن بالله ورسوله، فاحذر هذا الباب، فقد أخذ منه كثير من الزهاد والعباد وأهل الجد والاجتهاد، ولذلك قل أن تجد الزاهد والعابد لا مكبوداً حزيناً لأنه علم أن الله طالبه بالعبودية وحمله أعباءها وألزمه ما أشققت السموات والأرض والجبال من حمله، قال الله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(١)

فعاين الزهاد ثقل ما حملوه ولم ينفذوا إلى شهود لطف الله الحامل للأنثقال عن عباده المستوكلين عليه، فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن وأهل المعرفة، بالله علموا أنهم حملوا من التكليف أمراً عظيماً، وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا إلى نفوسهم قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾^(٢) وعلموا أنهم إذا رجعوا إلى الله حمل عنهم ما حملهم، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾^(٣).

فرجعوا إليه بصدق الرجعى فحمل الأنثقال عنهم فساروا إلى الله محمولين فى محفات المنن عليهم بنفحات اللطف والآخرون ساروا إلى الله لأثقال التكليف حاملين تلازمهم المشقات وتطول بهم المسافات فإذا شاء أدركهم بلطفه فأخذ بأيديهم من شهود معاملتهم إلى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم الأوقات وأشرقت فيهم العناية .

وأما القسم الثالث وهم الذين مع الله بشهود ما من الله إلى الله: فهؤلاء هم أهل التوحيد والداخلون إلى ميادين التفريد رأوا أهل القسم الأول، وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم إلى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وإن خرجوا عن ظاهره لأنهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم وإساءتهم، فلو لم يشهدوا الفعل لها أو منها ما توجهوا لها بالتوبيخ إذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذى سبق قوله: لا يخلو شهود التقصير من الشرك فى التقدير، فإن قلت إذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دققة شرك فكيف تصنع؟ والله قل ذم النفس وأمرنا بتوبيخها إذا قصرت ووبخها هو إذا كانت كذلك.

فالجواب: أن ذمها لأن الله تعالى أمرك بذمها من غير أن تشهد لها قدرة أو تضيف إليها فعلاً تراها هى الفاعلة له، وأما القسم الثانى وهو الذى بشهود ما من الله إليه: فهو

وإن كان خيراً من القسم الأول لكنه ما سلم من إثبات لنفسه إذا رأى نفسه مهداة آتيتها هدايا الحق، فلولا إثباته لنفسه ما شهد ذلك، فلأجل هذين المعنيين أثر أهل الله القسم الثالث وهو أن يكون بشهود ما من الله إلى الله، فافهم .

وقال ﷺ: العارف إذا خوف خاف، قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ ففررت منكم لما خفتكم ﴾ ^(١) يريد الشيخ ﷺ أن العارف لا يقطعه نظره إلى فضل الله عن شهود عدله ولا يحجبه شهود لطفه عن خوف ما بطن في مشيئته . ويجب أن تعلم أن أهل المعرفة في نهايتهم ربما التبس حالهم بأهل البدايات في بداياتها، فإن المرید في مبدأ إرادته تؤثر فيه المخاوف لعدم استيلاء سلطان الحقيقة عليه، فإذا تحقق فناؤه لم تؤثر فيه الواردات ولم يدخل تحت حكم العادات، فإذا رد إلى حالة البقاء أثرت الأشياء فيه كحاله في بدايته لقوله تعالى ﴿ منها خلَقْنَاكُمْ وفيها نُعِيدُكُمْ ﴾ ^(٢)

فنجد المرید يخوف، فيخاف، والعارف يخوف فيخاف وليسوا وإن استويا في الظاهر سواء، فخوف المرید لأجل حجته، وخوف العارف لكمال معرفته، ومن هنا لا نفضل عبداً واثقاً بلطفه ومنته على خائف من غيب مشيئته، وكذلك لا نفضل عبداً وقف مع ظاهر الوعد على عبد رد إلى وجود الأزلية فاقتطع عن الوقوف مع الوعد الجميل والنعيم ورد إلى ما سبق في القدم .

وقد جاء أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر ورفع يديه إلى السماء { اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد } ^(٣) وما زال يناشد ربه حتى سقط الرداء عن منكبيه، فقال أبو بكر ﷺ [يكفيك مناشدتك لربك يا رسول الله فإنه منجز لك ما وعدك] فالرسول ﷺ علمه بالله كان بشهود المشيئة، وأبو بكر كان بشهود الوعد الجميل، فالرسول ﷺ علم ما علمه أبو بكر من الوعد الجميل، كيف والوعد إنما وصل لأبي بكر على يد رسول الله ﷺ غير أنه سلك الله به المسلك الأتم من الرجوع إلى المشيئة التي لا تتوقف على شيء، ويتوقف عليها كل شيء .

(٢) (طه : ٥٥)

(١) (الشعراء : ٢١)

(٣) أخرجه ابن حجر في الفتح (٤٣٦/٦) رقم (٣٢٢١) ومسلم في صحيحه (١٣٨٣/٣) رقم (١٧٦٣) والجامع الصحيح سنن الترمذی (٢٦٩/٥) رقم (٣٠٨١) والسنن الكبرى (١٨٧/٥) رقم (٢٦٢٨) بزيادة: { التفت إلينا وكان شقة وجهه القمر فقال هذه مصارع القوم العشية } وانظر المعجم الكبير (١٤٧/١٠) رقم (١٠٢٧٠) والمنتخب من مسند عبد بن حميد ص ٤١ رقم (٣١) وتذكرة الحفاظ (٤٥٢/٢) رقم (٤٧٩٣) وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١١٤/١١) رقم (٤٧٩٣) والإصابة في تمييز الصحابة (٢٩٨/٢) والفتاوى (١٣١/١) .

وقال ﷺ: ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة أو غيرها من البلدان، إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه، فإذا هو عند ربه .

وقال ﷺ عن شيخه: خرج الزهاد والعباد من هذه الدار وقلوبهم مقفلة عن الله .

وقال ﷺ عن شيخه: من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مصراً على الكبائر وهو لا يعلم .

وسمعه يقول عن شيخه: كل شيء نهاك الله عنه فهو شجرة آدم، لما أكل من الشجرة نزل إلى الأرض للخلافة، وأنت إذا أكلت من شجرة النهى تنزل، لماذا تنزل إلى الأرض القطعية .

وقال ﷺ: كان ببلاد المغرب ولي من الأولياء يتكلم على الناس، وكان بادياً، فجلس يوماً يتكلم على الناس، فقال له رجل مكشوف الرأس: كبيرنا هذا يزهنا في الدنيا وهو كالدب، فكوشف به الشيخ فقال من فوق المنبر: يا أبا رويس ما سمعتي الأحبة ثم أنشد شعراً:

وَقَاتِلْ لَسْتَ بِالْمَحَبِّ وَلَوْ	كُنْتُ مُحِبًّا لَذَبْتُ مَذْزَمَنَ
أَحْبَبْتَهُ وَالْفُؤَادَ فِى حَرِّ	لَمْ تَذُقِ الْحَبَّ كَيْفَ تَعْرِفَنِى
أَحَبَّ قَلْبِى وَمَا دَرَى بَدْنِى	وَلَوْ دَرَى مَا أَقَامَ فِى السَّمَنِ

وقال ﷺ: عزم إنسان على الشيخ أبى الحسن ﷺ فأتى إليه وأصحابه معه، فلما أكلنا عزمنا على الخروج ولم نشرب فقال: يا بخلاء من بخل الصوفى أن يأكل ولا يشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ { من سقى مؤمناً شربة ماء مع وجود الماء كان كمن أعتق سبعين من ولد إسماعيل } ثم قال الشيخ: إذا أكلتم طعام إنسان فاشربوا عنده حتى ينال هذا الأجر العظيم .

قال ﷺ: دخلت يوماً على الشيخ أبى الحسن ﷺ فقال: إن أردت أن تكون من أصحابى فلا تسأل أحداً، وإن أتاك شيء من غير المسألة فلا تقبله، فقلت فى نفسى: كان النبى ﷺ : يقبل، وقال: ما أتاك غير مسألة فخذ، فقال الشيخ: كأنك تقول كان النبى ﷺ يقبل الهدية، وقال: ما أتاك من غير مسألة فخذ، النبى ﷺ قال الله فى حقه ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾^(١) متى أوحى الله إليك إن كنت مقتدياً به فى الأخذ فكن مقتدياً به

(١) (الأنبياء: ٤٥)

كيف تأخذ، كان النبي ﷺ لا يأخذ شيئاً إلا ليثيب من يعطيه ويعوضه عليه، فإن تطهرت نفسك وتقدسست فاقبل وإلا فلا، وقال لبعض أصحابه: لم تنقطع عني؟ فقال: يا سيدي استغفرت بك، فقال الشيخ رحمه الله: ما استغنى أحد بأحد، ما استغنى أبو بكر رحمه الله بالنبي ﷺ ولم ينقطع عنه يوماً واحداً .

وقال رحمه الله: إن الله لما خلق الأرض اضطربت فأرساها بالجبال قال الله ﷻ ﴿ والجبال أرساها ﴾^(١) كذلك لما خلق الله النفس اضطربت فأرساها بجبال العقل .

وقال رحمه الله عن شيخه: الوقت ليل والشأن في الليل الخمود والسكون حتى تطلع شمس المعرفة ، أو قمر التوحيد أو نجوم العلم فيستضاء بها .

وقال رحمه الله: يقول الله ﷻ ﴿ ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغل بما هو لك عن أنت له ﴾

وقال رحمه الله: الأكوان كلها عبيد مسخرة وأنت عبد الحضرة، وسمعته يقول: حقيقة النية عدم غير المنوى .

وسمعته يقول: قال عيسى عليه السلام ((يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء فمن ينزل به ولا في الأرض فمن يصعد به تأدبوا بآداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق النبيين أنبئ لكم العلم من قلوبكم ما يغمركم ويغطيكم)) .

وقال رحمه الله: نحن إذا أتانا مريد يملأه شيء من الدنيا لا نقول له اخرج عن دنياك وتعال، ولكن ندعه حتى تترشح فيه أنوار المنة فيكون هو الخارج عن الخارج عن الدنيا بنفسه، ومثل ذلك قوم ركبوا سفينة فقال لهم رئيسها غداً تهب ريح شديدة ولا ينجيكم منها إلا أن ترموا بعض أمتعتكم، فارموا بها الآن فلا يسمع أحد قوله، فإذا هبت العواصف كان الكيس من يرمى متاعه بنفسه، كذلك إذا هبت عواصف اليقين يكون المريد هو الخارج عن الدنيا بنفسه .

وكان يحكى عن الشيخ عبد الرازق الولي الكبير رحمه الله أن رجلاً من أهل المهدية أتاه فقال الشيخ: أرى عليك أثر نعمة فمن أين أنت وما قصتك؟ فقال: يا سيدي كنت من أكابر المهدية وأعيانها وأكثرها مالاً وعزاً فورد علينا رجل يدعى أنه من الدالين على الله فجئت إليه وأنا متطلع محترق على الوصول إلى الله، فقال لي: إنك لا تصل إلى هذا الأمر حتى

تخرج عن مالك كله وحتى تطلق نساءك بتاتاً وحتى تغير زيك، ففعلت ذلك فما ازداد قلبي إلا قسوة، فضاق صدري وحررت في أمري ولم أطق أن أقيم بالمهدية وقد ذهب ما كنت فيه من المال والجاه ولم أتعوض عن ذلك شيئاً في باطني، فجئنت إلى هنا قاصداً للحج، فقال الشيخ عبد الرازق: دعوا على غير بصيرة قاتلهم الله امكث عندنا .

فلما جاء أوان الحج أرسله الشيخ مع بعض أهل الأسكندرية فحج، ثم رجع إلى الشيخ بالأسكندرية فلما جاء أوان السفر إلى المغرب قال له الشيخ: اذهب إلى بلدتك فإذا وصلت إليها فإن الناس يسمعون بك ويخرجون إليك مسرعين ويعرضون عليك الملابس والمراكب فخذ أفضلها ملبساً وأحسنها مركباً، وادخل إلى المهدية فما حمل إليك من الدنيا فاقبله، وسيعيد الله لك ما كان لك وأكثر منه وتجدر زوجاتك قد طلقهن أزواجهن فراجعهن وتنازل من العز والرفعة والغنى أكثر مما كنت فيه، فإذا تكمل لك ذلك كله فتح الله عيني قلبك، قال: فسافر الشيخ وأتى ساحل المهدية، فسمع أن فلاناً أتى من المشرق وليس في البلدة إلا من له عليه يد ومعروف فخرجوا يهرعون إليه بالملابس السنية والمراكب البهية، فلبس أفضلها ملبساً وركب أفضلها مركباً ودخل المهدية. فأهديت له الهدايا وحملت إليه التحف والأموال ووجد زوجاته وقد طلقهن أزواجهن وانقضت عدتهن فراجعهن فتكمل له جميع ما وعده الشيخ به في ذلك اليوم، ثم فتح الله عيني قلبه، وتكلم يوماً في فضائل أبي بكر رضي الله عنه فقال: قال رسول الله ﷺ { ما فضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره } فقال بعض الحاضرين: المراقبة، فقال الشيخ: هذا كلام فشور، من هو دون أبي بكر الصديق في الرتبة إذا وجد المراقبة يستغفر الله منها كما يستغفر العاصي من المعصية وذلك أنه أضاف المراقبة لنفسه كأنه يقول أنت الرقيب وأنا الرقيب، قال الله تعالى ﴿ أَلَلَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(١).

وقال ﷺ: يوصى بعض أصحابه لما عزم على الحج إذا وصلت إلى البيت فلا يكن همك البيت وليكن همك رب البيت لا تكن ممن يعبد الأوثان والأصنام .

وقال ﷺ: من عرف الله لم يسكن إلى الله لأن في السكون إلى الله ضرباً من الأمن ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ومثل هذا ما قال الشيخ أبو الحسن ﷺ قيل لى ألا تأمن مكرى في شيء وإن أمنتك فإن علمي لا يحيط به محيط وهكذا كانوا .

وكان يقول: إن الولي في فنائه لا بد أن يبقى معه لطيفة علمية عليها يترتب

التكاليف وذلك كما يكون الإنسان فى مبيت المظلم فهو عالم بوجوده وإن كان غير شاهد له وكان يقول: والله ما جلست حتى كان الطيران فى الهواء والمشى على الماء وطى الأرض تحت سجادتى .

وقال ﷺ: وقد قرأت عليه الرعاية للمحاسبى ما فى هذا الكتاب يغنى عنه كلمتان أعبد الله بشرط العلم ولا ترضى عن نفسك بشئ ثم لم يأذن لى فى قراءته بعد .

وسئل ﷺ: عن بعض المشايخ الكائنين فى وقت، فقال: ضيق عليه الورع ونحن وسع علينا بالمعرفة .

وكان يقول فى قول بعض أهل الطريق العارف وسعته المعرفة والورع ضيق عليه التورع، ألا تظن أن قولهم العارف وسعته المعرفة أن يأكل حراماً أو ما فيه شهية، ولكن العارف ذو بصيرة منيرة تكشف له ما غطى عن الورع فيمد يده إلى الطعام لعلمه بحله وسلامته من الشبهة على ما أشهدته بصيرته والورع مستورد ذلك عنه، فلذلك ربما مد العارف يده إلى ما قبض المستورع يده عنه .

وكان ﷺ يقول: من اشتاق إلى لقاء ظالم فهو ظالم .

وكان ﷺ يفضل الغنى الشاكر على الفقير الصابر، وهو مذهب ابن عطاء وأبى عبد الله الترمذى الحكيم، ويقول: الشاكر صفة أهل الجنة والصبر ليس كذلك .

وسمعه يقول القبض على قسمين: قبض له سبب، وقبض لا سبب له، فالقبض الذى لا سبب له يكون للعموم والخصوص، والقبض الذى لا سبب له لا يكون إلا لأهل التخصيص .

قال ﷺ: الشكر انفتاح القلب لشهود منة الرد، يقال: شكر ومقلوبة كشر، يقال كشرت الدابة إذا كشفت عن اسنانها، وقال بعض العارفين لو علم الشيطان طريقاً توصل إلى الله أفضل من الشكر لو وقف فيها، ألا تراه كيف قال ﷺ ﴿ تُمْ لَا تَيِّنُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾^(١) ولم يقل ولا تجد أكثرهم صابرين ولا خائفين ولا راجين .

ولما اجتمعت بالسلطان الملك المنصور لاجين - رحمه الله - قلت له يجب عليكم الشكر لله فإن الله سبحانه قد قرن دولتكم بالرخاء وانشرحت قلوب الرعايا بكم والرخاء أمر

لا يستطيع الملوك تكسبه ولا استجلابه، كما يتكسبون العدل والجود والعطاء، قال: وما هو الشكر؟ قلت: الشكر على ثلاثة أقسام: شكر اللسان، وشكر الأركان، وشكر الجنان، فشكر اللسان التحدث بالنعمة، قال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(١) وشكر الأركان العمل بطاعة الله، قال ﷺ ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾^(٢) وشكر الجنان الاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هي من الله، قال تعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾^(٣).

ومن القسم الأول قال رسول الله { التحدث بالنعم شكر } ومن الثاني أنه ﷺ قام حتى تورمت قدماه، فقيل له أنتكلف كل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال { أفلا أكون عبداً شكوراً }^(٤) ومن الثالث: أنه كان ﷺ إذا أصبح قال { اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك } وهذه الأحاديث لم استحضرها وقت مخاطبتي له، فقال: وما الذي يصير به الشاكر شاكراً؟ قلت له: إذا كان ذا علم، فبالتبیین والإرشاد، وإذا كان ذا غنى فبالبذل والإيثار للعباء، وإذا كان ذا جاه فما ظهار العدل فيهم ودفع الأضرار والإنكار.

وقال ﷺ: إن لله ملكاً يملأ ثلث الكون، وإن لله ملكاً يملأ ثلثي الكون، وإن لله ملكاً يملأ الكون كله، وإن الله ملكاً وضع قدمه في الأرض ولم يجد أن يضع الثانية، ثم قال: يقول القائل: إذا كان ملكاً يملأ الكون كله، فأين يكون الذي يملأ ثلث الكون؟ والملك الذي يملأ ثلثي الكون؟ فقال ﷺ جواباً عن ذلك اللطائف: لا تتزاحم كمثل سراج أدخلته بيتاً فملأ البيت نوره، ولو أتيت بعد ذلك بألف سراج لو سع ذلك البيت أنوارها.

وسمعه يقول: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر { يا أبا بكر أريد أدعوك لأمر } قال: وما هو يا رسول الله؟ قال ﷺ { هو ذاك }.

وسمعه يقول: قال رسول الله ﷺ { يا أبا بكر أتعلم يوم؟ } قال: نعم يا رسول الله سألتني عن يوم المقادير، ولقد سمعتك حينئذ وأنت تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

(٢) (سبأ: ١٣)

(١) (الضحى: ١١)

(٢) (النحل: ٥٣)

(٣)

انظر: الجامع الصحيح المختصر (٣٨٠/١) رقم (١٠٧٨) من حديث المغيرة بن شعبه، والجامع الصحيح سنن الترمذي (٢٦٨/٢) رقم (٤١٢) وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة قال الترمذي: حديث المغيرة بن شعبه حديث حسن صحيح، والسنن الكبرى (٤١٨/١) رقم (١٣٢٥) والشكر ص ٢٨ رقم (٧٣) والطبقات الكبرى (٣٨٣/١) والعلل الواردة في الأحاديث النبوية (٢٣/٨) رقم (١٣٨٦) والكامل في الضعفاء (٣٦٨/٢) رقم (٤٩٩) والمجتبى من السنن (٢١٩/٣) رقم (١٦٤٤) والمجروحين من المحدثين (١٥٦/١) رقم (٩٠) والمعجم الصغير (١٢٨/١) رقم (١٩٠) والمعجم الكبير (٢٠/٤١٩) رقم (١٠٠٩) وتاريخ بغداد (١٩٧/٧) رقم (٣٦٦٢) قباين ماج (٤٥٦/١) رقم (١٤١٩) والبيهقي في الكبرى (٢/٤٩٧) رقم (٤٢٩٩).

محمد رسول الله .

وقال ﷺ: أبو بكر وعمر خلفاء الرسالة، وعثمان وعلى خلفاء النبوة .

وقال ﷺ: العامة إذا رأوا إنساناً ينسب إلى طريق الله جاء من البرارى والقفار أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم، وكم من بدل وولى بين أظهرهم لا يلقون إليه بالاً وهو الذى يحمل أثقالهم ويدافع الأغيار عنهم، فمثلهم فى ذلك كمثل حمار الوحش يدخل به الناس البلدة فيطوف الناس به متعجبين لخطوط جلده وحسن صورته والحرر التى بين أظهرهم وهى التى تحمل أثقالهم لا يلتفتون إليها .

وقال الشيخ أبو الحسن: يا أبا العباس إذا قال أحد فيك ما ليس فيك، فقل: الله يعلم منى ما يعلم، فقد قال تعالى ﴿وَالِىَ اللّٰهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١) .

وقال أيضاً: علم الله ما يقال فى أوليائه والصديقين فبدأ بنفسه ففضى على قوم أعرض عنهم فنسبوا إليه الزوجة والولد، فإذا قيل فى صديق إنه زنديق أو قيل فى ولى إنه غافل عن الله غوى، فإن ضاق الولى أو الصديق بذلك ذرعاً قيل له الذى قيل فىك هو وصفك لولا فضلى عليك، وقد قيل فى ما لا يستحقه جلالي .

وقال ﷺ: الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي، واعلم أن الله ابتلى هذه الطائفة بالخلق ليرفع بالصبر على أذاهم مقدارهم وليكمل بذلك أنوارهم وليحقق الميراث فيهم ليؤذوا كما أودى من قبلهم فيصبروا كما صبر من، قبلهم ولو كان من أتى بهدى أطباق الخلق على تصديقه هو الكمال فى حقه لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ وقد صدقه قوم هدام الله بفضلهم وحرم من ذلك آخرون حجبهم الحق عن ذلك، فانقسم العباد فى هذه الطائفة إلى معتقد ومنقذ ومصدق ومكذب وإنما يصدق بعلمهم وأسرارهم من أراد الحق سبحانه أن يلحقه بهم والمعتزف بتخصيص الله وعنايته قليل لغلبة الجهل واستيلاء الغفلة على العباد وكراهية الخلق أن يكون لأحد عليهم شغوف فى منزلة أو اختصاص بمنة ألم تسمع قوله سبحانه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

ومن أين لعموم العباد أن يعلموا أسرار الحق فى أوليائه وشروق نوره فى قلوب أحبائه؟ وسبب هلاك الهالك بهم؟ أن من أظهره الله منهم لابد وأن يظفره ببواهر المنن وخوارق العادات فيستغرب عقول العموم أن يعطى الله ذلك غير الأنبياء أن تظهر الخوارق

فى حل العصمة وهؤلاء لم يعلموا أن كل كرامة لولى فى معجزة لذلك النبى الذى هذا لولى تابع له فظن هؤلاء أن جريان الكرامة على الولى مساهمة لمقام النبوة - وحاشا لله - ما أخذ الأولياء مما هو للأنبياء كزق ملء عسلاً فرشحت منه رشاحة، فما انطوى عليه الزق فهو مثل علوم الأنبياء، وتلك الرشاحة هى حظ الأولياء منهم .

واعلم - رحمك الله - أن من اعتز بعزيم لم يشاركه فى العز، فأولياء الله اعتزوا بالأنبياء الذين اهدوا بهدايهم واقتفوا سبلهم فلا يشركونهم فى عزهم، لأن بهم اعتزازهم، ألم تسمع المولى يقول ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) فلم يكن إثبات العزة لرسوله ﷺ وللمؤمنين من عباده توجب شركة الله فى عزه وحكمه اقتضت عدم اتفاق العباد على الولى، بل انقسم الأمر فيه لما بيناه وأمر آخر وهو أنه لو كان الخلق كلهم مصدقين للولى فإنه الصبر على تكذيب المكذبين، ولو كان الخلق كلهم مكذبين له فاته الشكر على تصديق المصدقين، فأراد الحق سبحانه بحسن اختياره لأوليائه أن يجعل العباد فيهم قسمين: مصدق، ومكذب، ليعبدوا الله فيمن صدقهم بالشكر، وفيمن كذبهم بالصبر، والإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر .

واعلم أنه لعزازة قدرة الولى عند الله لم يجعله إلا محجوباً عن خلقه وإن كان بينهم لأنه ظهر لهم من حيث ظاهر علمه ووجود دلالته وبطن بسر ولايته .

وقد قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: لكل ولى حجاب وحجابى الأسباب، فمنهم من كان حجابه ظهوره بالسطوة والعزة والنفوس لا تحمل صحبة من هذا وصفة وسبب ظهور ذلك الولى بذلك تجلى الحق عليه بصفة ظهر بها، فإذا غلبت عليه شهوداً غلبت عليه ظهوراً، فلا يصحبه ولا يثبت معه إلا من محق الله نفسه وهواه، ومن هذا الصنف كان شيخنا أبو العباس ﷺ لا تجلس بين يديه إلا والرعب قد ملك قلبك، ومن خلصه الله من نفسه وهواه فلا تستغرب ظهوره بالعز، فأى ملك أعظم من هذا الملك . هذا ملك أعوذ الملوك وجوده .

أفلا ترى أنه لم يزل فى كل قطر وعصر أولياء يذل لهم ملوك الزمان ويعاملونهم بالطاعة والإذعان، ومنهم من يكون حجابه كثرة التردد إلى الملوك والأمراء فى حوائج عباد الله، فيقول القصير الإدراك لو كان هذا ولياً ما تردد إلى أبناء الدنيا وهذا جور من قائله، بل انظر تردده إليهم إن كان لأجل عباد الله وكشف الضرر عنهم وتوصيل ما لا يستطيعون توصيله إليهم مع الزهد واليأس مما فى أيديهم، والتعزز بعز الإيمان وقت مجالستهم وأمرهم

بالمعروف ونهيههم عن المنكر فلا حرج على من هذا شأنه لأنه من المحسنين، وقد قال الحق سبحانه ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾^(١) وهذا كان سبيل شيخنا القطب الكبير أبى الحسن الشاذلى رحمه الله، حتى لقد سمعت الشيخ الإمام مفتى الأنام [تقى الدين محمد بن على القشيري - رحمه الله -] يقول: جهل ولالة الأمور بقدر الشيخ أبى الحسن الشاذلى رحمه الله كثرة ترداده إليهم فى الشفاعات، ويجب أن تعلم أن هذا الأمر لا يقوى عليه إلا عبد متخلق بخلق الله قد بذل نفسه وأذلها فى مرضاة الله وعلم وسيع رحمة الله فعامل بالرحمة عباد الله متمثلاً لقول رسول الله ﷺ { الراحمون يرحمهم الله ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء } .

وقد بلغنى عن الشيخ أبى الحسن رحمه الله: أنه استدعى يهودياً كحالاً ليداوى بعض من عنده، فقال له اليهودى: لا أستطيع أن أعالج، فإنه جاء مرسوم من القاهرة أن لا يداوى أحد من الأطباء إلا بإذن من مشارف الطب بالقاهرة فلما خرج اليهودى قال الشيخ لخدامه: هيئوا إلى السفر، وسافر لوقته إلى القاهرة وأخذ لهذا الطبيب إذناً وعاد إلى ذلك الطبيب ولم يبيت بها ليلة واحدة . ثم جاء إلى الإسكندرية فأرسل إلى ذلك الطبيب فاعتذر له بما اعتذر له به أولاً فأخرج له الشيخ مكتوباً بالإذن فأكثر اليهودى من التعجب من هذا الخلق الكريم وقد يكون حجاب الولي كثرة الغنى وانبساط الدنيا عليه .

وقال بعض المشايخ: كان بالمغرب رجل من الزاهدين فى الدنيا ومن أهل الجد والاجتهاد وكان عيشه مما يصيده من البحر، وكان الذى يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فأراد أحد أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب فقال له الشيخ: إذا دخلت إلى بلاد كذا وكذا فاذهب إلى أخى فلان فأقرئه منى السلام واطلب الدعاء منه لى فإنه لى من أولياء الله تعالى، قال: فسافرت حتى قدمت إلى تلك البلدة فسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك فتعجبت من ذلك وطلبتة فقبل لى هو عند السلطان، فازداد تعجبى، وبعد ساعة أقبل فى أفخر ملبس ومركب وكأنما هو ملك فى مركبه، فازداد تعجبى أكثر من الأول فهيمت بالرجوع وعدم الاجتماع به، ثم قلت: لا يمكننى مخالفة الشيخ فاستأذنت فأذن لى، فلما دخلت رأيت ما هالنى من العبيد والخدم والشارة الحسنة، فقلت له: أخوك فلان يسلم عليك، قال: جئت من عنده، قلت: نعم، قال: فإذا رجعت إليه فقل له: إلى كم اشتغالك بالدنيا؟ وإلى كم إقبالك عليها؟ وإلى متى لا

(١) (التوبة: ٩١)

تنقطع رغبتك فيها؟ فقلت: هذا والله أعجب من الأول .

فلما رجعت إلى الشيخ قال: اجتمعت بأخي فلان؟ قلت: نعم، قال: فما الذي قال لك؟ قلت: لا شيء، قال: لا بد أن تقول، فأعدت عليه ما قال، فبكي طويلاً وقال: صدق أخى فلان هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده وعلى ظاهره، وأنا أخذها من يدي وعندى إليها بقايا التطلع، ومن حجب أولياء الله قبولهم من الخلق، فإذا قبل الرجل ما يعطى صغر عند الخلق وهم لا يكبر عندهم لا من يقبل دنياهم، ومن إذا أعطوا رد عليهم وأبى من القبول منهم، ولعل فاعل ذلك إنما فعله ذواقاً وزندقة واستئلاً لقلوب العباد عليه، وليتوجه بالتعظيم إليه، ولتنطلق الألسنة بالثناء عليه .

وقد قال الشيخ أبو الحسن عليه السلام: من طلب الحمد من الناس بترك الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه وليس من الله في شيء، ومما قد يصد عقول العموم عن أولياء الله وقوع زلة ممن تزين بزيهم أو انتسب إلي مثل طرقيهم والوقوف مع هذا حرمان ممن وقف معه، وقد قال سبحانه ﴿أَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾^(١) فمن أين يلزم لما أساء واحد من الجنس أو ظهر عدم صدقه في الطريق أن يكون بقية أهل تلك الطريق، وكذلك وقد أنشدنا الشيخ علم الدين الصوفي لنفسه:

استنار الرجال في كل أرض تحت سوء الظنون قدر ليل

ما يضر الهلال في حندس الليل سواد السحاب وهو جميل

وأشد حجاب يحجب عن معرفة أولياء الله شهود المائلة وهو حجاب قد حجب الله به الأولين، قال سبحانه حاكياً عنهم ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾^(٢) وقال سبحانه مخبراً عنهم ﴿أَبَشَرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾^(٣) وقال سبحانه ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(٤) وإذا أراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك شهود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته .

(٢) (المؤمنين: ٣٣)

(٤) (الفرقان: ٢٤)

(١) (النجم: ٣٨)

(٢) (القمر: ٢٤)

وصية وإرشاد:

إياك أيها الأخ أن تصنى إلى الواقعين فى هذه الطائفة المستهزئين بهم لئلا تسقط من عين الله وتستوجب المقت من الله فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق وإخلاص الوفاء ومراقبة الأنفاس مع الله قد سلموا قيادهم إليه، وألقوا أنفسهم سلماً بين يديه تركوا الانتصار لنفوسهم حياء من ربوبيته واكتفاء بقيوميته فقام لهم بأوفى ما يقومون لأنفسهم، وكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والمغالb لمن غال بهم، ولقد ابتلى الله هذه الطائفة بالخلق خصوصاً أهل العلم الظاهر، فقل أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولى معين، بل يقول لك: نعم إن الأولياء موجودون، ولكن أين هم؟ فلا تذكر له أحد إلا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه طلق اللسان بالاحتجاج عارياً من وجود نور التصديق فأحذر من هذا وصفه وفر منه فراك من الأسد، جعلنا الله وإياك من المصدقين لأوليائه بمنه وكرمه

الباب التاسع

فيما قاله من الشعر أو قيل في حضرته أو قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته

قال ﷺ: أطلعني الله على الملائكة ساجدة لآدم فأخذت بقسطي من ذلك فإذا أنا

أقول:

وتجلت للسر شمس سمائي	ذاب رسمى وصح صدقي فنائي
ما انطوى في الصفات بعد صفائي	وتنزلت في العوالم أبدى
ووجودي كالليل يخفى سوائي	فصفاتي كالشمس تبدى صفها
من رأيي فساجد لبهائي	أنا معنى الوجود أصلاً وفصلاً
اشهدوني فقد كشفت غطائي	أي نور لأهله مستبين

وسئل ﷺ عن الروح والنفس فقال شعراً:

وعن تألف ذات النفس بالبدن	إن كنت سائلنا عن خالص المنن
أدراها ففدت تشك من الطعن	وعن تشبثها بالحظ قد ألفت
تهوى بشهواتها في ظلمة الشجن	وعن بواعثها بالطبع مائلة
لا يثنى وصفها منها إلى وثن	وعن حقيقتها في أصل معدنها
علم يفرقها في القبح والحسن	وعن تنزلها في حكمها ولها
على العيان ولا يغترك ذو لكن	فاسمع هديت علوماً عز سالكها
قامت حقائقها بالأصل والفنن	قصداً إلى الحق لا تخفى شواهدا
ذو فكرة بفهوم لا ولا فطن	يا سائلني عن علوم ليس يدركها
له العقول وكل الخلق في وسن	لكن بنور على جامع خمدت
والأمر مطلع والأمر قيديني	خدها إليك بحق لست جاهله
يحجبك صورتها في عالم الوطن	على الحقيقة خذ علم الأمر ولا
عقل تقيد بالأوهام والدرن	فطور النفس سر لا يحيط به
حتى تألفها السكان بالسكن	لكنها برزت بالحلم قائمة
ألقى من الأمر قبل الخلق والمحن	وكي يقال عبيد قائمون بما
كآدم له حواء في قرن	والنفس بين نزولها في عوالمها
وهي الموافق للتعريف والمنن	والروح بين ترق في معارجها

أطافيا خفيت كالسر فى العلى
مدت هدايتها فى الكون والكىن
والنور يحجبه كالماء فى اللبن
دقت معارفه فى الدهر والزمن

مثالها فى العلى مرآة معدنها
زيتونة زينها نور لشاربها
والكل أنت بمعنى الاخفاء به
والعبد ومحتجب فى عز مالكة

وكان ينشد:

أرض النفوس ودكت الجبال
حين التزلزل والرجال رجال

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت
لرأيت شمس الحق يسطع نورها

وقال: الأرض أرض النفوس، والجبال جبال العقل، والشمس شمس المعرفة، وكان

ينشد:

فكبر للرحمن حين رآنى
حوالك فى أمن وخفض زمان
ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

وقفت على النوباذ حين رأيت
فقلت له أين الذين عهدتهم
فقال مضوا واستودعوني ديارهم

وكان ينشد:

أجعل القلب بيته والمقام
وهو ركنى إذا أردت استلاما

لست من جملة المحبين إن لم
وطوافى اجالة السر فيه

وكان ينشد:

نطلب الوصل ما إليه وصول
وخلاف الهوى علينا ثقیل

قد بقينا مذبذبين حيارى
فدواعى الهوى تحف علينا

وكان ينشد للسهروردي نزيل دمشق:

ووصالكم ريحانها والراح
وإلى كمال جمالكم تتراح
ثقل المحبة والهوى فراح
وكذا دماء البائحين تباح

أبدأ تحن إليكم الأرواح
وقلوب أهل وداكم تشناقكم
يا رحمة للعاشقين تحملوا
بالسر باحوا تباح دماؤهم

وكان ينشد:

وطيب عيش قطعناه ولذات

مرت لنا بمنى والخيف أوقات

ولأسلكن ولو أن الأسود بها

قوافلا ورماح الخط غايات

وكان ينشد قول امرئ القيس:

بكى صحابى لما رأى الدرب دونه
فقلت له: لا تبك عينيك إنما

وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
تحاول ملكاً أو تموت فتعذرا

فكان يقول: تحاول ملكاً بالبقاء أو تموت فتعذر بوجود الفناء .

وكان ينشد من قصيدة ابن العطار:

رفعت مقامات الوصول حجابى
ولزمت محرابى لزوم مجمع
وقلت من نفسى غلاماً قتله
وخرقت لوح سفينتى لأعيبها
وكشفت عن قلبى جدار حجابه
ورقيت فى السبع السموات العلى

حتى احتجبت بكم عن الحجاب
فرايت وجه الحق فى المحراب
سبب النجاة وأعظم الأسباب
فنجوت من ملك لها غصاب
عن كنزه الباقي بنبر ذهاب
حتى دنوت فكنت مثل القاب

وأنشد بين يديه وأنا أسمع:

خذ من كلامى ما يلذ جناة
ذكر الإله الزم هديت لذكره
واجعل حلالك تقاة أن أخى الجحى
ولتعمل الأفكار فى ملكوته
ولنخلع النعلين خلع محقق
ولنفن حتى عن فنائك أنه
وإذا بدى فاعلم بأنك لست هو
سيان ما اتحد ولكن هاهنا
يا سامعاً ما قد أشرت له إلا
اذن الحجاب حجاب حسك ينكشف
إن الإله أَل ما مستعرف
فيه يراه ذو البصائر والنهى
أتى يغيب وليس يوجده غيره

ويتم كالمسك العيق شذاه
فيه القلوب تطيب والأفواه
يا صاح من كانت حلاه تقاه
مستغرقاً فى الكشف عن معناه
خلى من الكونيين من مسراه
عين البقاء فعند ذاك تراه
كلا ولا أيضاً تكون سواه
سرىضيق نطاقنا عما هو
قلب تفكر ما وعت أذنائه
لك سر ما قد غاب عنك سناه
من لم يراه قد استبان عماه
ما غاب عنهم لحظة مرآه
ولكن شديد ظهوره أخفاه

ولما انتهى في الإنشاد إلى قوله :

وإذا بدى فاعلم بأنك لست هو كلا ولا أيضاً تكون سواه

سيان ما اتحد ولكن هاهنا سر يضيق نطاقنا عما هو

قال الشيخ : ولا نستطيع أن نبينه أبداً وقرأت عليه القصيدة المنسوبة لابن الفراس :

الله ربى لا أريد سواه	فلقد أحاط به حجاب عماه
ذات الإله بها قوام ذاتنا	فمن المحال عليه أن ينساه
لا غرور فى أنا رأيناه به	فالغور بالحسنى ثواب سراه
فالسالكون مشاهدون لصنعه	وهذا منهج قده فرآه
والعارفون شاهدون لذاته	ليلوح ما أخفى بما أبداه
يا غائباً والحق فيه حاضر	لم تعرف الأضداد والأشباه
من لم يشاهد بالبصيرة ذاته	فى حضرة الملكوت شاهدناه
من لا يرى كل حال غيره	مولاي أنسك لم يدع لى وحشة
من كان فى الملكوت يسرى فكره	مولاي عبدك لا يخاف تعطشاً
سبحان من خرق الحجاب لعبده	مولاي لا أوى لفيرك أنه
سبحان من ملاء الوجود أدلة	أنت الذى خصصتنا بوجودنا
سبحان من لم تلح أنواره	لم أفشى ما أود فإنه
مولاي أنت الواحد الصمد الذى	من كان يعلم أنك الفرد الذى
هل فى وجود الحق إلا الله	إلا محى ظلماتها بسنانه
هل كان يوجد غيره لولاه	أ يخافه والحق قد رواه
فالنور يظهر ذاته فتراه	حرم الهدى ما لم تكن مأواه
مستغرقون بفكرهم أياه	أنت الذى عرفتنا معناه
حتى كان قلوبهم ماثواه	ما ذاق سر الحق من أفشاه
أتغيب عنه وما شهدت سواه	بهر العقول فحسبه وكفاه

فقال الشيخ: كل هذا تحويم وليس هو عين القصد، ووجدت بخط ابن باشا قال:
كتبت إلى سيدى وشيخى أبى العباس المرسى وكان قد ورد سلامه على وقال:

<p>أنى مررت بخاطر لم ينسنى باق على العهد القديم فهننى خضر الزمان ورب عين الأعين بالباطن الربى قد رببتنى والى الطريق المستقيم هديتنى كالخضر لما أن رويت سقيتنى لا عيش بعد الموت فى عيش هنى سافر إلى المرسى بريح لين أن كنت يوماً بالإرادة تعتنى فى عالم من عالم متفنن</p>	<p>ويرد السلام من الإمام فسرني أن كنت تعلم يا رسول الله بأنه شيخى أبو العباس واحد وقته أسفى على وقت لديك قطعته وما كنت إلا حائر فرددتني وسقيت لى ماء الحياة وكنت لى ولو استطعت قطعت عمرى عنده يا أيها المرسى ببخر معارف فهو الطريق إلى النبى المصطفى صلى عليه الله ما ذكر اسمه</p>
--	--

ومدحه الأديب الفاضل شرف الدين البوصيرى بقصيدة منها:

<p>فتنعمى يا مهجتى بالسبوس وطوى حفاه على أحر رسس لم ينتفع منه أمرؤ بجلوس وتوجهى لجنابه المحروس وأباحنى مرآة غير بؤس لك أنه عندى كألف خميس بمثابة التثليث والتسديس لهما الرئاسة من أجل رئيس الا جلوتهما جلاء عروس</p>	<p>أما المحبة فهى بذل النفوس بذل المحب لمن أحب دموعه صدق وقل من لم يقيم قيامه قبل الإله تقرى بمدحـه رمت المسيرة ليه أعجزنى سرى أكرم بيوم الأربعاء زيارة كل أنصـات لا السعيد سعيدة سر فالشاذلية ومرسيه سرت ما أن نسيت إليهما شيخهما</p>
--	--

وكنت فى مبدأ التشبيه عملت قصيدة فيه وأنشدت بين يديه فلما فرغت من انشادها
قال: أيدك الله بروح القدس، وهى هذه:

برزت سلمى باثناء الخيم فأرتنا البدر من تحت اللحم

واحد الحادون لما أبصروا
وعذوناهم وماذا عجبى
كضياء الصبح أو بدر الدجا
لو رآها البدر أثنا راجعاً
أو رأتها الشمس لم تطلع ضحى
عذبت قلبى بهجران به
وكثتنى ثوب هم وضنى
وأبنت الأسود دائماً
فسهرت الليل أرعى نجمه
كلما رمت لعينى هجمة
تدعى العثر وتأنى ضده
لازم الباب بـذل وأسى
ودع التقصير فى خدمته
وأجتهد عليك أن تنجوا غداً
لا تقولن أن هذا زمن
أولياء الله لم ينقرضوا
قد رأينا كلهم فى واحد
فى أبى العباس لمجموع الذى
بأبى العباس زالت كربة
وبه شمس الهدى قد ظهرت
أى نور قد بدأ لأهله
ولقد فضله رب العلا
قل لا قوام أرادوا شأوه
ليس هذا الأمر هيناً
نازعوا الله تعالى حكمه
أن يكونوا انكروا شمس الضحى
فهموا أخوان جهل وهوى
وقديماً قال فيه شيخه

وجمعها فى الليل صباحاً قد ألم
أن يرى وجهه لسلمى فى الظلم
وجهها أكمل نور وأتم
خجلاً من وجهها ومحتشم
ثم صارت خدن هم وندم
عذب العشاق قبل فى القدم
صرت بين الناس فيه كالعلم
فأبى دمعى إلا أن يتم
اذكر الوصول الذى قد انصرم
قال لى القلب رويداً لا تنم
إنما العشق سهاد وسقم
فهما فى الحب شرط لا يلتزم
شما الذيل ولا تخشى الألم
من عذاب الله خلائق الأمم
عسر فيه وجود من سلم
أن حزب الله غير منهمزم
ذى بهاء ووفاء وهمم
منحوه من علوم وحكم
عن قلوب الخلق وانحابت ظلم
وبه در العلوم نظم
أى علم قد بدا لمن فهم
وكساه حلا من النعم
اقصروا أن الله قد قسم
فتنالوه بجد وهمم
إذا أرادوا ستر ذا النور الأعم
تبدى النور منها واستنم
وهموا خدان هم وندم
وهو قطب الأرض والعلم الأعم

إنما أنت أنا فاعلم بذا
وحديث الشيخ عنه شائع ذائع
لو بسطنا من طال بسطه
أنهم لن يستطيعوا جحده
فليدم غيظهم وحقدهم
دمت في عز على رغم العدا
أن هذا ليس أمر مكتنم
أما بين عرب وعجم
ولزا الشرح فيه وعظم
فتراهم ما زجى شهدا بسم
وليموتوا كلهم موته غم
ما رقى القمري في غصن سلم

ولما انتهى في الإرشاد إلى قولنا: قد رأيناهم كلهم في واحد، إلى قولنا: من علوم
وحكم، قال الشيخ رحمته: والله لقد قال لي الشيخ أبو الحسن: يا أبا العباس: فيك، ولما
أنتهى في الإرشاد إلى قولنا: وقديماً قال فيه شيخه البيهقي .

قال الشيخ رحمته: والله لقد قال الشيخ يا أبا الحسن يا أبا العباس ما صحبتك ألا
لتكون أنت أنا وأنا أنت، ومكث بعد ذلك مدة سنتين، ثم أتى الشيخ رحمته من الصعيد، لما
اجتمعت به أرانى قصيدة عملها فيه إنسان من أهل أخميم، ثم قال لي: أجبه، فذهبت
فتوقف على القول، فقلت: عجباً يأمرنى الشيخ ويتوقف على القول، هذا والله من عدم
صدقى . فلما قلت ذلك فتح الله على باب القول، حتى كأنها كانت سيلاً يدفعني إلى أن
تكلمت قصيدة، فلما قرأت عليه وقعت منه بموقع الرضى حتى كان يمكث المدة من الزمان
ويستعيدها، وقال لما قرأت عليه: هذا الفقيه صاحبى وبه مرضان، وقد عافاه الله منها
يعنى وجعاً برأسى، والوسوسة فى الطهارة، ولا بد أن يجلس ويتحدث فى العلمين، وهذه
هى:

قف بالديار فقد بدا معناها
وأرج فلاحك فقد بلغت المنحنى
وطالما قطعت مهامه واغتدت
نمس وتصبح لا تمل من السرى
رفقاً بها يا أيها الحادى لا
يكفى الذى لاقته من ألم السرى
أو ما تراها كيف تجرى دمعها
يحدوا بها نحو الديار غرامها
فازت بأن وصلت إلى أحبابها
فلمن تسير وما المراد سواها
فلطالما جهرت ودام سراها
أرساغها مخضوبة بدماها
حتى تشكت أنها ووجاهها
تغرى بها فالشوق قد أغراها
وكفى بها وجداً بها وكفاها
حتى تبيل من الدموع سراها
ويقودها نحو الحبيب هواها
فتمايلت والشوق حشو حشاها

حننت وأنت إذا رأت وادى النقا
فسرورها كسرور أيام غدا
تاهت بأحمد إذا أتاها رحمة
وتشرفت أرقاتها بمجيئه
وغداً يسد أمر دين محمد
أن تلقه تلقى أماماً راسخاً
قد كملت فيه الفضائل كلها
كم سنة ماتت فأحيها رسمها
كم من أتاه والمعاصي دأبه
فأزال عنها ما به فتقشعت
كم من قلوب قد أميتت بالهوى
أحييت علم القوم فى زمن به
وأيتت غوثاً للأنام وقيل ذا
وغدوت ترفل فى ثياب معارف
ما زلت حتى طاوعتك نفوسنا
من بعد ما ظفرت بها وتحكمت
ذللتها حتى أتت منقادة
فلذلك أضحي ودهالك خالصاً
فغدوت أعلى همها فى جهرها
مازلتم تمتدون أمة أحمد
قد كان قدماً بالبرية خيرها
بالشاذلى تقشعت ظلماتها
كنز التقى علم الهدى بحر الندى
من كان أن خطب ألم حماها
كيف تلوفه البرية كلها
حتى توفاه الإله فيالها
وخلقته فى حاله ومقامه
الله أبقى للبرية أحمداً

واستبشرت منه بنبل مناها
فيها أبو العباس شمس ضحاها
وغدت به بين الورى تتباهى
وتحلت الأيام من حلاها
فأزاح عنها كربة وجلاها
حبراً منيباً صادقاً أداها
وتجمعت فيه على أخرها
كم بدعة عقدت فحل عراها
قد قيدته نفسه بهواها
عنة سحائب ظلمة بدجائها
أحيا بها من بعد ما أحيها
قل المساعد فانجلت ظلماتها
ركبت محارم وأستبج حماها
وليست من حلل التمى أسناها
فأزلت عنها جهلها وعماها
فيما وزلت عن سبيل هداها
من بعد ما جمحت وعز شفاها
بشرى لها فى ودها بشرها
وكذلك أيضاً أنت فى نجواها
فبكم تكمل برها وتقاهها
حتى أتى قطب الورى فهادها
وتنورت بمجيئه أبقاها
قطب البرية غوثها ملجأها
وزوى بها عن صرفه ووفاهها
ترجوه فى لأرائها ورخاها
من نعيمه قد حازها وحواهها
بالأرث منه فأرتقيت علاها
وأقامه فيها لكى يرعاها

أن الذين تعرضوا لفخاره
أن تنكروا الآيات وهى ظواهر
هم يعلمون بأنه قطب الورى
أو ما ترى قوم النبى محمداً
مع عملهم أن النبى محمداً
فأنام غيظهم المليك ولم تزل
يهدى إليك المكرمات بأسرها
طبقت جفونهم على أفذاها
فلقد تبدت واستنار سناها
لكنه غلب النفوس شفاها
جحدوا ولحوا فى الجحود شفاها
كان الرسول أتى لها بهراها
فى حالة يرضى بها مولاها
وتنال من رتب العلى أقصاها

وكان يعجبه منها: كم من قلوب قد أميتت ... البيت، فكان يعيد القصيدة إلى هذا البيت، فإذا انتهى فى الإنشاد إليه استعادها .

جعل الله مدحنا هذا موضوعاً فى الميزان موجباً للرضوان بمنه وكرمه .

* * * * *

الباب العاشر

فى دعائه وذكره عقب كلامه وحزبه الذى رتبته للآخذين من علومه وإفهامه
وشىء من دعاء أبى الحسن وحزبيه
وبهما يكون لهذا الباب وجود ختامة

كان من ذكره ﷺ: لا إله إلا الله الأول الآخر الظاهر الباطن، محمد رسول الله ﷺ
الكامل الفاتح الخاتم .

وكان من ذكره أيضاً: يا الله يا نور يا حق يا مبين أحيى قلبى بنورك وأقمنى
لشهودك وعرفنى الطريق إليك .

ومن ذكره أيضاً: رب اغفر لى واجعلنى لك عبداً ذائب النفس بأنوارك مطموس الحس
بجلالك وأغفر للمؤمنين والمؤمنات .

من دعائه: اللهم اغفر لى واسترنى ولا تفضحنى فى الدنيا والآخرة، وعلمنى وذكرنى
وفهمنى وارحمنى وفرحنى وبرئنى وفرغنى من كل شىء إلا من ذكرك وطاعتك وطاعة
رسولك ومحبتك ومحبة رسولك ﷺ .

ومن دعائه عقب كلامه: اللهم كن بنا رءوفاً وعلينا عطوفاً، وخذ بأيدينا إليك أخذ
الكرام عليك، وقومنا إذا اعوججنا وأعنا إذا استقمنا، وخذ بأيدينا كلما عثرنا، وكن لنا
حيثما كنا .

وقال الشيخ أبو الحسن ﷺ: اللهم إن الدنيا حقيرة، حقير ما فيها، وإن الآخرة
كريمة كريم ما فيها، وأنت الذى حقرت الحقير وكرمت الكريم، فأين يكون كريماً من طلب
غيرك؟ أم كيف يكون زاهداً من اختار لدنياه معك؟ فحققتنى بحقائق الزهد حتى استغنى
عن طلب غيرك، وبمعرفته حتى أحتاج إلى طلبك؟ أم كيف يفوتك من هرب منك؟ فاطلبنى
برحمتك ولا تطلبنى بنقمتك يا عزيز يا منتقم إنك على كل شىء قدير .

وقال الشيخ أبو الحسن ﷺ: اللهم اسلبنى عقلاً يحجبنى عنك وعن فهم آياتك،
وعن فهم كلام رسولك، وهب لى من العقل الذى خصصت به أنبيائك ورسلك والصديقين من
عبادك، وأهدنى بنورك هداية المخلصين بمشيئتك، ووسع لى فى النور توسعة كاملة
تخصنى بها برحمتك، فإن الهدى هداية، وإن الفضل بيدك تؤتية من تشاء وأنت ذو الفضل
العظيم .

وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: يا واسع يا عليم يا غنى يا كريم يا ذا الفضل العظيم، اللهم أجلسنا على بساط القرب منك بالفناء عن غيرك أو بالبقاء بنورك أو بالتقرب بالأخذ عما هو لنا إلى ما هو لك من جهة العلم أو العقل أو من جهة العمل والحال، وهيمنا في برزخ الصنع ناظرين بك إليك، ومنك إلى غيرك إنك على كل شيء قدير .

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: يا عزيز يا غنى يا رحيم يا كريم يا واسع يا عليم يا ذا الفضل العظيم، اجعلنى عندك دائماً وبك قائماً ومن غيرك سالماً وفي حبك هائماً وبِعظمتك عالماً، واسقط البين بينى وبينك حتى لا يكون شيء أقرب إلى منك ولا تحجبني بك عنك، إنك على كل شيء قدير .

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: اللهم هب لى من النور الذى رأى به رسولك ما كان وما يكون ليكون العبد يوصف سيده لا يوصف نفسه غنياً بك عن تجديد النظر لشيء من المعلومات، ولا يلحقه عجز عما أراد من المقدورات ومحيطاً بذات السر بجميع أنواع الذوات ومرتباً للبدن مع النفس والقلب مع العقل والروح مع السرور والأمر مع البصيرة والعقل الأول الممتد عن الروح الأكبر المنفصل عن السر الأعلى .

وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: اللهم ارزقنى من كنز لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة، اضربنى بها ضرباً تمحو به من قلبى كل قوة، وأغننى بذلك الرزق عن ملاحظة النفس والخلق وأخرجنى به عن ذل الفقر، والتدبير والاختيار، وعن الغفلة والشهوة ومشية النفس والقهر والأضرار، إنك على كل شيء قدير .

وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بينى وبين طاعتك على بساط مشاهدتك ورق بينى وبين هم الدنيا وهم الآخرة، وتب عنى فى أمرهما، وأجعل همى أنت، وأملأ قلبى بمحبتك وبهجة أنوارك، وخشع بسلطان عظمتك، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك .

وهانحن نثبت حزب سيدنا ومولانا الشيخ الإمام قطب العارفين علم المهتدين شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر المرسى رحمه الله .

وإن كان بعضه من كلام شيخه الشيخ أبى الحسن الشاذلى رحمه الله، وبعده نذكر حزب الشيخ أبى الحسن الشاذلى رحمه الله .

حزب الشيخ أبي العباس عليه السلام

﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم • بسم الله الرحمن الرحيم (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٣) مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾^(١)

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾

[البقرة: ٢٥٥]

﴿ ءَامَنَ الرُّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفُرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^(٢)

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾

[آل عمران: ٢ - ٤]

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴾

[المدثر: ١ - ٧]

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾

[العلق: ١ - ٥]

﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) ﴾

[الرحمن: ١ - ٨]

[الرحمن : ٧٨]

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨) ﴾

سبحان ربى العظيم [ثلاث]

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخْفِي وَيُكْشِفُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) ﴾ (١)

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [الحشر : ٢٢ - ٢٤]

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ (٢)

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ [الفلق]

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾ [الناس]

اللهم يا من هو كذلك وعلى ما وصفه به عباده المخلصون من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء والموقنين والأولياء المقربين من أهل سمواته وأرضه وسائر الخلق أجمعين، أسألك بها وبآيات والأسماء كلها وبالعظيم منها، والأم والسيدة وبخواتيم سورة البقرة، وبالمبادئ والخواتيم، وتأمين على الموافقة، وبحاء الرحمة وميمى الملك ودال الدوام .

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا

سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴿

[التّح: ٢٩]

احون قاف ادم حم هاء آمين كهيعص، اغفر لى وارحمنى برحمتك التى رحمت بها أنبياءك ورسلك ولا تجعلنى بدعائك رب شقياً، وإنى خفت وأخاف أن أخاف، ثم لا أهتدى إليك سبيلاً فاهدنى إليك وأمتى بك من كل شىء خوف ومخوف فى الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير .

اللهم يا بديع السموات والأرض يا قيوم الدارين ويا قيوم كل شىء يا حى يا قيوم يا إلهنا لا إله إلا أنت كن لنا ولياً ونصيراً وآمناً بك من كل شىء حتى لا نخاف إلا أنت واجعلنا فى جوارك واحببنا بالذى حببت به أوليائك فترى ولا يراك أحد من خلقك وأصيب علينا من الخير أكمله وأجمله وأصرف عنا من الشر أصغره وأكبره .

﴿ طس، حم، عسق ﴾ ﴿ مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾ اللهم إنا نسألك الخوف منك والرجاء فيك والمحبة لك والشوق إليك والأنس بك والرضى عنك والطاعة لأمرك على بساط مشاهدتك ناظرين منك إليك وناطقين بك عنك لا إله إلا أنت سبحانك، ربنا ظلمنا أنفسنا وقد تبنا إليك قولاً وعقداً فتب علينا جوداً وعطفاً واستعملنا بعمل ترضاه وأصلح لنا فى ذريتنا إنا تبا إليك وأنا من المسلمين يا غفور يا ودود يا رحيم اغفر لنا ذنوبنا وقربنا بودك وصلنا بتوحيديك وارحمنا بطاعتك ولا تعاقبنا بالفترة ولا بالوقفة مع شىء دونك واحملنا على سبيل القصد واعصمنا من جائرها إنك على كل شىء قدير .

اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين الصدق والنية والإخلاص والخشوع والهيبه والحياء والمراقبة والنور واليقين والعلم والمعرفة والحفظ والعصمة والنشاط والقوة والستر والمغفرة والفصاحة والبيان والفهم فى القرآن وخصنا منك بالمحبة والإصطفائية والتخصيص والتولية وكن لنا سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً وعقلاً ويداً، وآتنا العلم اللدنى والعمل الصالح والرزق الهنى الذى لا حجاب به فى الدنيا ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه فى الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع، وأدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً .

يا على يا عظيم يا حلیم يا علیم يا سمیع يا بصیر يا مرید يا قدیر يا حی يا قیوم يا رحیم يا من هو هو هو هو هو أسألك بعظمتك التي ملأت أركان عرشك وبقدرك التي قدرت بها على خلقك ورحمتك التي وسعت كل شيء وبعلمك المحيط بكل شيء وبإرادتك التي لا ينافيها شيء وبسمك وبصرك القريب من كل شيء يا من هو أقرب إلى من كل شيء، قد قل حيائي وعظم افترائي وبعد منائي واقترب شقائي وأنت البصير بمنحتي وحيرتي وشهوتي وسوأتي تعلم ضلالتی وعمایتي وفاقتي وما قبح من صفاتي آمنت بك وبأسمائك الحسنی وصفاتك وبمحمد رسولك فمن ذا الذي يرحمني غيرك ومن ذا الذي يسعدني سواك فارحمني وأرني سبيل الرشd واهدني إليه سبيلاً وأرني الغي وجنبني إياه سبيلاً واصحبني منك الحق والنور والحكم والصل والبيان واحرسني بنورك يا الله يا نور يا حق يا مبين .

اللهم إني أmsيت وأنا أريد الخير وأكره الشر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله فاهدني بنورك لنورك فيما يرد عنك وفيما يصدر مني إليك وفيما يجري بيني وبين خلقك، وضيق على بقربك واحجبني بحجب عزتك وعز حجبك، وكن أنت حجابي حتى لا يقع شيء مني إلا عليك وسخر لي أمر هذا الرزق، واعصمني من الحرص والتعب في طلبه ومن شغل القلب وتعلق الهم به، ومن الذل للخلق بسببه ومن التفكير والتدبير في تحصيله ومن الشح والبخل بعد حصوله، وما يعرض في النفس من ذلك وتحلقه بقدرتك على علمك وإرادتك ومن ضروريات الحاجات إلى خلقك واجعله سبباً لإقامة العبودية ومشاهدة أحكام الربوبية، وهب لي حفة من حفاتك ونوراً من أنوارك، وذكراً من أذكارك، وطاعة من طاعات أنبيائك، وصحبة ملائكتك، وتول أمري بذاتك ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك، واجعلني حسنة من حسناتك ورحمة بين عبادك تهدي بها من تشاء إلى صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور .

اللهم اهدني لنورك وأعطني من فضلك وامنني من كل عدو هو لك، ومن كل شيء يشغلني عنك وهب لي لساناً لا يفتر عن ذكرك وقلباً يسمع بالحق منك يكرم بالنظر إليك وسراً ممتعاً بحقائق قريك وعقلاً خامداً بحلال عظمتك وزين ما ظهر وما بطن مني بأنواع طاعتك يا سمیع يا علیم يا عزيز يا حكيم .

اللهم كما خلقتني فاهدني وكما أمتني فاحيني وكما أطعمتهم فاطمئني واسقني ومرضى لا يخفي عليك فاشفني، وقد أحاطت بي خطيئتي فاغفر لي وهب لي علماً يوافق علمك، وحكماً يصادف حكمك، واجعل لي لسان صدق بين عبادك، واجعلني من ورثة

جنتك، ونجنى من النار، وأدخلنى الجنة حالاً ومالاً برحمتك، وأرنى وجه محمد نبيك وارفع الحجاب فيما بينى وبينك واجعل مقامى عندك دائماً بين يديك وناظراً بك إليك، واسقط البين عنى حتى لا يكون بين بينى وبينك، واكشف لى عن حقيقة الأمر كشفا لا طلب بعده لعبدك مع المزيد المضمون بكريم وعدك .

﴿إنك على كل شيء قدير﴾

يا الله يا عزيز يا حكيم إنك قد أيدت من شئت بما شئت كيف شئت على ما شئت فأيدنا بنصرك لخدمة أوليائك ووسع صدورنا لمعرفتك عند ملاقة أعدائك وأجلب لنا من رضيت عنه حتى نخضع له ونذل كما جلبته لمحمد رسولك واصرف عنا كيد من سخطت عليه كما صرفته عن إبراهيم خليلك، وآتنا فى الدنيا أجراً بالعافية من أسباب النار، ومن ظلم كل جائر جبار، وسلامة قلوبنا من جميع الأغيار، وبغض لنا الدنيا وحبب لنا الآخرة واجعلنا فيها من الصالحين .

﴿إنك على كل شيء قدير﴾

يا الله يا عظيم يا سميع يا عليم يا بر يا رحيم عبدك قد أحاطت به أخطاؤه وأنت العظيم وندائى كأنه لا يسمع وأنت السميع وقد عجزت عن سياسة نفسى وأنت العليم، وأنسى لى برحمتها وأنت البر الرحيم كيف لا يكون ذنبى عظيماً مع عظمتك أم كيف تجيب من لم يسألك وتترك من سألك أم كيف أسوس نفسى بالبر، وضعفى لا يغرب عنك أم كيف أرحمها بشىء وخزائن الرحمة بيدك .

إلهى عظمتك ملأت قلوب أوليائك فصغر لديهم كل شيء فاملاً قلبى بعظمتك حتى لا يصغر ولا يعظم لديه شيء واسمع ندائى بخصائص اللطف فإنك السميع من كل شيء .
إلهى ستر عنى مكانى منك متى عصيتك، وأنا فى قبضتك واجترحت ما اجترحت فكيف بالاعتذار إليك .

إلهى معصيتك نادتنى بالطاعة وطاعتك نادتنى بالمعصية، ففى أيهما أخاف وفى أيهما أرجوا، إن قلت بالمعصية قابلتنى بفضلك فلم تدع لى خوفاً وإن قلت بالطاعة قابلتنى بعدلك فلم تدع لى رجاء، فليت شعرى كيف أرى إحسانى مع إحسانك، أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك .

[ق . ج] سر من سرک وکلاهما دلان علی غیرک، فالشر الجامع الدال علیک لا تدعنی لغيرک

﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

يا الله يا فتاح يا غفار يا منعم يا هادي يا ناصر يا عزيز هب لي من نور أسمائك ما تحقق به حقائق ذاتك، وافتح لي واغفر وانعم على واهدني وانصرني وأعزني يا معز، يا مذل لا تذلني بتدبير مالك ولا تشغلني عنك بما لك فالكل كلك والأمر أمرك والسر سرک عدمي وجودي ووجودي عدمي فالحق حقك والجعل جعلك ولا إله غيرك وأنت الحق المبين يا عالم السر وأخفى يا ذا الكرم والوفا، علمك قد أحاط بعبدك وقد شقي في طلبك فكيف لا يشقي من طلب غيرك، تلطف بي حتى علمت أن طلبي لك جهل وطلبي لغيرك كفر فأجرني من الجهل واعصمني من الكفر يا قريب أنت القريب وأنا البعيد، قربك أنسني من غيرك، ردني للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحو طلبي يا قوي يا عزيز .

﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

اللهم لا تعذبنا بإرادتنا وحب شهواتنا فنشتغل أو نحجب أو نفرح بوجود مرادنا أو نحزن أو نسخط أو نسلم تسليم النفاق عند الفقد وأنت اعلم بقلوبنا فارحمنا بالنعيم الأكبر والمزيد الأفضل والنور الأكمل وغيبنا وغيب عنا كل شيء، وأشهدنا إياك بالأشهاد وانصرنا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يا الله يا قدير يا مريد يا عزيز يا حكيم يا حميد أنا نسألك بالقدرة العظمى والمشیئة العليا وبالآيات والأسماء كلها، وبهذا العظم منها أن تسخر لنا هذا البحر، وكل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت، كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لإبراهيم، وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان، وسخر لنا كل شيء .

يا من بيده ملكوت كل شيء وهو مجير ولا يجار عليه يا على يا عظيم يا حلیم يا عليم [احون - قاف - حم - هاء] آمين .

وصلی الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه وسلم .

حزب الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله

﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم • الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾ [الفاتحة]

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

﴿ ءَامَنَ الرُّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا لَا يَكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦]

﴿ ألم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلِ هَذَا هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ١ - ٤]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ نُو انْتِقَامٍ (٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) ﴾ [آل عمران: ٤ - ٦]

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ

النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) ﴿

[آل عمران : ٢٦ - ٢٧]

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) واجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) واجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأَزْلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرَزْتُ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ (٩١) ﴾ .

[الشعراء : ٧٨ - ٩١]

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) ﴾

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ .

[الحشر : ٢٣ - ٢٤]

﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾

[الضحى]

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨) ﴾ .

[الانشراح]

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعَكُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة: ١١١]

﴿ الثَّابِتُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾ . [التوبة: ١١٢]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ﴾ [المؤمنون: ١-١١]

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ . [الأحزاب: ٣٥]

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُحْسِنِينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥) ﴾ [الماعج: ١٩ - ٣٥]

اللهم إنا نسألك صحة الخوف ولبية السوق وثبات العلم ودوام الفكر، ونسألك سر الأسرار المانع من الأضرار حتى لا يكون لنا مع الذنب أو العيب قرار واجتبتنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التي بسطتها لنا على لسان رسولك، وابتليت بهن إبراهيم خليلك

﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾
فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح واسلك بنا سبيل أئمة المتقين .

بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون ، حسبى الله أمنت
بالله ورضيت بالله وتوكلت على الله ولا قوة إلا بالله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، رب اغفر لى وللمؤمنين والمؤمنات .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٣)
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾ قل الحمد لله وسلاماً على عباده
الذين اصطفى

رب إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً فاغفر لى وتب على لا إله إلا أنت سبحانك إنى
كنت من الظالمين .

يا الله يا على يا عظيم يا حلیم يا علیم يا سمیع يا بصیر يا مرید يا قدير يا حى يا
قيوم يا رحمن يا رحيم يا من هو هو يا هو يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن تبارك اسم ربك
ذى الجلال والإكرام .

اللهم صلنى باسمك العظيم الذى لا يضر معه شيء فى الأرض ولا فى السماء، وهب
لى منه سرّاً لا تضر معه الذنوب شيئاً، واجعل لى منه وجهاً تقتضى به الحوائج للقلب
والعقل والروح والسر والنفس والبدن، ووجهاً ترفع به الحوائج من القلب والعقل والسر
والروح والبدن والنفس، وأدرج أسمائى تحت أسمائك وصفاتى تحت صفاتك، وأفعالى تحت
أفعالك، درج السلامة وإسقاط الملامة وتنزل الكرامة وظهور الإمامة وكمل لى ما ابتليت به
أئمة الهدى من كلماتك، وأغننى حتى تغنى بى، وأحببنى حتى تحب بى ما شئت ومن
شئت من عبادك، واجعلنى خزانة الأربعين ومن خلاصة المتقين، واغفر لى فإنه لا ينال
عهدك الظالمين .

[طس - حم - عسق] ﴿ مرج البحر يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٣)
 مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾

[ثلاث]

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فصل من دعاء الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمته الله

ومن دعائه رحمته الله:

يا الله يا فتاح يا عليم يا كريم افتح قلبي بنورك، وارحمني بطاعتك، واحجبني عن معصيتك، وامنن علي بمعرفتك، واغنني بقدرتك عن قدرتي، وبعلمك عن علمي، وبإرادتك عن إرادتي، وبحياتك عن حياتي، وبصفاتك عن صفاتي، وبوجودك عن وجودي، وبدنوك عن دنوي، وبقربك عن قربي، وبحبك عن حبي، وبصدقك عن صدقي، وبحفظك عن حفظي، وبمنظرك عن نظري، وبتدبيرك عن تدبيري، وباختيارك عن اختياري، وبحولك وقدرتك عن حولي وقدرتي، وبجودك وكرمك وفضلك ورحمتك عن علمي وعملي، إنك على كل شيء قدير .

اللهم إن الدنيا حقيرة، حقير ما فيها وإن الآخرة كريمة كريم ما فيها، وأنت الذي حقرت الحقير، وكرمت الكريم، فكيف يكون كريماً من طلب غيرك؟ أم كيف يكون زاهداً من اختار لدنياه غيرك؟ .

فحققني بحقائق الزهد حتى استغنى بك عن طلب غيرك، وبمعرفتك حتى لا أحتاج إلى طلب غيرك، إلهي كيف يصل إليك من طلبك؟ أم كيف يفوتك من هرب منك؟ فاطلبنى برحمتك، ولا تطلبنى بنقمتك، يا عزيز يا منتقم، إنك على كل شيء قدير .

وقال رحمته الله: اللهم اسلبني عقلاً يحجبني عنك وعن فهم آياتك وعن فهم كلام رسولك، وهب لي من العقل الذي خصصت به أنبيائك ورسولك والصديقين من عبادك، وأهدني بنورك هداية المخلصين بمشيئتك، ووسع لي في النور توسعة كاملة تخصني بها برحمتك، فإن الهدى هداية، وإن الفضل بيدك تؤتيه من تشاء وأنت ذو الفضل العظيم .

وقال رحمته الله: يا عزيز يا رحيم يا حكيم يا غني يا كريم يا واسع يا عليم يا ذا الفضل العظيم، اجعلني عندك دائماً، وبك قائماً، ومن غيرك سالماً، وفي حبك هائماً، وبعظمتك عالماً، وأسقط البين بيني وبينك حتى لا يكون شيء أقرب إلى منك، ولا تحجبني بك عنك، إنك على كل شيء قدير .

وقال ﷺ: يا الله يا حميد يا مجيد، يا الله يا كريم يا بر يا رحيم، يا الله يا قوى يا متين، هب لي من رحمتك ما أحمدك به فأكون من المؤمنين، وارزقني من لطائف العز ما أكون به قوياً متيناً حاملاً محمولاً في العالمين، وهب لي من كرمك ما أكون به برأً نقياً من الصالحين، يا رحيم، يا لطيف، الطف بي لطفاً لا يدركه وهم الواهمين .

إلهي وجدتك رحيماً حيث لا أرجوك، فكيف لا أجذك ناصراً وأنا أرجوك، من لي إذا قاطعتني؟ ومن لي إذا لم ترحمني؟ فصلني من حيث تعلم ولا اعلم، إنك على كل شيء قدير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

بسم الله الرحمن الرحيم

إشراف/ محمد بن علي بن يوسف

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة المحقق	٣
مقدمة المؤلف	٥
مقدمة الكتاب تشتمل على إقامة الدليل على أن سيدنا محمد ﷺ أفضل بنى آدم	١٠
الفصل الأول: فى الكلام على الكرامات	٣٩
الباب الأول: فى التعريف بشيخه الذى أخذ عنه هذا الشأن وشهادة من عاصره من العلماء أنه قطب الزمان الحامل فى وقته لواء أهل العرفان.	٤٧
الباب الثانى: فى شهادة الشيخ له أنه الوارث للمقام والحائز قصب السبق بالاستتمام وإخباره هو عن نفسه بما من الله عليه من النعيم الجسم وشهادة الأولياء له أنه بلغ من الوصول لله تعالى لأفضل مرام.	٦١
الباب الثالث: فى مجرباته ومنازلاته وما أتفق لأصحابه معه ومكاشفاته.	٦٩
الباب الرابع: فى علمه وزهده وورعه ورفع همته وحلمه وصبره وسداد طريقته.	٧٧
الباب الخامس: فى آيات من كتاب الله تكلم على تبين معناها وأظهار فحواها.	٩٥
الباب السادس: فيما فسر من الأحاديث النبوية وإبداء أسرار فيها على مذاهب أهل الخصوص.	١٠٧
الباب السابع: فى تفسيره لما من كلام أهل الحقائق وحمله لذلك على أجمل الطرائق.	١١٩
الباب الثامن: فى كلامه فى الحقائق والمقامات وكشفه فيها للأمور المعضلة	١٢٥
الباب التاسع: فيما قاله من الشعر أو قيل فى حضرته أو قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته.	١٥١
الباب العاشر: فى ذكر دعائه عقيب كلامه، وحزبه الذى رتبته للآخذين من علومه وأفهامه وشىء من دعاء أبى الحسن وحزبه.	١٦١
حزب الشيخ أبى العباس ؑ	١٦٣
حزب الشيخ أبى الحسن الشاذلى ؑ	١٦٩
فصل من دعاء الشيخ أبى الحسن الشاذلى ؑ	١٧٤
الفهرس	١٧٦